التابع لمؤسسة الامام الهادي عليه السلام

الذين في قلوبهم مرض
في
نظر المفسرين

تأليف
عبد الباقي قرنة الجزائري

هوية الكتاب

اسم الكتاب: **الذين في قلوبهم مرض (في نظر المفسرين)**

المؤلف: **عبد الباقي قرنة الجزائري**

الناشر: انتشارات دار التفسير

تصميم الغلاف: حسين صمدي

الطبعة: **الأولى**

تاريخ النشر :

المطبعة:

عدد النسخ: ١٢٠٠

حقوق الطبع والنشر محفوظة للمؤلف

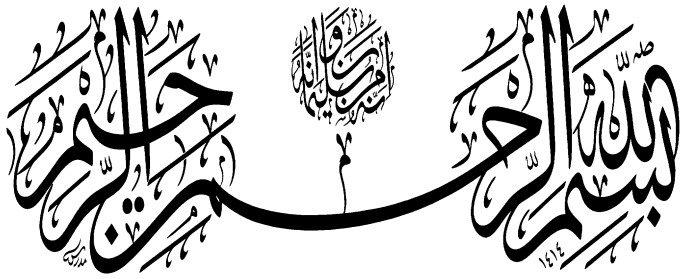
بسم الله الرحمن الرحيم

المقدمة:

الحمد لله ربّ العالمين والصّلاة والسّلام على سيّدنا محمد وآله الطّيّبين الطاّهرين؛

هذا بحث تتبّعتُ فيه أقوال المفسّرين بخصوص طائفة الذين في قلوبهم مرض، محاولاً التّدقيق في معرفة ما بنوا عليه تفسيرهم، وفهمَ ما استندوا إليه في تعابيرهم. وقد حرصت في الأثناء ألاّ أتجاوز الآية إلا فيما تقتضيه الضّرورة، وما يفرضه نسَق المفسّرونفَسه من استطراد والْتفات، وتقديم وتأخير، إذ لا ينبغي لي أن أبتر من حديثه ما قد يكون في نظره عمدة أو غاية، وللنّاس في طرق الكلام فنون. وقد يجدر بي إعلام القارئ الكريم أنّ الآية شغلت فكري سنين طويلة، ولم أكن أتجرّأ على ذكر خواطري فيها، ولا وجدتُ من يرغّبني في الخوض في معانيها، إلى أن سمعت حديثا من بعض الفضلاء يوهم بتحوّل جيل الصّحابة جميعا من رجال جازت عليهم عبادة الأصنام إلى مقام قاب قوسين أو أدنى من الملائكة الكرام؛ عندها عقدت العزم على البحث في الموضوع من باب التّدبّر الذي أُمرنا به، ونُهينا عن إغفاله. وقد فوجئت أثناء بعض المطارحات والمناقشات أنّ في دائرة أتباع أهل البيت عليهم السلام من يميل إلى تفاسير المعدّلين والمصوّبين مع معارضته القول بعدالة الصحابة أجمعين، وهذا إضافةً إلى ما فيه من إشكال يستدعي الإيضاح، شجّعني على الاستمرار في البحث قدر طاقتي، عسى الله أن يقيّض فيما بعد من يشبع المسألة بحثا وتنقيبا على مستوى أعلى وأرقى وأعمق، فأكون قد ساهمت بالتّمهيد، وأشرت ولو من بعيد؛ وأنا مع ذلك

أرجو أن يسدّد الله تعالى خطاي ويأخذ بيدي كي لا أتجاوز الحدّ، ويثبّتني على صدق النّيّة وتصحيح القصد، إنّه من يتّق ويصبر فإنّ الله لا يضيع أجر المحسنين.

قم / ٤ محرم /١٤٢٦ هـ

المدخل

كلام في تدبر القرآن الكريم

و

ما جرى بين الصحابة

كلام في التّدبّر

تدبّر القرآن الكريم مأمورٌ به من قِبل المولى سبحانه وتعالى، وفيه فوائدُ عظيمةٌ، وأسرارٌ جليلةٌ، وهو باعثٌ على التّأمّل والتّفكّر والانفتاح على عوالم الأنفس والآفاق. وقد رُويَ عن النّبيّ(ص) قوله:" تفكّر ساعة خير من عبادة سنة"[1]. والأدلّة في ذلك متوفّرة متظافرة؛ قال النّوويّ في **التّبيان** " في فصل عقده للتّدبّر: "والدّلائل عليه [أي التّدبّر] أكثر من أن تحصر وأشهر وأظهر من أن تذكر(أفلا يتدبّرون القرآن)، وقال تعالى (كِتَابٌ أَنزَلْنَاهُ إِلَيْكَ مُبَارَكٌ لِّيَدَّبَّرُوا آيَاتِهِ وَلِيَتَذَكَّرَ أُوْلُوا الأَلْبَابِ). والأحاديث فيه كثيرة وأقاويل السّلف فيه مشهورة"[2].

نعم، قال الله تعالى بخصوص سهولة التّدبّر في كتابه الكريم(وَلَقَدْ يَسَّرْنَا الْقُرْآنَ لِلذِّكْرِ فَهَلْ مِن مُّدَّكِرٍ)، فالقرآن سهلٌ لمن أراد ممارسة التفكّر والتذكّر والتدبّر، وهذا بشهادة من أنزله. وليس التّدبّر من أقسام التّفسير بالمعنى العلميّ الدّقيق،لأنّه لايعدو عمليّة تجري بين العبد وضميره، فهو عمليّة وجدانيّة يسمو

---

١ – الحديث ورد بألفاظ متعدّدة قال الرازي في التّفسير الكبير ج٢ ص١٧٣قال عليه الصلاة والسلام تَفكّر ساعة خير من عبادة ستين سنة، ووفي التفسير الكبير أيضاً ج٢٢ ص٣٩ قال عليه السلام تفكر ساعة خير من عبادة سنة.وفي الدّرّ المنثور للسيوطي ج٢ ص٤١٠: أخرج الديلمي من وجه آخر مرفوعا عن أنس تفكر ساعة في اختلاف الليل والنهار خير من عبادة ثمانين سنة. وأخرج أبو الشيخ في العظمة عن أبي هريرة قال قال رسول الله صلى الله عليه وسلم فكرة ساعة خير من عبادة ستين سنة.وفي تفسير القرطبيّ ج٤ ص٣١٤: روي عنه عليه السلام أنّه قال: تفكّر ساعة خير من عبادة سنة. وقال الآلوسيّ في روح المعاني ج١٢ ص١١: وفي بعض الآثار تفكّر ساعة يعدل عبادة سبعين سنة. وفي مرقاة المفاتيح ج١ ص٣٤٢: كما ورد تفكّر ساعة خير من عبادة سنة أو ستّين سنة.

٢ – التبيان في آداب حملة القرآن ، النووي ، ص ٨٢

فيها الفكر بحثاً عن الأمور المتعلّقة بمصير الإنسان؛ قال القرطبيّ في تفسيره:" قوله تعالى: (لَوْ أَنزَلْنَا هَذَا الْقُرْآنَ عَلَى جَبَلٍ لَّرَأَيْتَهُ خَاشِعاً﴾ حثّ على تأمّل مواعظ القرآن وبيّن أنّه لاعذر في ترك التدبّر، فإنّه لو خوطب بهذا القرآن الجبال مع تركيب العقل فيها لانقادت لمواعظه، ولرأيتهاعلى صلابتها ورزانتها خاشعة متصدّعة، أي متشقّقة من خشية الله والخاشع الذّليل. والمتصدّع المتشقّق. وقيل(خاشعا﴾ لله بما كلّفه من طاعته. (متصدّعا﴾من خشية الله أن يعصيه فيعاقبه. وقيل: هو على وجه المثل للكفّار"[1]. وقال أيضاً:" ثمّ عاب المنافقين بالإعراض عن التّدبّر في القرآن والتّفكّر فيه وفي معانيه. تدبّرت الشّيء فكّرت في عاقبته. وفي الحديث (لا تدابروا) أي لا يولّي بعضكم بعضا دبره. وأدبر القوم مضى أمرهم إلى آخره. والتّدبير أن يدبّر الإنسان أمره كأنّه ينظر إلى ماتصير إليه عاقبته. ودلّت هذه الآية وقوله تعالى: (أَفَلا يَتَدَبَّرُونَ الْقُرْآنَ أَمْ عَلَى قُلُوبٍ أَقْفَالُهَا﴾ على وجوب التّدبّر في القرآن ليعرف معناه. فكان في هذا ردٌّ على فساد قوْل من قال: لا يؤخذ من تفسيره إلاّ ما ثبت عن النبيّ(ص)، ومنع أن يتأوّل على ما يسوغه لسان العرب. وفيه دليل على الأمر بالنّظر والاستدلال وإبطال التّقليد وفيه دليل على إثبات القياس " [2].قلتُ: وعلى هذا أكثر العلماء، وفي مسألة الدّلالة على القياس خلاف[3]. وفي الحقيقة يكاد أمر التّدبّر يكون

---

[1]- تفسير القرطبي، ج ١٨ ص٤٤.

[2]- نفس المصدر ، ج ٥ ص ٢٩٠.

[3]- القياس (بالمعنى الذي يقصده القرطبيّ ومدرسته) باطل في مدرسة أهل البيت عليهم السلام، والقول في ذلك مبسوط في كتب الفقه والأصول.

بديهيّاً، فإنّه لا يُعقل أن يذمّ الله تعالى قوما لتركهم شيئا ثمّ يحول بينهم وبينه بالحظر، لما في ذلك من التّغرير، تعالى الله عمّا يصف الجاهلون.

لكنّ عمليّة التّدبّر إذا واجهت مبادئ وأصولاً اعتقاديّة متضاربةً لا تلبث أن تفقد وضوح الرّؤية وسهولة الفهم، وتتحوّل إلى صراع داخليّ عنيف قد ينعكس على سلوك صاحبه، ويكون سببا في ضياعه بدل أن يكون سببا في هدايته وثَباته. وعليه يغدو التّدبّر نافعا إذا لم تسبقه أحكام وآراء ونظريّات مؤثّرة، توجّهه وتتحكّم في نتائجه؛ أمّا في ظلّ وجودها فلا يكون التّدبّر هادفا متوازنا، ولا تكون النّتيجة سوى بروز كَوَامِن آثار تلك النظريّات وإفرازاتها. ويبدو لي ـ من منظور تربويّ ـ أنّ تجنّب ذلك التّأثير الكامن يستلزم عمليّة تربويّة في مرحلة مناسبة من العمر، كيما يتحقّق الاستقلال الفكريّ، وهو ما يضمن التدبّر الصّحيح في ظلّ الفهم الذي يتبنّاه المتدبّر ويراه صحيحا؛ فإنّ كثيرا من النّاس يعتقدون أنّهم أحرار فكريّا وليسوا كذلك، لأنّهم لايستطيعون الدّفاع عن متبنّياتهم إلاّ على جهة التّقليد؛ ومعناه أنّ تقريراتهم وتبريراتهم لا تعدو محفوظات توضع في قوالب وخانات معيّنة، لتملأ فراغا فكريّا يرفض التّجديد.. وطالما حدّثنا التّاريخُ عن أقوامٍ عبدُوا الله تعالى منْ دون تفكّر فضلّوا وأضلُّوا، كما حدّثنا عن أقوامٍ استمعوا القول واتّبعوا أحسنه فنالوا خير الدّنيا وفوز الآخرةِ. وقد ضمن الله تعالى حدّا أدنى من القرآن قابلا للتّدبّر والاستفادة من طرف كلّ من يفهم اللّغة العربيّة التي نزل بِها، ولا يبعد أن يكون ذلك متيسّرا في مترجمه أيضا إذا جرت الترجمة بنَفَس أمين. وقبل الدّخول في ما وضع له الكتاب لابأس بالتّذكير أنّ مباني المفسّرين الاعتقاديّة وانتماءاتهم المذهبيّة كانت حاضرة ناطقة في تعابيرهم، جليّة التّأثير لاتخفى على من أمعن النّظر وأعمل الفكر. ولا

شكّ أنّ الموضوعيّة والانتماء المذهبيّ لا يجتمعان إلاّ إذا كان المذهب مبنيّا علي الحقّ ماشيا مع القرآن دائرا معه حيث دار، وكان الباحث باذلا وسعه في ملازمة الحقّ ملازمة الظلّ لشخصه. غير أنّه من الصّعب الفصل بين ثقافة المفسّر وبين رؤيته التّفسيريّة، إذ لايمكن أن يكون هو هو وغيره في نفس الوقت، وهذا أمر مشهود بالوجدان، لكن مع ذلك لايحول شيء دون توخّي الموضوعية والإنصاف قدر المستطاع، بدليل قوله تعالى(بَلِ الإِنسَانُ عَلَى نَفسه بَصِيرَةٌ ﴾ وقوله تعالى(وَلاَ يَجْرِمَنَّكُمْ شَنَآنُ قَوْمٍ عَلَى أَلاَّ تَعْدِلُواْ اعْدلُواْ هُوَ أَقْرَبُ لِلتَّقْوَى ﴾، فلو كان العدل ممتنعا لما كلّف به سبحانه وتعالى، لقبح التّكليف بغير المقْدور ونفور الفطْرة منه. كما أنّ في قوله(بَلِ الإِنسَانُ عَلَى نَفْسِهِ بَصِيرَةٌ ﴾ إشارة إلى القوّة المعنويّة التي أودعها الله تعالى في ضمير الإنسان، فإنّه يصعب عليه مخادعة نفسه ومغالطتها دون الانسلاخ من الحقّ والانخراط في الباطل. والذي تأكّد لديّ أثناء البحث، هو أنّ معتقَد الإنسان يوجّه تفكيره وفهمه بدرجة كبيرة، وقد يساعد على ذلك كثرة اللّجوء إلى التّأويل، وما يشاع في أيّامنا من تعدّد القراءات والرُّؤى؛ وأضرب ههنا مثالا لذلك من واقع المدارس الفكريّة المتقابلة: فالشّيعيّ ـ مثلا ـ لأنّه معتقد بعصمة أهل البيت عليهم السلام يفكّر في ضوء العصمة ويهتدي بمعالمها، فيستفيد منها أثناء البحث والتفكّر. لكنّه إذا طولب بإثبات العصمة يتحوّل إلى عقلانيّ محض، والعقلانيّ هنا بمعنى من يستعمل المسلّمات العقليّة بطريقة صحيحة لإثبات المطلوب. فإذا ثبتت العصمة بالدّليل العقليّ جاءت الأدلّة النّقليّة تؤيّدها وتثبّت قلب المعتقد بها. فالاعتقاد بعصمة الأئمّة ههنا وإن كان له الأثر البالغ في توجيه فكر من يتبنّاه، لم يمنعه من افتراض العكس وإثبات المطلوب.

هذا النّوع من الاستدلال لا يُعمل به لدى جميع مدارس أهل القبلة، وإن كان يفترض فيهم ذلك. فالذين يؤمنون بعدالة جميع الصّحابة لايستطيعون إثبات ذلك عقلا ولو كان بعضهم لبعض ظهيرا، وأمّا من جهة النّقل فالحديث ذو شجون. وحتى لا يكون الكلام رجما بالغيب هذا مثال لما جاء بخصوص ذلك في كتب التّفسير: قال الرّازيّ في التفسير الكبير: وقوله تعالى ﴿وَعَدَ الله الذين آمَنُواْ وَعَمِلُواْ الصَّالِحَاتِ) أي وعد ليغيظ بهم الكفّار يقال رغما لأنفك أنعم عليه، وقوله تعالى﴿مِنْهُم مغفِرَةً وَأَجْراً عَظِيماً) لبيان الجنس لا للتّبعيض، ويُحتمل أن يُقال هو للتّبعيض ومعناه ليغيظ الكفّار والذين آمنوا من الكفّار لهم الأجر العظيم، والعظيم والمغفرة قد تقدّم مرارا والله تعالى أعلم"[1]. وقال الزمخشريّ في تفسيره (الكشّاف): قوله ليغيظ بِهِم الكفّار تعليل لماذا قلت لما دلّ عليه تشبيههم بالزّرع من نمائهم وترقّيهم في الزّيادة والقوّة، ويجوز أن يعلّل به وعد الله الذين آمنواْ لأنّ الكفّار إذا سمعوا بما أعدّ لهم في الآخرة مع ما يعزّهم به في الدّنيا غاظهم ذلك ومعنى منهم البيان كقوله تعالى فاجتنبواْ الرّجس من الأوثان "[2] .

وقال أبو السعود:" في تفسير قوله تعالى ﴿وعد الله الذين آمنوا منكم وعملوا الصالحات ليستخلفنّهم في الأرض...) والمراد بالذين آمنوا كلّ من اتّصف بالإيمان بعد الكفر على الإطلاق من أيّ طائفة كان وفي أيّ وقت كان، لا من آمن من طائفة المنافقين فقط، ولا من آمن بعد نزول الآية الكريمة

---

[1] ـ التفسير الكبير ـ الرازي ، ج٢٨ ص٩٤.

[2] – الكشاف ـ الزّمخشريّ ، ج٤ ص٣٥٠.

فحسب، ضرورة عموم الوعد الكريم للكلّ كافّة[!][1]. فالخطاب في منكم لعامّة الكفرة لا للمنافقين خاصّة و(من) تبعيضيّة وعملوا الصّالحات عطف على آمنوا داخل معه في حيّز الصّلة وبه يتمّ تفسير الطّاعة التي أمر بها ورتّب عليها ما نظم في سلك الوعد الكريم كما أشير إليه. وتوسيط الظّرف بين المعطوفين لإظهار أصالة الإيمان وعراقته في استتباع الآثار والأحكام، وللإيذان بكونه أوّل ما يطلب منهم وأهمّ ما يجب عليهم؛ وأمّا تأخيره عنهما في قوله تعالى وعد الله الذين آمنوا وعملوا الصّالحات منهم مغفرة وأجرا عظيما فلأنّ (مِنْ) هناك بيانيّة[2]، والضّمير الذين معه(ص) من خُلَّص المؤمنين، ولا ريب في أنّهم جامعون بين الإيمان والأعمال الصّالحة مثابرون عليهما[!]، فلا بدّ من ورود بيانهم بعد ذكر نعوتهم الجليلة بكمالها. هذا ومن جعل الخطاب للنّبيّ(ص) وللأمّة عموما على أن من تبعيضية أو له(ص) ولمن معه من المؤمنين خصوصا على أنّها بيانيّة فقد نأى عمّا يقتضيه سياق النّظم الكريم وسياقه بمنازل،وأبعد

---

[1] ـــ هذا وأمثاله ممّا يتعارض مع العدل الإلهيّ إن كان يريد بعموم الوعد ما يصحّح به عدالة جميع الصّحابة، فإنّه لابد من العمل الصّالح مع الإيمان؛ وقد ذكر القرآن الكريم (**الَّذِينَ آمَنُواْ ثُمَّ كَفَرُواْ ثُمَّ آمَنُواْ ثُمَّ كَفَرُواْ ثُمَّ ازْدَادُواْ كُفْرًا** ...)(النساء ١٣٧)فدلّ هذا على أنّ الإيمان قد يعقبه كفر، فلا بدّ من الإيمان والعمل الصالح والثّبات عليهما إلى أن يخرج المكلف من الدّنيا.وقد اعتمدت المرجئة على تعابير مشابهة في دعوى عقائدهم، ولا يبعد أن يكون لكعب الأحبار ومن على شاكلته يد في ذلك.

[2] ـ للتّذكير قال ابن عقيل في شرح الألفيّة [تجئ " من " للتّبعيض، ولبيان الجنس، ولابتداء الغاية: في غير الزّمان كثيراً، وفي الزّمان قليلا، وزائدة. فمثالها للتّبعيض قولك: " أخذت من الدّراهم " ومنه قوله تعالى: (ومن النّاس من يقول آمنّا بالله). ومثالها لبيان الجنس قوله تعالى: (فاجتنبوا الرجس من الأوثان). ومثالها لابتداء الغاية في المكان قوله تعالى: (سبحان الذي أسرى بعبده ليلا من المسجد الحرام إلى المسجد الأقصى). ومثالها لابتداء الغاية في الزّمان قوله تعالى: (لمسجد أسّس على التّقوى من أوّل يوم أحقّ أن تقوم فيه..] شرح ابن عقيل ـــ ج ٢ ص ١٥.

عما يليق بشأنه(ص) بمراحل"[1]. وفي تفسير الجلالين:﴿وَعَدَ الله الذين آمَنُوا وَعَمِلُوا الصَّالِحَاتِ مِنْهُم) الصّحابة ومن لبيان الجنس لا للتّبعيض، لأنّهم كلّهم بالصّفة المذكورة[2]. مغفرةً وأجراً عظيماً الجنّة وهما لمَن بعدهم أيضا"[3]. لكن السّمعانيّ يقول:" وقوله ﴿وعد الله الذين آمنوا وعملوا الصّالحات منهم مّغفرة وأجرا عظيما) اختلفوا في قوله منهم فقال قوم من هاهنا للتّجنيس لا للتّبعيض، قال الزّجاج هو تخليص للجنس وليس المراد بعضهم لأنّهم كلّهم مؤمنون ولهم المغفرة والأجر العظيم. وعن ابن عروة قال كنّا عند مالك بن أنس فذكروا رجلا يتبغّض أصحاب رسول الله فقال مالك: من أصبح وفي قلبه غيظ على أصحاب رسول الله فقد أصابته هذه الآية وهو قوله ليغيظ بهم الكفّار. والقول الثّاني أنّ معنى قوله منهم أي من ثبت منهم على الإيمان والعمل الصّالح فله المغفرة والأجر العظيم، أورده النّحّاس في تفسيره. وقال الطّبريّ: وقوله وعد الله الذين آمنوا وعملوا الصالحات منهم مغفرة وأجرا عظيما يقول تعالى ذكره وعد الله الذين صدقوا الله ورسوله وعملوا الصالحات يقول وعملوا بما أمرهم الله به من فرائضه التي أوجبها عليهم، وقوله منهم يعني من الشّطء الذي أخرجه الزرع وهم الدّاخلون في الإسلام بعد الزّرع الذي وصف ربّنا تبارك وتعالى صفته، والهاء والميم في قوله منهم عائدة على معنى الشّطء لا على لفظه، ولذلك جمع فقيل منهم ولم يقل منه، وإنّما جمع الشّطء لأنّه أريد به من يدخل في دين محمّد إلى يوم القيامة بعد الجماعة الذين وصف الله صفتهم بقوله والذين معه

---

[1] – تفسير أبي السعود، ج٦ ص١٩٠.

[2] ـ هذا السيوطي على جلالة قدره يستدلّ بما لم يثبت لا عقلاً ولا نقلاً.

[3] ـ تفسير الجلالين ، ج١ ص٦٨٤.

أشدّاء على الْكفّارِ رحماء بينهم تراهم ركّعا سجّدا "[1].

ولأنّ عدالة جميع الصّحابة معتقد متحكّم في تفكير أصحابه فقد انجرّ كثير من النّحاة أيضا وراء (البيانيّة) بدل (التّبعيضيّة)، فهذا ابن هشام الذي يقول عنه ابن خلدون " أنحى من سيبويه" يورد كلام ابن الأنباريّ فيقول: وفي كتاب المصاحف لابن الأنباريّ أنّ بعض الزّنادقة تمسّك بقوله تعالى﴿وَعَدَ الله الذين آمنوا وعملوا الصّالِحَات منهم مَّغفرة) في الطّعن على بعض الصّحابة، والحقّ أنّ من فيها للتّبيين ولا للتّبعيض، أي الذين آمنوا هم هؤلاء، ومثله الذين استجابوا لله والرسول من بعد ما أصابهم القرح للذين أحسنوا منهم واتّقوا أجر عظيم، وكلّهم محسن ومُتّق[!]إن لم ينتهوا عما يقولون ليمسّنّ الذين كفروا منهم عذاب أليم فالمقول فيهم ذلك كلّهم كفّار "[2].

غير أنّ ابن الأنباريّ وابن هشام يقفان مكتوفي الأيدي أمام الحديث الذي رواه البخاريّ: "حدّثنا أحمد بن صالح حدّثنا ابن وهب قال أخبرني يونس عن ابن شهاب عن ابن المسيّب أنّه كان يحدّث عن أصحاب النّبيّ(ص) أنّ رسول الله(ص) قال: يرد عليّ الحوض رجال من أصحابي فيحلؤون عنه فأقول يا ربّ أصحابي فيقول إنّك لا علم لك بما أحدثوا بعدك إنّهم ارْتدّوا على أدبارهم القهقرى. وقال شعيب عن الزهريّ كان أبو هريرة يحدّث عن النّبيّ(ص) فيجلون، وقال عقيل فيحلؤون.."[3]. فهذا الحديث صريح في أنّهم ارتدّوا على أدبارهم، وعبارة (ارتدّوا) هي التي استعملها النّبيّ(ص)، وهي خطيرة في المقام.

---

[1] ـ تفسير السمعاني، ج٥ ص٢١٠.

[2] – مغني اللبيب ابن هشام ، ج١ ص٤٢١.

[3] – صحيح البخاري، ج٥ ص٢٤٠٧ الحديث رقم ٦٢١٤.

وفي الحديث قول النّبيّ(ص) (رجال من أصحابي)، فهُمْ من أصحابه، وعبارة (الأصحاب) لا تُطلق على كلّ أتباع النّبيّ(ص)، وإنّما تُطلق على من كانوا معه في حياته. فإذا كان المتمسّك بالآية للطّعن في بعض الصّحابة زنديقاً، فكيف يصنع ابن الأنباريّ مع رسول الله(ص) وهو يذكر أنّهم ارتدّوا على أدبارهم القهقرى؟!

وفي صحيح البخاري أيضاً:"...ثمّ إذا زُمرةٌ حتّى إذا عرفتُهم خرجَ رَجلٌ من بيني وبينهم فقال هلمّ. قلتُ أين؟ قال إلى النّار والله. قلت ما شأنهم؟ قال إنّهم ارتدّوا بعدك على أدبارهم القهقرى؛ فلا أراه يخلص منهم إلاّ مثل همل النّعم "[1].

قال ابن حجر في فتح الباري: " وفي حديث أبي سعيد في باب صفة النّار أيضا فيقال إنّك لا تدري ما أحدثوا بعدك فأقول سحقا سحقا لمن غيّر بعدي. وزاد في رواية عطاء بن يسار فلا أراه يخلص منهم إلاّ مثل هَمَل النّعم. ولأحمد والطّبرانيّ من حديث أبي بكرة رفعه ليردنّ عليّ الحوض رجال ممّن صحبني ورآني وسنده حسن. وللطّبرانيّ من حديث أبي الدّرداء نحوه وزاد فقلت يا رسول الله أُدعُ الله أن لا يجعلني منهم قال لستَ منهم، وسنده حسن"[2]. فالقول بعدالة جميع الصّحابة ونجاتهم بعد الاطّلاع على هذه الأحاديث وأمثالها لا يكون إلا من عَمَى البصيرة، أو العناد الذي لا علاج له.

---

[1] ـ صحيح البخاري ، ج ٧ ص ٢٠٩.

[2] ـ فتح الباري ، ابن حجر، ج ١١ ص ٣٣٣.

بخصوص ما جرى بين الصّحابة

روي الطّبرانيّ في المعجم الكبير: عنْ عبدِ الرحمن بن جابرٍ عن أبيه قال: كانَ بين عمّارِ بن ياسرٍ ووديعة بن ثابت كلام فقال وديعة لعمّارٍ: إنّما أنت عبد أبي حذيفة بن المغيرة ما أعتقك بعد! قال عمّار: كم كان أصحاب العقبة؟ فقال: الله أعلم. قال: أخبِرني عن علمك. فسكت وديعة، فقال من حضره: أخبِره عمّا سألك. وإنّما أراد عمّار أن يخبره أنّـه كان فيهِم[!!]فقال: كنّا نتحدّث أنّهم أربعة عشررجلا! فقال عمّار: فإن كنت فيهِم فإنّهم خمسة عشر. فقال وديعة: مهلا يا أبا اليقظان، أنشدك الله أن تفضحني. فقال عمّار: والله ما سمّيت أحدا ولا أسمّيه أبدا، ولكنّي أشهد أنّ الخمسة عشر رجلا اثنا عشر منهم حرب لله ولرسوله في الحياة الدّنيا ويوم يقوم الأشهاد "[1].

وإنّما ذكرت هذا الحديث في البداية ليكون القارئ على علم بما كان بين الصّحابة من خلاف وتكتّم يصل أحيانا إلى الاتّهام في الدّين،كما هو واضح من كلام عمّار بن ياسرٍ رضي الله تعالى عنهما، فإنّه يقول عن أصحابِ العقبة إنّهم حرب لله ولرسوله في الدّنيا ويوم يقوم الأشهاد. وشهادة عمّارِ بن ياسرٍ لا تردّ لأنّ رسول الله شهِد له بالإيمان، وأنّه " ملئ إيمانا من رأسه إلى أخمص قدمه". وليس من شأن عمّارِ بن ياسرٍأن يتّهم الأبرياء ولا أن يتحرّش بالمؤمنين الصّادقين، وهو الذي لقي في سبيل الله ما لقي، ولم يزل يجاهد نفسه للثّبات على النّهج القويم والصّراط المستقيمِ، حتّى لقي الله صابرا محتسبا قد باءت الفئة الباغية بقـتله، وانتفع المؤمنون بمواقفِه المشهودةِ؛ خصوصا أنّه كان ولا يزالُ وسَيَبْقَى العلامةَ الفاصلةَ بينَ الفئتين: الباغية والمهْتدية. والعجيبُ في الحديث

---

[1] – المعجم الكبير ، الطّبرانيّ ، ج٣ ص١٦٦.

المذكور هو ذلك التّحوّل السّريع في سلوك وديعة مع عمار بن ياسر رضي الله عنهما، فإنّ الرّجل بعد أن كان يحتقر عمّارا ويقول له بكلّ وضوح إنّما أنت عبد أبي حذيفة، إذا به فجأة يكنّيه ويقول: ياأبا اليقظان وينشده الله تعالى!!

هذه إذاً شهادة من عمّار بن ياسر على اثني عشر رجلاً من الصّحابة أنّهم حرب لله ورسوله في الحياة الدّنيا ويوم يقوم الأشهاد. ولم يُذكر هؤلاء الأربعة عشر رجلا بأسمائهم في تراجم الرّجال، وهذا معناه أنّ الشّبهة تبقى قائمة: لدينا اثنا عشر رجلا من الصّحابة حرب لله ورسوله في الحياة الدنيا ويوم يقوم الأشهاد. وقوله " ويوم يقوم الأشهاد " يعني أنّهم من أصحاب الخاتمة السّيّئة. وهذا وحده قادحٌ في ما يقال عن عدالة جميع الصّحابة، فإنّ الاثني عشر رجلا المذكورين جزء من هذا الجميع، وهم حرب له ورسوله، والعدالة تتنافى مع محاربة الله ورسوله، والسّالبة الجزئيّة تنقض الموجبة الكلّيّة، فلا يبقى لعدالة جميع الصّحابة معْنى عند أولي الألباب.

قال ابن أبي الحديد:" ذكر شيخنا أبو جعفر الإسكافيّ رحمه الله تعالى ـ وكان من المتحقّقين بموالاة عليّ عليه السلام، والمبالغين في تفضيله، وإن كان القول بالتّفضيل عامّا شائعا في البغداديّين من أصحابنا كافّة، إلاّ أنّ أبا جعفر أشدّهم في ذلك قولا، وأخلصهم فيه اعتقادا ـ أنّ معاوية وضع قوما من الصّحابة وقوما من التّابعين على رواية أخبار قبيحة في عليّ عليه السلام، تقتضي الطّعن فيه والبراءة منه، وجعل لهم على ذلك جعلا يرغب في مثْله، فاختلقوا ما أرضاه، منهم أبوهُريرة وعمرو بن العاص والمغيرة بن شعبة، ومن التّابعين عروة بن الزّبير"[1]. وهذا معناه أنّ تيقّن الجماعة أنّ عليّا يحبّ الله ورسوله ويحبّه الله

---

[1] – شرح نهج البلاغة، ابن أبي الحديد، ج ٤ ص ٦٣.

ورسوله لم يردعهم عن اختلاق الأحاديث للقدح فيه إرضاء لحاكم من بني أميّة[1]، وبما أنّ من كذب على النبيّ(ص) متعمّدا فليتبوأ مقعده من النار، وهؤلاء المذكورون يكذبون عليه متعمّدين إرضاء لحاكم من بني أمية، فإنّه لا يسعنا إلاّ أن نشكّك في سيرتهم وخاتمتهم.

إذا علم هذا وأمثاله، فلاشكّ أن يتعرّض تفسير القرآن الكريم للتّلاعب حينما يكون على رأس الدّولة الإسلاميّة متلاعبون بالدّين مجاهرون بِذلك يقرِّبون المنحرفين ويستخِفّون بالمؤمنين. ولاريب أن يستغلّ المغرضون وأصحاب الغايات الفرص السّانحة لتحصيل مآربهم على حساب الدّين. قال ابن أبي الحديد:" قال أبوجعفر: وقد روي أنّ معاوية بذل لسمرة بن جندب مائة ألف درهم حتى يروي أنّ هذه الآية نزلت في عليّ بن أبي طالب:(ومن النّاس من يعجِبك قوْله في الحياة الدّنيا ويشهِد الله على ما في قَلْبِهِ وَهُوَ أَلَدّ الخصَامِ. وَإِذَا تَوَلَّى سَعَى في الأَرْضِ لِيُفْسِدَ فِيهَا وَيُهْلِكَ الْحَرْثَ وَالنَّسْل وَالله لا يُحِبّ الْفَسَادَ)، وأنّ الآية الثّانية نزلت في ابن مُلْجم، وهي قولُه تعالى: (ومِنَ النَّاس مَنْ يَشْري نَفْسَهُ ابْتِغَاءَ مَرْضَاتِ الله)، فلم يقبل، فبذل له مائتي ألف درهم فلم يقبل، فبذل له ثلاثمائة ألف فلم يقبلَ، فبذل له أربعمائة ألف فقبل وروى ذلك "[2].

ولأنّ الاعتقاد بعدالة جميع الصّحابة له تأثيره في الفهم والتّأويل، فإنّه ـ بلا ريب ـ يؤثّر على الكاتب والقارئ جميعاً، خصوصا حينما يكون الكاتب مفسّرا للقرآن الكريم، يبيّن للنّاس ماذا أراد الله بقوله كذا في سورة كذا. لكنّ ذلك الاعتقاد يصطدم بآيات قرآنيّة كثيرة، ولا يصحّ الجمع بين النّظريّتين، نظريّة

---

١ – ومع ذلك لم يُذْكَر هؤلاء في الوضّاعين، لأنّ منهم من رأى رسول الله ومنهم من جدّه أبو بكر !

٢– شرح نهج البلاغة، ابن أبي الحديد، ج ٤ ص ٧٣.

عدالة جميع الصّحابة والحكم بنجاتهم جميعا، ونظريّة كونهم من المسلمين لهم ما للمسلمين، وعليهم ما عليهم، وإن حظوا دون غيرهم برؤية رسول الله(ص) والقرب منه وسماع صوته والحديث معه. وممّا يصطدم به الاعتقاد بعدالة جميع الصّحابة، ما أجمع عليه المفسرون من أنّ قوله تعالى في سورة الحجرات(إن جاءكم فاسق بنبإ فتبيّنوا...) آية نزلت في الوليد بن عقبة بن أبي معيط، فيكون الصحابيّ الأمويّ الوليد بن عقبة بن أبي معيط فاسقا بدليل الآية، والقرآن الكريم أخبر في سورة التّوبة أنّ الله لا يرضى عن القوم الفاسقين(فإن ترضوا عنهم فإن الله لا يرضى عن القوم الفاسقين). فكيف يخبر المولى سبحانه وتعالى عباده أنّه لا يرضى عن القوم الفاسقين ثمّ يشير إلى أحدهم ويصفه بالفسق، ثمّ يطالب المصدّقين بكتابه الكريم أن يعتقدوا بعدالة الفاسق ويترضّوا عنه ويعتقدوا بنجاته من العقاب وخلوده في النّعيم؟!

الفصل الأوّل

- القلب والقلوب في القرآن الكريم
- كلام في المرض

الـ (قَلْب) و الـ (قُلُوب) جاءتْ في القرآن على النحوِ التّالي:

(قُلُوبهمْ): ٦٥ مرّة و(قُلُوبكم): ١٤ مرّة و(قُلُوبنا): ٦ مرّات و(قَلْبك): (٢) مرّتين و(قَلْبه) ٥ مرّات و(قَلْبي): مرّة واحدة و(قُلُوب): ١٥مرّة و(القَلْب): مرّة واحدة و(القُلُوب): ٦ مرّات و(قَلْبين): مرّة واحدة و(بِقَلْب) (٢) مرّتين و(قَلْبها) مرّة واحدة و(قُلُوبُكما) مرّة واحدة.

وكلمة قلوب وردت (بصيغة الجمع) معرّفة، ومُنوّنة (نَكِرَةً)، ومُضافة؛ وفي كلِّ ذلك كانتْ محلاّ لأمور معنويّة بعضها في غاية الحسْن وبعضها الآخر في غاية السوء. وبتتبُّع السِّياق يتبيّن أنّها تكاد تتّفق على الإشارة إلى النّيّاتِ الباعثة على العمل أيّا كانَ نوعه. والآيات كما يلي:

ـــ خَتَمَ اللهُ عَلَى قُلُوبهمْ وَعَلَى سَمْعِهِمْ وَعَلَى أَبْصَارِهِمْ غِشَاوَةٌ وَلَهُمْ عَذَابٌ عَظِيمٌ [البقرة٧].

ـــ فِي قُلُوبهمْ مرض فَزَادَهُمُ اللهُ مَرَضاً وَلَهُم عَذَابٌ أَلِيمٌ بِمَا كَانُوا يَكْذِبُونَ [البقرة ١٠].

ـــ وَإِذْ أَخَذْنَا مِيثَاقَكُمْ وَرَفَعْنَا فَوْقَكُمُ الطُّورَ خُذُواْ مَا آتَيْنَاكُم بِقُوَّةٍ وَاذْكُرُواْ مَا فِيهِ لَعَلَّكُمْ تَتَّقُونَ[البقرة ٦٣].

ـــ وَإِذْ أَخَذْنَا مِيثَاقَكُمْ وَرَفَعْنَا فَوْقَكُمُ الطُّورَ خُذُواْ مَا آتَيْنَاكُم بِقُوَّةٍ وَاسْمَعُواْ قَالُواْ سَمِعْنَا وَعَصَيْنَا وَأُشْرِبُواْ فِي قُلُوبهمْ الْعِجْلَ بِكُفْرِهِمْ قُلْ بِئْسَمَا يَأْمُرُكُمْ بِهِ إِيمَانُكُمْ إِن كُنتُمْ مُّؤْمِنِين[البقرة ٩٣].

ـــ وَقَالَ الذين لاَ يَعْلَمُونَ لَوْلاَ يُكَلِّمُنَا اللهُ أَوْ تَأْتِينَا آيَةٌ كَذَلِكَ قَالَ الذين مِن

قَبْلِهِم مِّثْلَ قَوْلِهِمْ تَشَابَهَتْ قُلُوبهمْ قَدْ بَيَّنَّا الآيَاتِ لِقَوْمٍ يُوقِنُونَ[البقرة١١٨].

ـــ هُوَ الَّذِي أَنزَلَ عَلَيْكَ الْكِتَابَ مِنْهُ آيَاتٌ مُّحْكَمَاتٌ هُنَّ أُمُّ الْكِتَابِ وَأُخَرُ مُتَشَابِهَاتٌ فَأَمَّا الذين في قُلُوبهمْ زَيْغٌ فَيَتَّبِعُونَ مَا تَشَابَهَ مِنْهُ ابْتِغَاءَ الْفِتْنَةِ وَابْتِغَاءَ تَأْوِيلِهِ وَمَا يَعْلَمُ تَأْوِيلَهُ إِلاَّ اللهُ وَالرَّاسِخُونَ فِي الْعِلْمِ يَقُولُونَ آمَنَّا بِهِ كُلٌّ مِّنْ عِندِ رَبِّنَا وَمَا يَذَّكَّرُ إِلاَّ أُوْلُواْ الأَلْبَابِ [آل عمران ٧].

ـــ يَاأَيُّهَا الذين آمَنُواْ لاَ تَكُونُواْ كَالذين كَفَرُواْ وَقَالُواْ لإِخْوَانِهِمْ إِذَا ضَرَبُواْ فِي الأَرْضِ أَوْ كَانُواْ غُزًّى لَّوْ كَانُواْ عِندَنَا مَا مَاتُواْ وَمَا قُتِلُواْ لِيَجْعَلَ اللهُ ذَلِكَ حَسْرَةً فِي قُلُوبهمْ وَاللهُ يُحْيِي وَيُمِيتُ وَاللهُ بِمَا تَعْمَلُونَ بَصِيرٌ[آل عمران ١٥٦].

ـــ وَلْيَعْلَمَ الذين نَافَقُواْ وَقِيلَ لَهُمْ تَعَالَوْاْ قَاتِلُواْ فِي سَبِيلِ الله أَو ادْفَعُواْ قَالُواْ لَوْ نَعْلَمُ قِتَالاً لاتَّبَعْنَاكُمْ هُمْ لِلْكُفْرِ يَوْمَئِذٍ أَقْرَبُ مِنْهُمْ لِلإِيمَانِ يَقُولُونَ بِأَفْوَاهِهِم مَّا لَيْسَ فِي قُلُوبهمْ وَاللهُ أَعْلَمُ بِمَا يَكْتُمُون.[آل عمران ١٦٧].

ـــ أُولَـئِكَ الذين يَعْلَمُ اللهُ مَا فِي قُلُوبهمْ فَأَعْرِضْ عَنْهُمْ وَعِظْهُمْ وَقُل لَّهُمْ فِي أَنفُسِهِمْ قَوْلاً بَلِيغًا[النساء٦٧].

ـــ فَبِمَا نَقْضِهِم مِيثَاقَهُمْ لَعنَّاهُمْ وَجَعَلْنَا قُلُوبهمْ قَاسِيَةً يُحَرِّفُونَ الْكَلِمَ عَن مَّوَاضِعِهِ وَنَسُواْ حَظًّا مِّمَّا ذُكِّرُواْ بِهِ وَلاَ تَزَالُ تَطَّلِعُ عَلَى خَآئِنَةٍ مِّنْهُمْ إِلاَّ قَلِيلاً مِّنْهُمُ فَاعْفُ عَنْهُمْ وَاصْفَحْ إِنَّ اللهَ يُحِبُّ الْمُحْسِنِينَ [المائدة ١٣].

ـــ يا أَيُّهَا الرَّسُولُ لاَ يَحْزُنكَ الذين يُسَارِعُونَ فِي الْكُفْرِ مِنَ الذين قَالُواْ آمَنَّا بِأَفْوَاهِهِمْ وَلَمْ تُؤْمِن قُلُوبهمْ وَمِنَ الذين هَادُواْ سَمَّاعُونَ لِلْكَذِبِ سَمَّاعُونَ لِقَوْمٍ آخَرِينَ لَمْ يَأْتُوكَ يُحَرِّفُونَ الْكَلِمَ مِن بَعْدِ مَوَاضِعِهِ يَقُولُونَ إِنْ أُوتِيتُمْ هَـذَا فَخُذُوهُ وَإِن لَّمْ تُؤْتَوْهُ فَاحْذَرُواْ وَمَن يُرِدِ اللهُ فِتْنَتَهُ فَلَن تَمْلِكَ لَهُ مِنَ الله شَيْئًا أُوْلَـئِكَ الذين لَمْ يُرِدِ اللهُ أَن يُطَهِّرَ قُلُوبهمْ لَهُمْ فِي الدُّنْيَا خِزْيٌ وَلَهُمْ فِي الآخِرَةِ

عَذَابٌ عَظِيمٌ [المائدة٤١].

ـــ فَتَرَى الذين فِي قُلُوبهِمْ مرضٌ يُسَارِعُونَ فِيهِمْ يَقُولُونَ نَخْشَى أَن تُصِيبَنَا دَآئِرَةٌ فَعَسَى اللهُ أَن يَأْتِيَ بِالْفَتْحِ أَوْ أَمْرٍ مِنْ عِندِهِ فَيُصْبِحُواْ عَلَى مَا أَسَرُّواْ فِي أَنْفُسِهِمْ نَادِمِينَ [المائدة٥٢].

ـــ وَمِنْهُم مَّن يَسْتَمِعُ إِلَيْكَ وَجَعَلْنَا عَلَى قُلُوبهِمْ أَكِنَّةً أَن يَفْقَهُوهُ وَفِي آذَانِهِمْ وَقْراً وَإِن يَرَوْا كُلَّ آيَةٍ لاَّ يُؤْمِنُواْ بِهَا حَتَّى إِذَا جَآؤُوكَ يُجَادِلُونَكَ يَقُولُ الذين كَفَرُواْ إِنْ هَذَآ إِلاَّ أَسَاطِيرُ الأَوَّلِينَ [الأنعام ٢٥].

ـــ فَلَوْلا إِذْ جَاءهُمْ بَأْسُنَا تَضَرَّعُواْ وَلَـــكِن قَسَتْ قُلُوبهمْ وَزَيَّنَ لَهُمُ الشَّيْطَانُ مَا كَانُواْ يَعْمَلُون.[الأنعام ٤٣].

ـــ أَوَلَمْ يَهْدِ لِلَّذِينَ يَرِثُونَ الأَرْضَ مِن بَعْدِ أَهْلِهَا أَن لَّوْ نَشَاء أَصَبْنَاهُم بِذُنُوبِهِمْ وَنَطْبَعُ عَلَى قُلُوبهمْ فَهُمْ لاَيَسْمَعُون[الأعراف ١٠٠].

ـــ إِنَّمَا الْمُؤْمِنُونَ الذين إِذَا ذُكِرَ اللهُ وَجِلَتْ قُلُوبهمْ وَإِذَا تُلِيَتْ عَلَيْهِمْ آيَاتُهُ زَادَتْهُمْ إِيمَانًا وَعَلَى رَبِّهِمْ يَتَوَكَّلُونَ.[الأنفال٢].

ـ إِذْ يَقُولُ المنافقون وَالذين فِي قُلُوبهمْ مرض غَرَّ هَـؤُلاء دِينُهُمْ وَمَن يَتَوَكَّلْ عَلَى الله فَإِنَّ اللهَ عَزِيزٌ حَكِيمٌ [الأنفال ٤٩].

ـــ وَأَلَّفَ بَيْنَ قُلُوبهمْ لَوْ أَنفَقْتَ مَا فِي الأَرْضِ جَمِيعاً مَّا أَلَّفَتْ بَيْنَ قُلُوبهمْ وَلَـكِنَّ اللهَ أَلَّفَ بَيْنَهُمْ إِنَّهُ عَزِيزٌ حَكِيمٌ [الأنفال٦٣].

ـــ كَيْفَ وَإِن يَظْهَرُوا عَلَيْكُمْ لاَ يَرْقُبُواْ فِيكُمْ إِلاًّ وَلاَ ذِمَّةً يُرْضُونَكُم بِأَفْوَاهِهِمْ وَتَأْبَى قُلُوبهمْ وَأَكْثَرُهُمْ فَاسِقُونَ [التوبة٨].

ـــ وَيُذْهِبْ غَيْظَ قُلُوبهمْ وَيَتُوبُ اللهُ عَلَى مَن يَشَـــاء وَاللهُ عَلِيمٌ حَكِيمٌ [التوبة ١٥].

ـــ إِنَّمَا يَسْتَأْذِنُكَ الذين لاَ يُؤْمِنُونَ بِالله وَالْيَوْمِ الآخِرِ وَارْتَابَتْ قُلُوبهمْ فَهُمْ فِي رَيْبِهِمْ يَتَرَدَّدُونَ.[التوبة٤٥].

ـــ إِنَّمَا الصَّدَقَاتُ لِلْفُقَرَاء وَالْمَسَاكِين وَالْعَامِلِينَ عَلَيْهَا وَالْمُؤَلَّفَةِ قُلُوبهمْ وَفِي الرِّقَابِ وَالْغَارِمِينَ وَفِي سَبِيل الله وَابْن السَّبِيل فَرِيضَةً مِّنَ الله وَالله عَلِيمٌ حَكِيمٌ [التّوبة ٦٠].

ـــ يَحْذَرُ المنافقون أَن تُنَزَّلَ عَلَيْهِمْ سُورَةٌ تُنَبِّئُهُمْ بِمَا فِي قُلُوبهمْ قُلِ اسْتَهْزِؤُواْ إِنَّ الله مُخْرِجٌ مَّا تَحْذَرُونَ [التّوبة ٦٤].

ـــ فَأَعْقَبَهُمْ نِفَاقًا فِي قُلُوبهمْ إِلَى يَوْمِ يَلْقَوْنَهُ بِمَا أَخْلَفُواْ الله مَا وَعَدُوهُ وَبِمَا كَانُواْ يَكْذِبُونَ [التّوبة ٧٧].

ـــ رَضُواْ بِأَن يَكُونُواْ مَعَ الْخَوَالِفِ وَطُبِعَ عَلَى قُلُوبهمْ فَهُمْ لاَ يَفْقَهُونَ [التوبة٨٧].

ـــ لاَ يَزَالُ بُنْيَانُهُمُ الَّذِي بَنَوْاْ رِيبَةً فِي قُلُوبهمْ إِلاَّ أَن تَقَطَّعَ قُلُوبهمْ وَالله عَلِيمٌ حَكِيمٌ [التوبة ١١٠].

ـــ وَأَمَّا الذين فِي قُلُوبهمْ مرض فَزَادَتْهُمْ رِجْسًا إِلَى رِجْسِهِمْ وَمَاتُواْ وَهُمْ كَافِرُون[التوبة ١٢٥].

ـــ وَإِذَا مَا أُنزِلَتْ سُورَةٌ نَّظَرَ بَعْضُهُمْ إِلَى بَعْضٍ هَلْ يَرَاكُم مِّنْ أَحَدٍ ثُمَّ انصَرَفُواْ صَرَفَ الله قُلُوبهمْ بِأَنَّهُمْ قَوْمٌ لاَّ يَفْقَهُون [التوبة ١٢٧].

ـــ وَقَالَ مُوسَى رَبَّنَا إِنَّكَ آتَيْتَ فِرْعَوْنَ وَمَلأَهُ زِينَةً وَأَمْوَالاً فِي الْحَيَاةِ الدُّنْيَا رَبَّنَا لِيُضِلُّواْ عَن سَبِيلِكَ رَبَّنَا اطْمِسْ عَلَى أَمْوَالِهِمْ وَاشْدُدْ عَلَى قُلُوبهمْ فَلاَ يُؤْمِنُواْ حَتَّى يَرَوُاْ الْعَذَابَ الأَلِيمَ [يونس٨٨].

ـــ الذين آمَنُواْ وَتَطْمَئِنُّ قُلُوبهمْ بِذِكْرِ الله أَلاَ بِذِكْرِ الله تَطْمَئِنُّ الْقُلُوبُ

[الرعد ٢٨].

ـــــ إِلَهُكُمْ إِلَـهٌ وَاحِدٌ فَالذين لاَ يُؤْمِنُونَ بِالآخِرَةِ قُلُوبهمْ مُّنكِرَةٌ وَهُم مُّسْتَكْبِرُون[النّحل ٢٢].

ـــ أُولَـئِكَ الذين طَبَعَ اللهُ عَلَى قُلُوبهمْ وَسَمْعِهِمْ وَأَبْصَارِهِمْ وَأُولَـئِكَ هُمُ الْغَافِلُونَ [النحل١٠٨].

ـــ وَجَعَلْنَا عَلَى قُلُوبهمْ أَكِنَّةً أَن يَفْقَهُوهُ وَفِي آذَانِهِمْ وَقْرًا وَإِذَا ذَكَرْتَ رَبَّكَ فِي الْقُرْآنِ وَحْدَهُ وَلَّوْاْ عَلَى أَدْبَارِهِمْ نُفُورًا [الإسراء ٤٦].

ـــ وَرَبَطْنَا عَلَى قُلُوبهمْ إِذْ قَامُوا فَقَالُوا رَبُّنَا رَبُّ السَّمَاوَاتِ وَالأَرْض لَن نَّدْعُوَ مِن دُونِهِ إِلَهًا لَقَدْ قُلْنَا إِذًا شَطَطًا [الكهف ١٤].

ـ وَمَنْ أَظْلَمُ مِمَّن ذُكِّرَ بِآيَاتِ رَبِّهِ فَأَعْرَضَ عَنْهَا وَنَسِيَ مَا قَدَّمَتْ يَدَاهُ إِنَّا جَعَلْنَا عَلَى قُلُوبهمْ أَكِنَّـةً أَن يَفْقَهُوهُ وَفِي آذَانِهِمْ وَقْراً وَإِن تَـدْعُهُمْ إِلَى الْهُـدَى فَلَن يَهْتَدُوا إِذاً أَبَدًا [الكهف ٥٧].

ـــ لاهِيَةً قُلُوبهمْ وَأَسَرُّواْ النَّجْوَى الذين ظَلَمُواْ هَلْ هَذَا إِلاَّ بَشَرٌ مِّثْلُكُمْ أَفَتَأْتُونَ السِّحْرَ وَأَنتُمْ تُبْصِرُونَ.[الأنبياء٣].

ـــ الذين إِذَا ذُكِرَ اللهُ وَجِلَتْ قُلُوبهمْ وَالصَّابِرِينَ عَلَى مَا أَصَابَهُمْ وَالْمُقِيمِي الصَّلاةِ وَمِمَّا رَزَقْنَاهُمْ يُنفِقُونَ [الحج ٣٥].

ـــ لِيَجْعَلَ مَا يُلْقِي الشَّيْطَانُ فِتْنَةً لِّلَّذِينَ فِي قُلُوبهمْ مرض وَالْقَاسِيَةِ قُلُوبهمْ وَإِنَّ الظَّالِمِينَ لَفِي شِقَاقٍ بَعِيدٍ. [الحج ٥٣].

ـ وَلِيَعْلَمَ الذين أُوتُوا الْعِلْمَ أَنَّهُ الْحَقُّ مِن رَّبِّكَ فَيُؤْمِنُوا بِهِ فَتُخْبِتَ لَهُ قُلُوبهمْ وَإِنَّ اللهَ لَهَادِ الذين آمَنُوا إِلَى صِرَاطٍ مُّسْتَقِيمٍ [الحج ٥٤].

ـــ بَلْ قُلُوبهمْ فِي غَمْرَةٍ مِّنْ هَذَا وَلَهُمْ أَعْمَالٌ مِن دُونِ ذَلِكَ هُمْ لَهَا عَامِلُونَ.

[المؤمنون٦٣].

ـــ أَفِي قُلُوبهِمْ مرض أَمِ ارْتَابُوا أَمْ يَخَافُونَ أَن يَحِيفَ اللهُ عَلَيْهِمْ وَرَسُولُهُ بَلْ أُوْلَئِكَ هُمُ الظَّالِمُونَ.[النور ٥٠].

ـــ وَإِذْ يَقُولُ المنافقون وَالذين فِي قُلُوبهِمْ مرض مَّا وَعَدَنَا اللهُ ورَسُولُه إلاّ غُرُوراً [الأحزاب١٢].

ـــ وَأَنزَلَ الذين ظَاهَرُوهُم مِّنْ أَهْلِ الْكِتَابِ مِن صَيَاصِيهِمْ وَقَذَفَ فِي قُلُوبهِمْ الرُّعْبَ فَرِيقًا تَقْتُلُونَ وَتَأْسِرُونَ فَرِيقًا [الأحزاب ٢٦].

ـــ لَئِن لَّمْ يَنتَهِ المنافقون وَالذين فِي قُلُوبهِمْ مرض وَالْمُرْجِفُونَ فِي الْمَدِينَةِ لَنُغْرِيَنَّكَ بِهِمْ ثُمَّ لا يُجَاوِرُونَكَ فِيهَا إلاَّ قَلِيلاً [الأحزاب ٦٠].

ـــ وَلا تَنفَعُ الشَّفَاعَةُ عِندَهُ إلاَّ لِمَنْ أَذِنَ لَهُ حَتَّى إِذَا فُزِّعَ عَن قُلُوبهِمْ قَالُوا مَاذَا قَالَ رَبُّكُمْ قَالُوا الْحَقَّ وَهُوَ الْعَلِيُّ الْكَبِيرُ [سبإ ٢٣].

ـــ أَفَمَن شَرَحَ اللهُ صَدْرَهُ لِلإِسْلامِ فَهُوَ عَلَى نُورٍ مِّن رَّبِّهِ فَوَيْلٌ لِّلْقَاسِيَةِ قُلُوبهِمْ مِّن ذِكْرِ الله أُوْلَئِكَ فِي ضَلالٍ مُبِين [الزّمر٢٢].

ـــ وَمِنْهُم مَّن يَسْتَمِعُ إِلَيْكَ حَتَّى إِذَا خَرَجُوا مِنْ عِندِكَ قَالُوا لِلَّذِينَ أُوتُوا الْعِلْمَ مَاذَا قَالَ آنِفاً أُوْلَئِكَ الذين طَبَعَ اللهُ عَلَى قُلُوبهِمْ وَاتَّبَعُوا أَهْوَاءهُم [محمد ١٦].

ـــ وَيَقُولُ الذين آمَنُوا لَوْلا نُزِّلَتْ سُورَةٌ فَإِذَا أُنزِلَتْ سُورَةٌ مُّحْكَمَةٌ وَذُكِرَ فِيهَا الْقِتَالُ رَأَيْتَ الذين فِي قُلُوبهِمْ مرَضٌ يَنظُرُونَ إِلَيْكَ نَظَرَ الْمَغْشِيِّ عَلَيْهِ مِنَ الْمَوْتِ فَأَوْلَى لَهُمْ [محمد ٢٠].

ـ أَمْ حَسِبَ الذين فِي قُلُوبهِمْ مَرَضٌ أَن لَّن يُخْرِجَ اللهُ أَضْغَانَهُمْ [محمّد ٢٩].

ـــ سَيَقُولُ لَكَ الْمُخَلَّفُونَ مِنَ الأَعْرَابِ شَغَلَتْنَا أَمْوَالُنَا وَأَهْلُونَا فَاسْتَغْفِرْ لَنَا يَقُولُونَ

بِأَلْسِنَتِهِم مَّا لَيْسَ فِي قُلُوبهِمْ قُلْ فَمَن يَمْلِكُ لَكُم مِّنَ الله شَيْئًا إِنْ أَرَادَ بِكُمْ ضَرًّا أَوْ أَرَادَ بِكُمْ نَفْعًا بَلْ كَانَ اللهُ بِمَا تَعْمَلُونَ خَبِيرًا.[الفتح ١١].

ـــ لَقَدْ رَضِيَ اللهُ عَنِ الْمُؤْمِنِينَ إِذْ يُبَايِعُونَكَ تَحْتَ الشَّجَرَةِ فَعَلِمَ مَا فِي قُلُوبهِمْ فَأَنزَلَ السَّكِينَةَ عَلَيْهِمْ وَأَثَابَهُمْ فَتْحًا قَرِيبً [الفتح ١٨].

ـــ إِذْ جَعَلَ الذين كَفَرُوا فِي قُلُوبهِمْ الْحَمِيَّةَ حَمِيَّةَ الْجَاهِلِيَّةِ فَأَنزَلَ اللُه سَكِينَتَهُ عَلَى رَسُولِهِ وَعَلَى الْمُؤْمِنِينَ وَأَلْزَمَهُمْ كَلِمَةَ التَّقْوَى وَكَانُوا أَحَقَّ بِهَا وَأَهْلَهَا وَكَانَ اللهُ بِكُلِّ شَيْءٍ عَلِيمًا [الفتح ٢٦].

ـــ إِنَّ الذين يَغُضُّونَ أَصْوَاتَهُمْ عِندَ رَسُولِ الله أُوْلَئِكَ الذين امْتَحَنَ اللهُ قُلُوبَهمْ لِلتَّقْوَى لَهُم مَّغْفِرَةٌ وَأَجْرٌ عَظِيمٌ[الحجرات ٣].

ـــ أَلَمْ يَأْنِ لِلَّذِينَ آمَنُوا أَن تَخْشَعَ قُلُوبُهمْ لِذِكْرِ الله وَمَا نَزَلَ مِنَ الْحَقِّ وَلا يَكُونُوا كَالذين أُوتُوا الْكِتَابَ مِن قَبْلُ فَطَالَ عَلَيْهِمُ الأَمَدُ فَقَسَتْ قُلُوبُهمْ وَكَثِيرٌ مِّنْهُمْ فَاسِقُونَ [الحديد ١٦].

ـــ لا تَجِدُ قَوْمًا يُؤْمِنُونَ بالله وَالْيَوْمِ الآخِرِ يُوَادُّونَ مَنْ حَادَّ اللهَ وَرَسُولَهُ وَلَوْ كَانُوا آبَاءهُمْ أَوْ أَبْنَاءهُمْ أَوْ إِخْوَانَهُمْ أَوْ عَشِيرَتَهُمْ أُوْلَئِكَ كَتَبَ فِي قُلُوبهِمْ الإِيمَانَ وَأَيَّدَهُم بِرُوحٍ مِّنْهُ وَيُدْخِلُهُمْ جَنَّاتٍ تَجْرِي مِن تَحْتِهَا الأَنْهَارُ خَالِدِينَ فِيهَا رَضِيَ اللهُ عَنْهُمْ وَرَضُوا عَنْهُ أُوْلَئِكَ حِزْبُ الله أَلا إِنَّ حِزْبَ الله هُمُ الْمُفْلِحُونَ [المجادلة ٢٢].

ـــ هُوَ الَّذِي أَخْرَجَ الذين كَفَرُوا مِنْ أَهْلِ الْكِتَابِ مِن دِيَارِهِمْ لأَوَّلِ الْحَشْرِ مَا ظَنَنتُمْ أَن يَخْرُجُوا وَظَنُّوا أَنَّهُم مَّانِعَتُهُمْ حُصُونُهُم مِّنَ الله فَأَتَاهُمُ اللهُ مِنْ حَيْثُ لَمْ يَحْتَسِبُوا وَقَذَفَ فِي قُلُوبهِمْ الرُّعْبَ يُخْرِبُونَ بُيُوتَهُم بِأَيْدِيهِمْ وَأَيْدِي الْمُؤْمِنِينَ فَاعْتَبِرُوا يَا أُولِي الأَبْصَار [الحشر ٢].

ـــ وَإِذْ قَالَ مُوسَى لِقَوْمِهِ يَا قَوْمِ لِمَ تُؤْذُونَنِي وَقَد تَّعْلَمُونَ أَنِّي رَسُولُ اللهِ إِلَيْكُمْ فَلَمَّا زَاغُوا أَزَاغَ اللهُ قُلُوبهمْ وَ اللهُ لا يَهْدِي الْقَوْمَ الْفَاسِقِينَ [الصّف٥].

ـ ذَلِكَ بِأَنَّهُمْ آمَنُوا ثُمَّ كَفَرُوا فَطُبِعَ عَلَى قُلُوبهمْ فَهُمْ لا يَفْقَهُونَ [المنافقون٣].

ـــ وَمَا جَعَلْنَا أَصْحَابَ النَّارِ إِلاَّ مَلائِكَةً وَمَا جَعَلْنَا عِدَّتَهُمْ إِلاَّ فِتْنَةً لِّلَّذِينَ كَفَرُوا لِيَسْتَيْقِنَ الَّذِينَ أُوتُوا الْكِتَابَ وَيَزْدَادَ الَّذِينَ آمَنُوا إِيمَانًا وَلا يَرْتَابَ الَّذِينَ أُوتُوا الْكِتَابَ وَالْمُؤْمِنُونَ وَلِيَقُولَ الَّذِينَ فِي قُلُوبهمْ مَّرَضٌ وَالْكَافِرُونَ مَاذَا أَرَادَ اللهُ بِهَذَا مَثَلاً كَذَلِكَ يُضِلُّ اللهُ مَن يَشَاء وَيَهْدِي مَن يَشَاء وَمَا يَعْلَمُ جُنُودَ رَبِّكَ إِلاَّ هُوَ وَمَا هِيَ إِلاَّ ذِكْرَى لِلْبَشَرِ [المدّثّر ٣١].

ـ كَلاَّ بَلْ رَانَ عَلَى قُلُوبهمْ مَّا كَانُوا يَكْسِبُونَ [المطففين ١٤].

ـــ ثُمَّ قَسَتْ قُلُوبُكُم مِّن بَعْدِ ذَلِكَ فَهِيَ كَالْحِجَارَةِ أَوْ أَشَدُّ قَسْوَةً وَإِنَّ مِنَ الْحِجَارَةِ لَمَا يَتَفَجَّرُ مِنْهُ الأَنْهَارُ وَإِنَّ مِنْهَا لَمَا يَشَّقَّقُ فَيَخْرُجُ مِنْهُ الماءُ وَإِنَّ مِنْهَا لَمَا يَهْبِطُ مِنْ خَشْيَةِ اللهِ وَمَااللهُ بِغَافِلٍ عَمَّا تَعْمَلُونَ [البقرة ٧٤].

ـــ لاَّ يُؤَاخِذُكُمُ اللهُ بِاللَّغْوِ فِيَ أَيْمَانِكُمْ وَلَكِن يُؤَاخِذُكُم بِمَا كَسَبَتْ قُلُوبُكُمْ وَاللهُ غَفُورٌ حَلِيمٌ [البقرة ٢٢٥].

ـــ وَاعْتَصِمُواْ بِحَبْلِ اللهِ جَمِيعًا وَلاَ تَفَرَّقُواْ وَاذْكُرُواْ نِعْمَةَ اللهِ عَلَيْكُمْ إِذْ كُنتُمْ أَعْدَاء فَأَلَّفَ بَيْنَ قُلُوبِكُمْ فَأَصْبَحْتُم بِنِعْمَتِهِ إِخْوَانًا وَكُنتُمْ عَلَى شَفَا حُفْرَةٍ مِّنَ النَّارِ فَأَنقَذَكُم مِّنْهَا كَذَلِكَ يُبَيِّنُ اللهُ لَكُمْ آيَاتِهِ لَعَلَّكُمْ تَهْتَدُونَ. [آل عمران١٠٣].

ـــ وَمَا جَعَلَهُ اللهُ إِلاَّ بُشْرَى لَكُمْ وَلِتَطْمَئِنَّ قُلُوبُكُم بِهِ وَمَا النَّصْرُ إِلاَّ مِنْ عِندِ اللهِ الْعَزِيزِ الْحَكِيمِ [آل عمران ١٢٦].

ـــ ثُمَّ أَنزَلَ عَلَيْكُم مِّن بَعْدِ الْغَمِّ أَمَنَةً نُّعَاسًا يَغْشَى طَآئِفَةً مِّنكُمْ وَطَآئِفَةٌ قَدْ

أَهَمَّتْهُمْ أَنفُسُهُمْ يَظُنُّونَ بِاللهِ غَيْرَ الْحَقِّ ظَنَّ الْجَاهِلِيَّةِ يَقُولُونَ هَل لَّنَا مِنَ الأَمْرِ مِن شَيْءٍ قُلْ إِنَّ الأَمْرَ كُلَّهُ للهِ يُخْفُونَ فِي أَنفُسِهِم مَّا لاَ يُبْدُونَ لَكَ يَقُولُونَ لَوْ كَانَ لَنَا مِنَ الأَمْرِ شَيْءٌ مَّا قُتِلْنَا هَا هُنَا قُل لَّوْ كُنتُمْ فِي بُيُوتِكُمْ لَبَرَزَ الَّذِينَ كُتِبَ عَلَيْهِمُ الْقَتْلُ إِلَى مَضَاجِعِهِمْ وَلِيَبْتَلِيَ اللهُ مَا فِي صُدُورِكُمْ وَلِيُمَحَّصَ مَا فِي قُلُوبِكُمْ وَاللهُ عَلِيمٌ بِذَاتِ الصُّدُورِ [آل عمران١٥٤].

ـ قُلْ أَرَأَيْتُمْ إِنْ أَخَذَ اللهُ سَمْعَكُمْ وَأَبْصَارَكُمْ وَخَتَمَ عَلَى قُلُوبِكُم مَّنْ إِلَـهٌ غَيْرُ اللهِ يَأْتِيكُم بِهِ انظُرْ كَيْفَ نُصَرِّفُ الآيَاتِ ثُمَّ هُمْ يَصْدِفُونَ [الأنعام ٤٦].

ـ وَمَا جَعَلَهُ اللهُ إِلاَّ بُشْرَى وَلِتَطْمَئِنَّ بِهِ قُلُوبُكُمْ وَمَا النَّصْرُ إِلاَّ مِنْ عِندِ اللهِ إِنَّ اللهَ عَزِيزٌ حَكِيمٌ. [الأنفال ١٠].

ـ إِذْ يُغَشِّيكُمُ النُّعَاسَ أَمَنَةً مِّنْهُ وَيُنَزِّلُ عَلَيْكُم مِّن السَّمَاء مَاء لِّيُطَهِّرَكُم بِهِ وَيُذْهِبَ عَنكُمْ رِجْزَ الشَّيْطَانِ وَلِيَرْبِطَ عَلَى قُلُوبِكُمْ وَيُثَبِّتَ بِهِ الأَقْدَامَ. [الأنفال ١١].

ـ يَا أَيُّهَا النَّبِيُّ قُل لِّمَن فِي أَيْدِيكُم مِّنَ الأَسْرَى إِن يَعْلَمِ اللهُ فِي قُلُوبِكُمْ خَيْرًا يُؤْتِكُمْ خَيْرًا مِّمَّا أُخِذَ مِنكُمْ وَيَغْفِرْ لَكُمْ وَ اللهُ غَفُورٌ رَّحِيمٌ [الأنفال ٧٠].

ـ ادْعُوهُمْ لآبَائِهِمْ هُوَ أَقْسَطُ عِندَالله فَإِن لَّمْ تَعْلَمُوا آبَاءهُمْ فَإِخْوَانُكُمْ فِي الدِّين وَمَوَالِيكُمْ وَلَيْسَ عَلَيْكُمْ جُنَاحٌ فِيمَا أَخْطَأْتُم بِهِ وَلَكِن مَّا تَعَمَّدَتْ قُلُوبُكُمْ وَكَانَ اللهُ غَفُورًا رَّحِيمًا [الأحزاب ٥].

ـ تُرْجِي مَن تَشَاء مِنْهُنَّ وَتُؤْوِي إِلَيْكَ مَن تَشَاء وَمَنِ ابْتَغَيْتَ مِمَّنْ عَزَلْتَ فَلا جُنَاحَ عَلَيْكَ ذَلِكَ أَدْنَى أَن تَقَرَّ أَعْيُنُهُنَّ وَلا يَحْزَنَّ وَيَرْضَيْنَ بِمَا آتَيْتَهُنَّ كُلُّهُنَّ واللهُ يَعْلَمُ مَا فِي قُلُوبِكُمْ وَكَانَ اللهُ عَلِيمًا حَلِيمًا [الأحزاب٥١].

ـ بَلْ ظَنَنتُمْ أَن لَّن يَنقَلِبَ الرَّسُولُ وَالْمُؤْمِنُونَ إِلَى أَهْلِيهِمْ أَبَدًا وَزُيِّنَ ذَلِكَ فِي

قُلُوبِكُمْ وَظَنَنتُمْ ظَنَّ السَّوْءِ وَكُنتُمْ قَوْمًا بُورًا.[الفتح ١٢].

ـــ وَاعْلَمُوا أَنَّ فِيكُمْ رَسُولَ الله لَوْ يُطِيعُكُمْ فِي كَثِيرٍ مِّنَ الأَمْرِ لَعَنِتُّمْ وَلَكِنَّ اللهَ حَبَّبَ إِلَيْكُمُ الإِيمَانَ وَزَيَّنَهُ فِي قُلُوبِكُمْ وَكَرَّهَ إِلَيْكُمُ الْكُفْرَ وَالْفُسُوقَ وَالْعِصْيَانَ أُوْلَئِكَ هُمُ الرَّاشِدُونَ. [الحجرات٧].

ـــ قَالَتِ الأَعْرَابُ آمَنَّا قُل لَّمْ تُؤْمِنُوا وَلَكِن قُولُوا أَسْلَمْنَا وَلَمَّا يَدْخُلِ الإِيمَانُ فِي قُلُوبِكُمْ وَإِن تُطِيعُوا اللهَ وَرَسُولَهُ لا يَلِتْكُم مِّنْ أَعْمَالِكُمْ شَيْئًا إِنَّ اللهَ غَفُورٌ رَّحِيمٌ. [الحجرات ١٤].

ـ وَقَالُواْ قُلُوبُنَا غُلْفٌ بَل لَّعَنَهُمُ اللهُ بِكُفْرِهِمْ فَقَلِيلاً مَّا يُؤْمِنُونَ [البقرة ٨٨].

ـــ رَبَّنَا لاَ تُزِغْ قُلُوبَنَا بَعْدَ إِذْ هَدَيْتَنَا وَهَبْ لَنَا مِن لَّدُنكَ رَحْمَةً إِنَّكَ أَنتَ الْوَهَّابُ. [آل عمران٨].

ـــ فَبِمَا نَقْضِهِم مِّيثَاقَهُمْ وَكُفْرِهِم بِآيَاتِ الله وَقَتْلِهِمُ الأَنْبِيَاء بِغَيْرِ حقّ وَقَوْلِهِمْ قُلُوبُنَا غُلْفٌ بَلْ طَبَعَ اللهُ عَلَيْهَا بِكُفْرِهِمْ فَلاَ يُؤْمِنُونَ إِلاَّ قَلِيلاً [النساء ١٥٥].

ـــ قَالُواْ نُرِيدُ أَن نَّأْكُلَ مِنْهَا وَتَطْمَئِنَّ قُلُوبُنَا وَنَعْلَمَ أَن قَدْ صَدَقْتَنَا وَنَكُونَ عَلَيْهَا مِنَ الشَّاهِدِينَ [المائدة ١١٣].

ـــ وَقَالُوا قُلُوبُنَا فِي أَكِنَّةٍ مِّمَّا تَدْعُونَا إِلَيْهِ وَفِي آذَانِنَا وَقْرٌ وَمِن بَيْنِنَا وَبَيْنِكَ حِجَابٌ فَاعْمَلْ إِنَّنَا عَامِلُونَ [فصلت ٥].

ـــ وَالَّذِينَ جَاؤُو مِن بَعْدِهِمْ يَقُولُونَ رَبَّنَا اغْفِرْ لَنَا وَلإِخْوَانِنَا الَّذِينَ سَبَقُونَا بِالإِيمَانِ وَلا تَجْعَلْ فِي قُلُوبِنَا غِلاًّ لِلَّذِينَ آمَنُوا رَبَّنَا إِنَّكَ رَؤُوفٌ رَّحِيمٌ. [الحشر ١٠].

ـــ الَّذِينَ آمَنُواْ وَتَطْمَئِنُّ قُلُوبهمْ بِذِكْرِالله أَلاَ بِذِكْرِ الله تَطْمَئِنُّ الْقُلُوبُ [الرّعد٢٨].

ـ ذَلِكَ وَمَن يُعَظِّمْ شَعَائِرَ الله فَإِنَّهَا مِن تَقْوَى الْقُلُوبِ [الحج ٣٢].

ـــ أَفَلَمْ يَسِيرُوا فِي الأَرْضِ فَتَكُونَ لَهُمْ قُلُوبٌ يَعْقِلُونَ بِهَا أَوْ آذَانٌ يَسْمَعُونَ بِهَا فَإِنَّهَا لا تَعْمَى الأَبْصَارُ وَلَكِن تَعْمَى الْقُلُوبُ الَّتِي فِي الصُّدُورِ. [الحج ٤٦].

ـــ رِجَالٌ لاَّ تُلْهِيهِمْ تِجَارَةٌ وَلا بَيْعٌ عَن ذِكْرِ الله وَإِقَامِ الصَّلاةِ وَإِيتَاء الزَّكَاةِ يَخَافُونَ يَوْمًا تَتَقَلَّبُ فِيهِ الْقُلُوبُ وَالأَبْصَارُ.[النور٣٧].

ـــ إِذْ جَاؤُوكُم مِّن فَوْقِكُمْ وَمِنْ أَسْفَلَ مِنكُمْ وَإِذْ زَاغَتْ الأَبْصَارُ وَبَلَغَتِ الْقُلُوبُ الْحَنَاجِرَ وَتَظُنُّونَ بِالله الظُّنُونَا [الأحزاب ١٠].

ـــ وَأَنذِرْهُمْ يَوْمَ الآزِفَةِ إِذِ الْقُلُوبُ لَدَى الْحَنَاجِرِ كَاظِمِينَ مَا لِلظَّالِمِينَ مِنْ حَمِيمٍ وَلا شَفِيعٍ يُطَاعُ [غافر١٨].

ـــ إِن تَتُوبَا إِلى الله فَقَدْ صَغَتْ قُلُوبُكُمَا وَإِن تَظَاهَرَا عَلَيْهِ فَإِنَّ الله هُوَ مَوْلاهُ وَجِبْرِيلُ وَصَالِحُ الْمُؤْمِنِينَ وَالْمَلائِكَةُ بَعْدَ ذَلِكَ ظَهِيرٌ [التحريم ٤].

ووَردَتْ على صِيغَة المُفرد:

ـــ فَبِمَا رَحْمَةٍ مِّنَ الله لِنتَ لَهُمْ وَلَوْ كُنتَ فَظًّا غَلِيظَ الْقَلْبِ لاَنفَضُّواْ مِنْ حَوْلِكَ فَاعْفُ عَنْهُمْ وَاسْتَغْفِرْ لَهُمْ وَشَاوِرْهُمْ فِي الأَمْرِ فَإِذَا عَزَمْتَ فَتَوَكَّلْ عَلَى الله إِنَّ الله يُحِبُّ الْمُتَوَكِّلِينَ [آل عمران ١٥٩].

ـــ الَّذِينَ يُجَادِلُونَ فِي آيَاتِ الله بِغَيْرِ سُلْطَانٍ أَتَاهُمْ كَبُرَ مَقْتًا عِندَالله وَعِندَ الَّذِينَ آمَنُوا كَذَلِكَ يَطْبَعُ الله عَلَى كُلِّ قَلْبِ مُتَكَبِّرٍ جَبَّار [غافر٣٥].

ـ إِنَّ فِي ذَلِكَ لَذِكْرَى لِمَن كَانَ لَهُ قَلْبٌ أَوْ أَلْقَى السَّمْعَ وَهُوَ شَهِيدٌ [ق٣٧].

***

تِلْكُمْ كَانَتِ الآيات القرآنيّة التي تَحَدّثتْ عن القلوبِ في أحوالٍ مختلفةٍ، واختلف السّياق باختلاف المواضيع والمناسبات. ويمكن لأوّل وهلة ملاحظة كونها جميعا تتحدّث عن الأمراض المعنويّة، بل يصعب إثبات أنّ واحدة منها تتعرّض لمرضٍ عضويّ منْ أمراض القلبِ المعروفة في مجال الطّبِّ؛ والذي استُعمل منها على طريق التّمثيل، جاء بأسلوبٍ معهود لدى العربِ كما في قوْله تعالى(وبلغت القلوب الحناجر)، فإنّها تعبّر عنْ شدّة الخوف والهلع. قال الرّاغب الأصفهانيّ: "يعبّر بالقلب عن المعاني التي تختصّ به من الرّوح والعلم والشّجاعة وغير ذلك، وقوله(وبلغت القلوب الحناجر)أي الأرواح. وقال: (إنّ في ذلك لذكرى لمن كان له قلب)أي علم وفهم "[1].

يمكننا من خلال تتبّعِ الآيات وسياقاتها سرد الأمورِ المعنويّة التي تضمّنتها سلبيّة كانت أوإيجابيّة، وتكون القلوب كالتالي:

ذات المعانِي الإيجابيّة: قلوب مؤلّف بينها ـــ قلوب مؤمنة فيها غيظ على الكفّار ـ قلوب مُخْبِتَةٌ ـ قلوبٌ امتحنها اللّه للتّقوى ـ قلوبٌ يعْتَريها الْوجل لذكر الله تعالى ـ قلوبٌ ربط الله عليها ـ قلوب كتب الله فيها الإيمان ـ قلوب مطمئنّة بِذِكرِالله تعالى ـ قلوب تقيّة تعظّم شعائر الله ـ قلوب زيّن الله فيها الإيمان ـ قلوب محّص الله ما فيها ـ قلوب مُتَألّفَةٌ.

ذات المعانِي السّلْبيّة: قلوب مختوم عليها ـــ قلوبٌ فيها مرض ـــ قلوبٌ تشابهتْ (في الضّلال)ـــ قلوب فيها زيغ ـــ قلوب أشربت العجل ـــ قلوب فيها حسرة ـ قلوب خالية ممّا تقوله ألْسنة أصحابِها ـ قلوب يعلم الله ما فيها من السّوء

---

[1]- مفردات غريب القرآن ، الراغب الأصفهانى ، ص ٤١١.

ـ قلوب قاسية ـ قلوب لم تؤمن ـ قلوب عليها أكنّة ـ قلوب لم يرد الله أن يطهّرها ــ قلوب مطبوع عليها ــ قلوب تأبى إرضاء المؤمنين ــ قلوب ارتابت ــ قلوب لاهية ــ قلوب قذف الله فيها الرّعب ــ قلوب فيها الحميّة حميّة الجاهليّةِ ـ قلوب لمْ تخشع ـــ قلوب في غمرة ـــ قلوب أزاغها الله لمّا زاغ أهلها ـــ قلوب غلف ـ قلوب فيها غلّ ـ قلوب في أكنّة ـ قلوب أصابها العمى ـ قلوب لا يعقل بها أهلها ـ قلوب لمّا يدخل الإيمان فيها ـ قلوب متكبّرة ـ قلوب صغت.

وهكذا يكون عدد موارد القلوبِ ذات الصفات السّلبيّة: ٢٩، وموارد القلوبِ ذات الصـّفـاتِ الإيجابيـّةِ: ١٢ على فرْضِ أنّ القلوب التي محّص الله مـا فيهـا والقلوب المتألّفة من القسمِ الإيجابيّ.

وأمّا عبارة "أفئدة" الّتي تعني القلوب أيضا فقدْ وردتْ كمَا يلي:

ـــ وَلِتَصـْغَى إِلَيْهِ أَفْئِدَةُ الَّذِينَ لاَ يُؤْمِنُونَ بِالآخِرَةِ وَلِيَرْضَـوْهُ وَلِيَقْتَرِفُواْ مَا هُم مُّقْتَرِفُونَ[الأنعام١١٣].

ـ رَّبَّنَا إِنِّي أَسْكَنتُ مِن ذُرِّيَّتِي بِوَادٍ غَيْرِ ذِي زَرْعٍ عِندَ بَيْتِكَ الْمُحَرَّمِ رَبَّنَا لِيُقِيمُواْ الصـَّلاَةَ فَـاجْعَـلْ أَفْئِـدَةً مِّنَ النـَّاسِ تَهْوِي إِلَيْهِمْ وَارْزُقْهُم مِّنَ الثَّمَرَاتِ لَعَلَّهُمْ يَشْكُرُونَ [إبراهيم٣٧].

ــ وَنُقَلِّبُ أَفْئِدَتَهُمْ وَأَبْصَارَهُمْ كَمَا لَمْ يُؤْمِنُواْ بِهِ أَوَّلَ مَرَّةٍ وَنَذَرُهُمْ فِي طُغْيَانِهِمْ يَعْمَهُونَ [الأنعام ١١٠].

ـــ وَلَقَدْ مَكَّنَّاهُمْ فِيمَا إِن مَّكَّنَّاكُمْ فِيهِ وَجَعَلْنَا لَهُمْ سَـمْعًا وَأَبْصَـارًا وَأَفْئِدَةً فَمَا أَغْنَى عَنْهُمْ سَـمْعُهُمْ وَلا أَبْصَـارُهُمْ وَلا أَفْئِدَتُهُم مِّن شَـيْء إِذْ كَانُوا يَجْحَدُونَ بِآيَاتِ الله وَحَاقَ بِهِم مَّا كَانُوا بِهِ يَسْتَهْزِؤُون[الأحقاف٢٦].

ـ نَارُ الله الْمُوقَدَةُ. الَّتِي تَطَّلِعُ عَلَى الأَفْئِدَةِ. [الهمزة٦،٧].

تـلكمْ هيَ القلوبُ التي كـانـتْ تُحيطُ برسـولِ الله(ص) ! فيهـا مِن كـلِّ الأصـنافِ، ومنْ بينها صِنْفٌ اسـمُه " القلوبُ المريضـةُ " وأصحابُها (في قُلُوبهمْ مرض). هؤلاء موجودون حولَ رسـولِ الله منذُ بداية الدّعوَة، منذُ نزولِ سـورةِ المدّثر، ويُخبِر عنْهم القرآن الكريمُ عنْدَ الرّجوعِ منْ غزوةِ تَبُوك، أي في أواخرِ حياة النّبيّ(ص)، أنّ الْمَرَض لايزالُ في قُلُوبهمْ، ولايكونُ هذا إلاّ لأَحدِ سَبَبيْن: إمّا لأنّهم لمْ يُحاولوا العلاجَ، وإمّا لأنّه لاينفعُ معهُم عِلاجٌ. وأمّا الذين يدينون بعدالـة جميع الصـّحابـة فيظهر من كلامهم أنّ كـلّ تلك القلوب قد اسـتقام أصـحابُها قبل خروجهم من الدّنيا، وغمَرَهم الطّهر والإخلاص، ولايعدو مآلهم الخلودَ في النّعيم؛ هـذا مع أنّ القرآن الكريم يهتف(وأمـّا الـذين فِي قُلُوبهمْ مَرَضٌ فَزَادَتْهُمْ رجْساً إلى رجْسـهمْ وَمَاتُوا وَهُمْ كَافرُون)، أي ماتوا على الكُفْر. ومصيرُ مَن يَموت على الكُفْر معلوم!

كيفَ لنا أنْ نُشـخّصَ أصحاب القلوب المريضة ونُميّزَهُم من غيرهم إذا لم ننقّبْ في ما وقعَ أيّامَ الرّسـول(ص) وبعدَ وفاته؟ ثمّ أيُعقلُ أنْ يكُونَ مثلُ هؤلاء موجودين حولَ رسـولِ الله(ص) ولايحذّرُ منهُمْ ولا يشـير إليهم بأعمالِهم على الأقلّ؟ وكيفَ يُهمِلُ ذلكَ مع ما فيه من الخطر على الإسـلام والمسـلمينَ، وهوَ الذي وصـفَهُ القرآن الكريمُ بقوله (عَزِيزٌ عَلَيْهِ مَاعَنِتُّم حَرِيصٌ عَلَيْكُم بِالْمُؤْمِنِينَ رَؤُوفٌ رَّحِيمٌ)؟! أيكون حريصـاً عليهم رؤوفاً بهم ثمّ لا يُحـذّرهم من أعـداء الدّاخل ولو بالإشارة؟

لابُدَّ أنّ أحاديثَ النّبيّ(ص) تحتوي على شـيءٍ مِن ذلك، وربّما كانَ فيه ما يُفسِّرُ النّهْيَ عنْ كِتابةِ ورواية الحديثِ الشريف، فَإنّ أحاديثَ بلغتْنا رغمَ الرّقابةِ المُشـدّدةِ تُشـيرُ إلى أقوامٍ بأسمائِهم وأسماءِ آبائِهم، وأحَادِيث أخرى بلغتْنا تشيرُ

إلى أقوامٍ منْ خِلالِ أعمالِهم. وقدْ حدثتْ أحداثٌ ووقائعُ تاريخيّةٌ أذِنَ اللهُ تعالى أن تقع رغمَ ما فيها منَ الجرأةِ عليهِ سبحانه وتعالى والظّلمِ والتّجاوزِ والاستخفاف بحقوق العباد، وكانَ النّبيّ(ص) في حياتهِ قدْ أشارَ إلى وُقوعِها بعدَه، لئلاّ يكونَ للنّاس على الله حجّةٌ بعدَ الرّسل، ومنْ أبصرَ فلِنفسِه، ومنْ عميَ فعَلَيْها. لكنّ بعض المفسّرين ــ بل أكثرهم ــ يبسّطون المسألة ويقدّمون **الذين فِي قُلُوبهِمْ مرض** تقديماً ساذجاً، هو إلى التّلقين أقرب منه إلى البحث العلميّ والاستدلال المتين؛ ومن ذلك ما أورده صاحب أضواء البيان في تفسير القرآن حيث يقول:" واعلمْ أنّ مرض القلب في القرآن يطلق على نوعيْن أحدهما: مرض بالنّفاق والشّكّ والكُفْر، ومنه قوله تعالى في المنافقين(فِى قُلُوبهِمْ مرض فَزَادَهُمُ الله مَرَضًا) وقوله هنا(لِيَجْعَلَ مَا يُلْقِى الشَّيْطَـٰنُ فِتْنَةً لِّلَّذِينَ فِى قُلُوبهِمْ مرض) أي كفر وشكّ. والثّاني منهما إطلاق مرض القلب على ميله للفاحشة والزّنى، ومنه بهذا المعنى قوله تعالى(فَلاَ تَخْضَعْنَ بالقولِ فَيَطْمَعَ الَّذِي فِى قَلْبِهِ مرض) أي ميل إلى الزّنى ونحوه، والعرب تسمّي انطواء القلب على الأمور الخبيثة مرضاً، وذلك معروف في لغتهم ومنه قول الأعشى:

حَافظٌ لِلْفَرْجِ رَاضٍ بِالتُّقَى لَيْسَ مِمَّنْ قَلْبُهُ فِيهِ مَرَض "[1].

وحينَ نلتفِتُ صوْب الأيّامِ الأولى التي تلتْ وفاةَ النّبيّ(ص) ، نُصادِفُ أحداثاً غيرَ مُتَوَقّع صُدورُها منْ طرَفِ أُناسٍ آمنوا بالله ورسولِه، اللّهمّ إلاّ أنْ يكونَ ذلك شيئاً افْتُرِيَ عليهِم، وهُوما يَتعذّرُ إثباتُه، لأنّ تِلك الأحداثَ موثّقةٌ مِنْ طرَفِ المؤرّخينَ وإنِ اختلفُوا في العبارةِ. فهؤلاءِ الذينَ بايعُوا رسولَ الله

١- أضواء البيان في تفسير القرآن ـ الشنقيطي ،ج٥ ص٥٣٤.

على أنْ يحْمُوهُ وأهلَ بيتِه ممّا يحمُون منْه أنفسهم وأهليهِم إذا بِهِم يهجُمون على بيتٍ كان أحَبَّ البيوت إليهِ، والمُسلمون أتباعُ النّبيّ(ص) الذين أدّى قسمٌ كبيرٌ منهُم تلكَ البيعَةَ يتفرّجُون ولا يفعلُون شيئاً، كأنّ الأمرَ لا يَعْنِيهم! هؤلاء المسلمُون يروُونَ حديثٌ "ومن أصبح لا يهتمّ بالمسلمين فليس منهم "[1]، وكمْ صرختْ فاطمةُ بنتُ رسولِ الله(ص)، وكمْ نادى عليٌّ أخُوه، ولكنْ ما مِنْ مُجيبٍ. تُرى كُلّفَت الأجيالُ ووُضِعَ عنْهم؟ هلْ كانتِ الجماعةُ الّتي هجمتْ على بيتِ فاطمةَ عليها السلام تُقْدِمُ على شيءٍ منْ ذلك في حياة النّبيّ(ص) [2]؟ والّذي تولّى كِبرَهُ منهُم يقول: "منْ كانَ يعبُدُ محمّداً فإنّ محمّداً قدْ ماتَ، ومنْ كانَ يعبُدُ اللهَ فإنَّ اللهَ حيٌّ لا يموتُ"، فَما بالُهُ يتصرّفُ معَ آلِ رسولِ الله بعد وفاته بغير ما كانَ يفعلُه في حياتِه(ص)؟ أليْسَ هُوَ الذي سألَ وَهُوَ يُشيرُ إلي بيتِ فاطمةَ عليها السلام رسولَ الله(ص) حينَ نزولِ قَوْله تعالى(في بيوتٍ أذِنَ اللهُ أنْ تُرفَعَ...الآية): يا رسولَ الله وهذا البيْتُ مِنها؟ فأجابَه(ص): نعمْ، ومِنْ أفاضِلِها !! فبأيِّ حقّ اسْتحَلّ الهجُومَ عليْه؟ أيكُونُ أعلمَ بِكتابِ اللهِ ممّنْ أذهبَ

---

[1] - الحديث في المستدرك على الصحيحين، ج٤ ص٣٥٢، وحلية الأولياء، ج٣ ص٤٨، والتفسير الكبير للرازي ج٢٢ ص٩١، والدر المنثور للسيوطي، ج٤ ص١٩٢، وج٤ ص٣٥٦، والمعجم الأوسط للطبراني، ج١ ص١٥١، وج٧ ص٢٧٠، والمعجم الصغير (الروض الداني) ج٢ ص١٣١، ومجمع الزوائد، ج١ ص٨٧ و ج١٠ ص٢٤٨، وفيض القدير، ج٦ ص٦٧، والتيسير بشرح الجامع الصغير، ج٢ ص٣٩٩، وتكملة الإكمال، ج١ ص٤٩٥، والكشف الحثيث، ج١ ص٦٣ وتاريخ مدينة دمشق، ج٢١ ص٢٠٧، وأسنى المطالب، ج١ ص٢٨٨، والمقاصد الحسنة، ج١ ص٦٧٠، وكشف الخفاء، ج٢ ص٢٩٧، وشُعَب الإيمان، ج٧ ص٣٦١، والترغيب والترهيب، ج٢ ص٣٤٢ و ج٢ ص٣٦٢، و جامع العلوم والحكم، ج١ ص٧٧.

[2] بغضّ النظرعن السبب الباعث على ذلك الهجوم نفسه، فإنه كان لأجل خلافة النبيّ صلى الله عليه وآله في منصب القيادة ولا يُتصوّر هذا في حياته، إذ لا يجتمع الخليفة الفعليّ والمخلوف، وإنّما المقصود الهجوم نفسه أيّاً كان السّبب.

اللهُ عنْهم الرّجْسَ وطهّرَهُمْ تطهيراَ؟ وحتّى لوْ فرضْنا أبْعدَ ما يُفترضُ في القضيّةِ فإنّ معالجتَها بتلكَ الطريقةِ العنيفة المخالفة لقوله تعالى (لا إكْرَاهَ في الدّين) تُسقِطُ كلَّ الاعتباراتِ، وتضعُ أصحاب الهجوم آمراً ومنفّذاً موْضعَ تهمةٍ يصعبُ دفْعها بنزاهة وموضوعية وفق ما تقتضيه المعايير القرآنية التي لا تعرف المحاباة.

كلام في معنى المرض

قال الرّاغب الأصفهانيّ في مادّةِ (مرض):

"مرض: المُرَض الخُروجُ عنِ الاعتدالِ الخاصّ بالإنسانِ وذلكَ ضربانِ الأوّل مرضٌ جسميٌّ، وهوَ المذكورُ في قولِه﴿ولاعلى المريضِ حرجٌ﴾،﴿ولا على المُرَضى﴾والثّاني عبارةٌ عن الرّذائلِ كالجهلِ والجبنِ والبخلِ والنّفاق وغيرِها منَ الرّذائلِ الخُلقيّةِ نحْو قولِه:﴿في قُلُوبهِمْ مرضٌ فزادهمُ اللهُ مرضاً ـ أَفي قُلُوبهِمْ مرضٌ أمِ ارتابُوا ـ فأمّا الذين قُلُوبهِمْ مرض فزادتْهم رجساً إلى رجسِهم﴾وذلك نحوُ قوله﴿وليزيدَنّ كثيراً منهُم ما أنزِلَ إليكَ منْ ربّك طغياناً وكفراً﴾. ويُشَبّه النّفاق والكُفْر ونحوُهُما منَ الرّذائلِ بالمُرَض إمّا لِكونها مانعةً عنْ إدراكِ الفضائلِ كالمُرَض المانعِ للبدنِ عنِ التّصرّفِ الكاملِ، وإمّا لكونِها مانعةً عنْ تحصيلِ الحياةِ الأخرويّةِ المذكورة في قوله﴿وإنّ الدّارَ الآخرةَ لَهِيَ الحيوانُ لوْكانُوا يعلمونَ﴾، وإمّا لِميلِ النّفسِ بِها إلى الاعتقاداتِ الرّديئةِ ميلَ البَدنِ المريضِ إلى الأشياءِ المُضرّة . ولكونِ هذه الأشياءِ متصوّرةً بصورةِ المُرَض قيلَ دَوي صدر فلان ونغل قلبه. وقال عليه الصلاة والسلامُ: "وأيُّ داءٍ أدوأ منَ البخلِ" ؟، ويقال شمس مريضة إذا لم تكن مضيئة لعارضٍ عرض لها، وأمرض فلان في قوله إذا عرض، والتّمريض القيام على المريضِ وتحقيقه إزالة المُرَض عن المريضِ كالتّقذية في إزالة القذى عن العيْن"[1].

وقال الرّازيّ في تفسيره:" وأقول: الأمراض منها روحانيّة، ومنها جسمانيّة،

---

[1] ـ مفرداتُ غريبِ القرآن ، الراغب الاصفهاني، ص ٤٦٦.

والدّليل عليه أنّه تعالى سمّى الكُفْر مرضاً فقال تعالى: ﴿فِى قُلُوبِهِمْ مرض﴾[1]!

وقدِ استوْفَى السّيدُ مصطفى الخُمينيّ ـ رحمه الله ـ البحثَ في مناقشةِ العبارةِ في كتابِه تفسير القرآن حيثُ يقولُ: " المسألةُ الأولى حولَ كلمةِ "مرض": المُرَض ـ محرّكةً ـ إظلامُ الطّبيعةِ واضطرابُها بعدَ صفائِها واعتدالِها، كما في (العُباب)، وهو قولُ ابنِ الأعرابيِّ. وعنِ ابنِ دريدٍ: المُرَض السّقمُ، وهوَ نقيضُ الصّحّةِ، يكونُ للإنسانِ والبعيرِ، وهو اسمٌ للجنسِ. وقالَ سيبويهِ: المُرَض منَ المصادرِ المجعولةِ كالشّغلِ والعقلِ. وقيلَ: المُرَض ـ بالفتحِ ـ للقلبِ خاصّةً. وعنِ الأصمعيّ إسحاق أنّه قالَ: قرأتُ على أبي عمرو بنِ العلاءِ: ﴿في قُلُوبِهِمْ مَرَضٌ﴾، فقالَ لي: مَرْضٌ يا غُلامُ. وقالَ أبو إسحاق: المُرَض والسّقمُ في البدَنِ والدِّينِ جميعاً، كما يقالُ: الصّحّةُ في الدّينِ والبدَنِ جميعاً. وفي القاموس: وبالتّحْريكِ أوْ كِلاهُما الشّكّ والنّفاق وضعفُ اليقينِ. وقالَ ابنُ الأعرابيّ: أصلُ المُرَض النّقصُ يقالُ بدنٌ مريضٌ، أيْ ناقصُ القوّةِ، وقلبٌ مريضٌ، أي ناقصُ الدّينِ. وفي" الأقرب" المُرض فسادُ المِزاجِ، وقال ابنُ فارسٍ: المُرَض كلُّ ما خرجَ بالإنسانِ عنْ حدِّ الصّحّةِ، منْ علّةٍ ونِفَاق وشكٍّ وفُتورٍ وظُلمةٍ ونُقصانٍ وتقصيرٍ في أمرٍ، جمْعُهُ: أمراضٌ. انتهى ما في كتبِ اللّغةِ. والذي هوَ المُهمُّ في النّظرِ، أنّ هذه المادّةَ مخصوصةٌ بالأعراضِ الظّاهريّةِ والجسميّةِ، فيكونُ استعمالُها في الانحرافاتِ الرّوحيّةِ منَ المجاز والتّوسّعِ، بعدَ وُضوحِ بطلانِ عكْسِه، ولا يَحتملُه أحدٌ، أمْ يعُمُّ جميعَ الانحرافاتِ والأسقامِ. ومنَ التّدبّرِ في مواردِ استعمالِها في الكتابِ لا يظهرُ شيءٌ، لأنّها في جميعِها مصحوبةٌ بالقرينةِ،

---

[1] ـ تفسير الرّازيّ، ج١ص٢٧.

وهي قَوْله تعالى:﴿في قُلُوبهِمْ﴾ وأمْثاله. ومنَ المُحْتمَلِ كونُ الانحرافاتِ الرّوحيةِ مستلزمةً لبعضِ التّحرّفاتِ القلبيّةِ الجسميّةِ، فيكونُ في قُلُوبهِمْ الصّنوْبريّةِ مرضٌ ظاهرٌ منَ الأخلاطِ والأثقالِ بحسْب الواقعِ ونفسِ الأمرِ. وإنْ أُرِيدَ منْ هذا دعْوى انحرافاتِهم الرّوحيّةِ فلا يلْزمُ مجازٌ في المُفرَدِ. والإنْصافُ أنّ في عُرفِنا هذا يكثُرُ استعمالُه في مُطلق الأسْقامِ والآلامِ المعْنويّة والجسْميّة، إلاّ أنّ عندَ السؤال عنْ مفهومِ هذه المادّة بِلا اقترانـها بالقرائِنِ الخاصّة، يتبادر الجواب إلى أنّه الانحراف الجسمانيّ. ويحتاج إثبات الأعمّيّة إلى مؤونةٍ غيرِ معلومةٍ جدّاً، وقدِ اضطربتْ كلماتُ اللّغويّينَ في هذه المسألةِ كما عرفْتَ، ومعَ ذلكَ يكونُ الأقربُ إلى عبائِرِهم الاختصاصَ، وهو المساعدُ للاعتبار، لأنّ في بدو حدوثِ اللّغاتِ، لَمْ يَكُنْ توجّهٌ منْ أهلِ الاستعمال إلى هذه التّوْسِعَة، ثمّ بعد ذلك يُستعمل للمناسباتِ والأغراضِ. وهذا أصلٌ أصيلٌ في فهْمِ الحقائقِ منَ المجاز "[1].

وعقد ابن القيم في شفاء العليل فصلا في ذلك فقال:" وأمّا المرض فقال تعالى﴿في قُلُوبهِمْ مَرَضٌ فَزَادَهُمُ اللهُ مَرَضاً﴾ وقال﴿فلا تَخْضَعْنَ بالقَوْل فَيَطْمَعَ الذي في قَلْبه مَرَضٌ﴾وقال﴿وَلا يرْتَاب الذين أُوتُوا الكتابَ والمؤمنونَ وليقولَ الذينَ فِي قُلُوبهِمْ مرضٌ والكافرونَ ماذا أرادَ اللهُ بهذا مثلاً﴾. ومرض القلب خروج عن صحّته واعتداله فإنّ صحّته أن يكون عارفاً بالحقّ، محبّاً له، مُؤْثراً له على غيره. فمرضُه إمّا بالشّكّ فيه، وإمّا بإيثار غيره عليه. فمرضُ المنافقين مرضُ شكّ وريب. ومرضُ العصاة مرضُ غيٍّ وشهوة. وقد سمّى الله سبحانه

---

[1] ـ تفسير القرآن ـ السيد مصطفى الخميني ج٣ ص٣٣٥ ـ ٣٣٧.

كلاً منهما مَرَضاً. قال ابن الأنباريّ أصل المرض في اللّغة الفساد. مرض فلان فسد جسمه وتغيّرت حاله. ومرضت بالمرض تغيّرت وفسدت. قالت ليلى الأخيليّة:

إذا هبط الحَجّاجُ أرضاً مريضةً تتبّعَ أقْصى دائها فَشَفَاها

وقال آخر:

ألم تَرَ أنّ الأرضَ أضحتْ مريضةً لفَقْد حُسَيْنٍ والبلاد اقْشعرَّتِ

قال: والمرض يدور على أربعة أشياء فَساد وضَعف ونُقصان وظُلْمة، ومنه مرض الرّجل في الأمر إذا ضعف فيه ولم يبالغ. وعين مريضة النّظر أي فاترة ضعيفة. وريح مريضة إذا هبّ هبوبها كما قال:

رَاحتْ لأَرْبُعِكَ الرّياحُ مَريضةً

أي ليّنة ضعيفة حتى لا يعفى أثرها.

وقال ابن الأعرابيّ: أصل المرض النّقصان، ومنه بدن مريض أي ناقص القوّة، وقلب مريض ناقص الدّين، ومرض في حاجتي إذا نقصت حركته. وقال الأزهريّ عن المنذريّ عن بعض أصحابه: المرض إظلام الطّبيعة واضطرابها بعد صفائها. قال: والمرض الظلمة. وأنشد:

وليلة مرضت من كل ناحية فما يضيء لها شمس ولا قمر

هذا أصله في اللّغة. ثمّ الشّكّ والجهل والحيرة والضّلال وإرادة الغيّ وشهوة الفجور في القلب تعود إلى هذه الأمور الأربعة، فيتعاطى العبد أسباب المرض حتى يمرض فيعاقبه الله بزيادة المرض لإيثاره أسبابه وتعاطيه لها"[1].

---

[1] ـ شفاء العليل، ابن القيم، ج1ص98.

وقال في شفاء العليل أيضاً:"وقد ذكر سبحانه أنواع القلوب في قوله﴿ليجعل ما يلقي الشيطان فتنة للّذين في قُلُوبهمْ مرض والقاسية قُلُوبهمْ وإنّ الظالمين لفي شقاق بعيد. وليعلم الذين أوتوا العلم أنّه الحقّ من ربّهم فيؤمنوا به فتخبت له قُلُوبهمْ﴾. فذكر القلب المريض، وهو الضّعيف المنحلّ الذي لا تثبت فيه صورة الحقّ، والقلب القاسي اليابس الذي لا يقبلها ولا تنطبع فيه، فهذان القلبان شقيّان معذّبان. ثمّ ذكر القلب المُخبت المطمئنّ إليه وهو الذي ينتفع بالقرآن ويزْكُو به "[1].

مرضى القلوب في سورة المدّثّر

ذهبّ الطبرانيّ في كتاب الأوائل[2] إلى أنّ سورة المدّثّر أوّل ما نزل من القرآن، قال (في فصل أوّل ما نزل من القرآن): "حدّثنا حفص بن عمر بن الصّباح حدّثنا عبد الله بن رجاء حدّثنا حرب بن شدّاد عن يحيى بن أبي كثير عن أبي سلمة قال سألت جابر بن عبد الله أيّ القرآن أُنْزل أوّل؟ فقال يا أيّها المدّثّر. رجاله رجال الصّحيح خلا شيخ الطّبرانيّ، قال الحاكم: حدّث بغير حديث لم يتابع عليه ووثّقه ابن حبّان"[3].

والذي لا اختلاف فيه أنّ السّورة مكّيّة[4]، وأنّها من أوائل السّور نزولاً؛ لكنْ

---

[1] – شفاء العليل ، ابن القيم، ج١ ص١٠٦.

[2] ـ الأوائل للطبراني، دامؤسسة الرسالة/دار الفرقان – بيروت – ١٤٠٣، الطبعة: الأولى.

[3] ـــ لم يشهد جابر بن عبد الله الأنصاري ولا غيره من الأنصار نزول سورة المدّثر، فإمّا أن يكون سأل رسول الله عنه وإما أن يكون سأل غيره من الصحابة ممن له علم بزمان نزول السورة.

[4] ـ قال ابن عاشور في التحرير والتنوير (ج٢٩،ص٢٧١) وهي مكية حكى الاتفاق على ذلك ابن عطية والقرطبي ولم يذكرها [السيوطي] في الإتقان في السور التي بعضها مدني.وذكر الآلوسي أن صاحب التحرير(محمد بن

حيّرتِ المفسّرينَ والمتخصصين في علومِ القرآنِ آية منها هي قوله تعالى﴿وليقول الذين فِي قُلُوبهِمْ مرض والكافرون...الآية﴾، فإنّ التّخبّط الذي وقع منهم فيها لم يقع في غيرِها، لأنّ تفسيرها على نفسِ المنوالِ كما في تفسير باقي الآيات يفتح باباً خطيرا يمكن أنْ ينسف قضيّة عدالة الصّحابة منْ أساسِها. لذلكَ تراهُمْ يقُولونَ الشّيءَ ونقيضَه، ويلتمِسُون الدواء مِنْ هنا وهناك، بَلْ إنّهم ليذهبون أحياناً إلى استدلالاتٍ نحويّةٍ ولغويّةٍ شاذّةٍ يأْباها الذّوق السّليم، ويتشبّثون بأمور يُشكّ في قبولهم إيّاها فيما عدا الباب، ولعلّهم فعلوا ذلك إذ لم يجدوا شيئاً غيره يناسِب مبانيهم ويؤكِّد ما يذهبون إليه، لتبقى الأمور كما أَرادوا لها أنْ تبقى عليه.

لكأنّما غاب عن أولئك المفسّرين أنّ الله تعالى بيّن صفات وأعمال الَّذِين في قُلُوبهِمْ مرض، كما بيّن صفات وأعمال المؤمنين وأهل الكتاب والكفّار. وكأنّما غاب عنهم أيضاً أنّ الَّذِين في قُلُوبهِمْ مرض ماتوا على الكفر ـ كلّهم أو جلّهم ـ كما هو صريح في آخر سورة التّوبة، وهي على الأرجح آخرُ السّوَر نزولاً [1]، فهل يصحّ الاستغناء عن تلك البيانات القرآنية والرّكون إلى ما وقع فيه التّخبّط والاضطراب؟! أم هل يصحّ قبول ما مالت إليه نفوس المفسّرين لكونه يناسب مبانيهم وأصول مذاهبهم، والحال أنّ كلاًّ يدّعي وصلاً بليلى؟

لقد بلغ التعصّب بأحدهم أنّه قال: " كلّ ما ليس عليه أصحابُنا من آية أو

النقيب المقدسي المتوفى سنة٦٩٨له تفسير) ذكر قول مقاتل أو قوله تعالى (ما جعلنا عدتهم إلا فتنة) الخ نزل بالمدينة اهـ ولم نقف على سنده في ذلك ولا رأينا ذلك لغيره.

[1] ـ في قوله تعالى: وأمّا الذين في قُلُوبهِمْ مرض فزادتهم رجساً إلى رجسهم وماتوا وهم كافرون (التوبة ١٢٥).

حديث فهو إمّا منسوخ أو مُؤوّل "[1]؛ ومثل هذا القول يدلّ على استسلام صاحبه استسلاماً تامّاً للمذهب الذي عليه أصحابه، حيث لم يعد لديه استعداد لإعادة النّظر في بعض ما ورث، وهو بهذا الموقف يسدّ على نفسه باب البحث، فأيّ فائدة في قول من ليس لديه استعداد للبحث إلاّ في إطار ما وَرِث؟!

وحتّى لا أطيل على القارئ، وتمهيداً للدّخول في البحث منْ أسهلِ الطرق، هذه نماذجُ منْ تفسيرِ العبارة لدى مفسِّري الجمْهورِ منقولة منْ دونِ تعليق، سوى ما تقتضيه الضّرورة، حتى يتسنّى للمطّلع أنْ يرى رأْيه، و يحكمِ بما يملِيه عليه ضميره.

قال ابن جريرٍ الطّبريّ في جامع البيانِ:

" وقوله:﴿وَلِيَقُولَ الذين فِي قُلُوبهِمْ مرض وَالْكَافِرُونَ﴾ يقولُ تعالى ذِكْرُه: وليقول الذين في قُلُوبهِمْ مرض النّفاق، والكافرون باللهِ مِنْ مشرِكي قريشٍ ماذا أراد الله بهذا مثلا، كما [..]حدّثنا بشر، قال: حدّثنا يزيد، قال: حدّثنا سعيد، عن قتادة وليقول الذين في قُلُوبهِمْ مرض: أيْ نفاق "[2].

وقال ابن الجوزيّ في زاد المسير:

" والمؤمنون أيْ ولا يشكّ هؤلاءِ في عددِ الخزنة﴿وَلِيَقُولَ الذين في قُلُوبهِمْ

---

[1] ـــ أزمة الفكر السياسي في الإسلام ، د. عبد الحميد متولي: ص ٣٦، وفقه السنة ،سيد سابق: ج ١ ، ص١٠. وعبارة سيد سابق في فقه السنة كما يلي: وقد بلغ الغلوّ في الثقة بهؤلاء الأئمّة حتى قال الكرخي وهو حنفي: كل آية أوحديث يخالف ما عليه أصحابنا فهو مؤول أو منسوخ.(اهـ) وقال الآمدي في الإحكام ج٦،ص٢٦٠ قال ابن حزم: قال بعض من قوي جهله وضعف عقله ورقّ دينه: إذا اختلف العالمان وتعلّق أحدهما بحديث عن النّبي صلى الله عليه وسلم أو آية، وأتى الآخر بقول يخالف ذلك الحديث وتلك الآية، فواجب اتّباع من خالف الحديث، لأنّنا مأمورون بتوقيرهم(اهـ).

[2] ـ تفسير الطّبريّ (جامع البيان)، ج ٢٩ ص ٢٠٢.

مرض﴾وفيهِ ثلاثة أقوالٍ أحدها أنّه النّفاق ذكره الأكثرون. والثّاني أنّه الشّكّ، قاله مقاتل، وزعم أنّهم يهود أهلِ المدينة، وعنده أنّ هذه الآية مدنيّة. [وللآلوسي بخصوص ذلك كلام[1]]. والثالث أنّه الخِلاف قاله الحسين بن الفضل، وقال لم يكن بمكّة نفاق، وهذه مكّية. فأمّاالكافرون فهم مشرِكو العربِ. ماذا أراد الله أيْ أيّ شيءٍ أراد الله بهذا الحديثِ"[2].

أقولُ: الحسين بن الفضل ترجم له السّيوطيّ[3] والأدنرويّ[4] في طبقات المفسرين. هو: " الحسين بن الفضل بن عمير البجليّ الكوفي ثمّ النّيسابوري أبو عليّ المفسّر الأديب، **إمام عصره في معاني القرآن**. سمع يزيد بن هارون وعبد الله بن بكر السّهميّ وأبا النّضر وشبابة وطائفة. روى عنه محمّد بن الأخرم ومحمّد بن صالح ومحمّد بن القاسم العتكيّ وآخرون. أقام بنيسابور يعلّم النّاس العلم ويُفتي من سنة سبع عشرة ومائتين إلى أن مات سنة إثنتين وثمانين عن مائة وأربع سنين، وكان من العلماء الكبار العابدين يركع كل يوم وليلة ستمائة ركعة، وقبره هناك مَشهور يُزار، وأطنب الحاكم في ترجمته".

ولا بأس أن نسائل ـ هنا ـ أولي الألباب المنصفين، فإن الرّجل متقدّم زماناً

---

[1]- قال الآلوسي: وهو استشعار ضعيف لأنّ السؤال لصحابيّ فلعلّه كان مسافراً فاحتجّ بيهوديّ حيث كان وأيضاً لا مانع إذ ذاك من إتيان اليَهُود نحو مكّة المكرّمة ثمّ إنّ الخبرين لا يعينان حمل الموصوف على اليَهُود كما لايخفى فالأولى إبقاء التعريف على الجنس وشمول الموصوف للفريقين أي ليستيقن أهل الكتاب من اليَهُود والنصارى.

[2] **زاد المسير ـ ابن الجوزيّ ج ٨ ص١٢٧ .**

[3] ـ طبقات المفسرين، السيوطي، ج١ ص٤٨، مكتبة وهبة القاهرة س ١٣٩٦.

[4] ـــ طبقات المفسرين، الأدنروي، ج١ص٤٠، مكتبة العلوم والحكم(المدينة المنورة) ١٩٩٧تحقيق سليمان الخزي.

على غيره من المفسّرين [1]، وهومُفسّر، وإمام عصره في معاني القرآن، ومعدود في العلماء العبّاد[2]، لا نقاش في عدالته، وليس الحاكم ممّن يطنبون في ترجمة شخص ليس بذي بال، فما بالهم لم يحفلوا بكلامه وبقوا مُصرّين على جعل "المنافقين" و"الذِين فِي قُلُوبهِمْ مرض" جماعة واحدة؟!

وقال القرطبيّ في تفسيرِه: "والمؤمنون" أي المصدّقون منْ أصحابِ محمّدٍ(ص) في أنّ عِدّة خزنةِ جهنم تسعة عشر. ﴿وَلِيَقُولَ الذين فِي قُلُوبهِمْ مرض﴾أي في صدورِهم شكّ ونفاق من منافقي أهلِ المدينة الذين ينجمون في مستقبل الزمان بعد الهِجرة [!!] ولم يكن بِمكّة نفاق وإنّما نجم بالمدينة. وقيل: المعنى أي وليقول المنافقون الذين ينجمون في مستقبل الزمان بعد الهجرة.

---

[1] ـ عاش الطبري بعد الحسين بن الفضل قريبا من ثلاثين سنة.

[2] ـ في لسان الميزان ج٢، ص٣٠٧ ما يلي:

الحسين بن الفضل البجلي الكوفي العلامة المفسر أبو علي نزيل نيسابور يروي عن يزيد بن هارون والكبار ولم أر فيه كلاما لكن ساق الحاكم في ترجمته مناكير عدة فالله أعلم (انتهى). وما كان لذكر هذا في هذا الكتاب معنى فإنه من كبار أهل العلم والفضل واسم جده عمير بن القاسم بن كيسان كوفي الأصل قال الحاكم كان امام عصره في معاني القرآن لقد أنزله عبد الله بن طاهر في الدار التي ابتاعها له سنة سبع عشرة ومئتين فبقي فيها يعلم الناس العلم خمسا وستين سنة ومات وله مائة وأربع سنين وقبره مشهور يزار ثم ذكر طائفة من مشائخه ثم ذكر أن عبد الله بن طاهر لما ولاه المأمون خراسان سأله في استصحاب ثلاثة من العلماء فسماه منهم وعن أبي القاسم المذكر قال لو كان الحسين بن الفضل في بني إسرائيل لكان من عجائبهم. قال وسمعت أبا عبد الله محمد بن يعقوب يقول ما رأيت أفصح لسانا منه ثم اسند أنه كان يصلي في اليوم والليلة ستمائة ركعة ثم ساق عنه أشياء نفيسة من التفاسير وفي آخر ذلك أنه قال من سئل عن مسألة فيها أثر عن رسول الله صلى الله عليه وسلم فعليه أن يجيب بجوابه ولا يلتفت الى من خالف ذلك من قياس أو استحسان فان السند لا يعارض بشيء من ذلك. ثم ذكر شيئا من افراده وغرائب حديثه فساق له خمسة عشر حديثا ليس فيها حديث مما ينكر بكون سنده ضعيفا حتى يلزق الوهم بالحسين بل لابد فيه من راو ضعيف غيره فلو كان كل من روى شيئا منكرا استحق أن يذكر في الضعفاء لما سلم من المحدّثين أحد لا سيما المكثر منهم فكان الأولى لا يذكر هذا الرجل لجلالته والله أعلم.

﴿والكافرون﴾أي اليهود والنّصارى﴿ماذا أراد الله بهذا مثلا﴾ يعني بعدد خزنة جهنّم. وقال الحسين بن الفضلِ: السورة مكّية ولم يكن بمكّة نفاق، فالمرض في هذه الآيةِ الخِلاف. و" الكافِرون " أي مشركو العربِ. وعلى القولِ الأوّل أكثر المفسّرين. ويجوز أن يُراد بالمْرضِ: الشّكّ والارتِياب، لأنّ أهلّ مكّة كان أكثرهم شاكّين "[1].

وقال ابن قيّم الجوزيّة في الصّواعق المرسلة:" الوجه الحادي والعشرون بعد المائة، أنّ حال هؤلاء المعارضين بين الوحي والعقل ضدّ حال أهل الإيمان من كل وجه، فإن الله سبحانه أخبر عن أهل الإيمان بأنّهم كلّما سمعوا نصوص الوحي زادتهم إيمانا وفرحا واستبشارا، وأنّ الذين في قُلُوبهِمْ مرض وريب يزيدهم رجسا إلى رجسهم ويودّون أنّها لم تنزل. قال الله تعالى وإذا ما أنزلت سورة فمنهم من يقول أيّكم زادته هذه إيمانا فأما الذين آمنوا فزادتهم إيماناً وهم يستبشرون وأمّا الذين في قُلُوبهِمْ مرض فزادتهم رجسا إلى رجسهم وماتوا وهم كافرون "[2]. .فأضاف ابن القيّم عبارة " ريب " إلى الآية معطوفة على مرض ولا دليل عليه؛ فإذا كان من يضيف إلى كلام رسول الله متعمّداً يكون كاذباً عليه، فما ظنّك بمن يضيف إلى القرآن الكريم؟!

وقال ابنُ كثيرٍ:" وقوله تعالى﴿وما جعلْنا عِدّتهم إلاّ فتنة للّذين كفروا﴾ أي إنّما ذكرنا عِدّتهم أنّهم تسعة عشر اختباراً منّا للنّاسِ﴿ليَستيْقِن الّذين أُوتوا الكِتابَ﴾أي يعلمون أنّ هذا الرّسول حقّ فإنّه نطق بمطابقةِ ما بأيدِيهم من الكتبِ السّماويّةِ المنزلةِ على الأنبياءِ قبله. وقوله تعالى﴿ويزدادَ الّذين آمنوا

---

[1] ـ الجامع لأحكام القرآن، القرطبي ، ج١٩ص ٨٢.

[2] ـ الصواعق المرسلة، ج٣ ص١١٦٧ – ١١٦٨.

إيماناً﴾أي إلى إيمانـهم بما يشهدون من صدقِ إخبارِ نبيّهم محمّدٍ﴿ولايرتابَ الذين أُوتوا الكِتابَ والمؤمنونَ ولِيَقولَ الذين فِي قُلُوبهِمْ مرض﴾أي مِن المنافقِين﴿والكَافِرُون ماذا أرادَ اللهُ بِهَذَا مَثَلاً﴾أي يقولون ما الحكمة في ذكرِ هذا هاهنا ؟ قال الله تعالى﴿كذلكَ يضلّ اللهُ منْ يشاء﴾"[1].

وقال جلال الّدينِ السّيوطيّ في الدّرّ المنثور:" وأخرج عبد بن حميدٍ وابنُ المنذرِ عن قتادةَ ﴿ليستيقِن الذينَ أُوتوا الكِتابَ ويزدادَ الذين آمنوا إيماناً﴾ قال صدّق القرآن الكتب الّتي خلت قبله التّوراة والإنجيل أنّ خزنة جهنّم تسعة عشر.﴿ولِيَقولَ الذين فِي قُلُوبهِمْ مرض﴾قال الّذين في قُلُوبهِمْ النّفاق، والله أعلم"[2].

وقال الثّعالبيّ في تفسيره:"﴿الذين في قُلُوبهِمْ مرض﴾الآية نوع من الفتنةِ لهذا الصّنفِ المنافقِ أو الكافرِ أي حاروا ولم يهتدوا لِمقصدِ الحقّ، فجعل بعضهم يستفهم بعضا عن مرادِ الله بِهذا المثلِ استبعاداً أن يكون هذا من عندِ الله. قال الحسين بن الفضلِ: السّورة مكّيّة ولم يكن بِمكّة نفاق وإنّما المْرض في هذه الآيةِ الاضطراب وضعف الإيمان.."[3].

وقال الشّوكانيّ:"والمعنى أنّ الله جعل عِدّة الخزنةِ هذه العدّة ليحصل اليقين لليهودِ والنّصارى بنـبوّةِ محمّدٍ(ص) لموافقةِ ما في القرآنِ لما في كتبِهم، ﴿ويزداد الذين آمنوا إيماناً﴾ وقيل المراد الذين آمنوا من أهلِ الكتابِ كعبدِ الله بنِ سلامٍ [أقول: وأين عبد اللهِ بن سلامٍ من بدايةِ البعثةِ النّبويّةِ ونزول سورة المدّثّر؟]

---

[1]- تفسير ابن كثير، ج٤ ص٤٧٤.

[2]- الدّرّ المنثور، السّيوطيّ، ج٦ ص٢٨٤.

[3]- تفسير الثّعالبيّ، ج٥ ص٥١٤.

وقيل أراد الذين آمنوا المؤمنين من أمّةِ محمّد(ص) ، والمعنى ليزدادوا يقيناً إلى يقينِهم لِما رأوا من موافقةِ أهلِ الكتابِ لهم وجملة﴿ولا يرتاب الذين أُوتوا الكِتاب والمؤمنون﴾ مقرّرة لما تقدّم من الاستِيقان وازدِيادِ الإيمان. والمعنى نفي الارتِيابِ عنهم في الدّينِ أو في أنّ عدّة خزنة جهنّم تسعة عشر ولا ارتياب في الحقيقة من المؤمنين، ولكنّه من بابِ التّعريضِ لغيرِهم ممّن في قلبِهِ شكٌّ ﴿ولِيَقولَ الذين فِي قُلُوبهِمْ مرض والكَافِرُون ماذا أرادَ الله بِهَذَا مَثَلاً﴾ المرادُ بـ﴿الذين فِي قُلُوبهِمْ مرض﴾ هم المُنافِقون والسّورة وإن كانت مكّيّة ولم يكن إذ ذاك نِفاق فهو إخبار بما سيكون في المدِينةِ[!] أو المراد بالْمرض مجرّد حصولِ الشّكّ والرّيبِ وهو كائن في الكفّارِ[!] قال الحسين بن الفضل: السّورة مكّيّة ولم يكن بِمكّة نِفاق فالمرض في هذه الآية الخِلاف والمراد بقوله﴿والكَافِرُون﴾ كفّار العربِ من أهلِ مكّة وغيرهم"[1].

وتجدر الإشارة ههنا إلى تحليلٍ عرضه السيّد عليّ الميلانيّ في بحثٍ له تحت عنوان " الصّحابة " يقول فيه ما يلي:

" وأمّا الرّأي الحقّ في المسألةِ، بعد أن بطلت أَدلّة القولِ الأوّل الذي ادُّعِي عليهِ الإجماع، فهو أن ننظر إلى الكتابِ وإلى السنّةِ نظرة أُخرى، فنجِد في القرآن الكريمِ أنّ الذين كانوا حول رسولِ الله صلى الله عليه وآله وسلم على ثلاثةِ أقسامٍ: إمّا مؤمنون، وهذا واضح. وإمّا منافقون، وهذا واضح. وإمّا في قُلُوبهِمْ مرض، وهذا أيضا واضح. هؤلاءِ طوائف كانوا حول رسولِ الله. فإذن، ليس كلّ من كان مع رسولِ الله كان مؤمناً. المؤمنون طائفة منهم، المنَافِقون طائفة

---

١ - فتح القدير ، الشّوكانيّ ، ج٥ ص٣٣٠.

أخرى، والَذِين فِي قُلُوبهِمْ مرض طائفة ثالثة. ومِن الجديرِ بالذّكرِ- وعلى الباحِثين أنْ يتأمّلوا فيما أقُول- أنّ في سورة المُدّثر وهي على قوْل أوّل ما نزل من القرآن الكريمِ في مكّة المكرّمة، ولوْ لمْ تكن أوّل ما نزل فلعلها السّورة الثانية أوالسُّورة الثالثة؛ في أوائلِ البعثةِ النّبويّة والدّعوة المحمّديّة نزلت هذه السّورة المباركة، في هذه السّورة نجد أنّ الله سبحانه وتعالى يقول:﴿وما جعلنا أصحاب النّارِ إلاّ ملائكة وما جعلْنا عِدّتهُم إلاّ فتنة للذين كفروا﴾لاحِظوا بدقّة﴿ليستيقن الذين أوتوا الكتاب﴾هذه طائفة منْ أهلِ مكّة﴿ويزداد الذين آمنوا إيمانا﴾إذن، في مكّة عند نزول الآية أناس كانوا أهل كتابٍ وأناس مؤمنين﴿ولايرتاب الذين أوتوا الكتاب والمؤمنون وليقول الَّذين في قلوبهم مرض والكافرون ماذا أراد الله بهذا مثلا﴾. يظهر من هذه الآية المباركة: أنّ حين نزولِ السُّورة المباركةِ في مكّة كان النّاس في مكّة على أربعةِ أقسامٍ: كافِرون، أهل كتابٍ، مؤمنون، في قُلُوبهمْ مرض. الكافِرون معلوم، وهم المشرِكون، وأهل الكتابِ أيضاً معلوم، يبقى المؤمنون وهم الذين آمنوا برسول الله صلى الله عليه وآله وسلم. أمّا الَّذِين في قُلُوبهمْ مرض فمَن هم ؟ ففي مكّة، المُسلمون الذين كانُوا حول رسولِ الله عددُهمْ معيّن محصور، وأفراد معدودون جِدّاً، يُمكِننا معرفة المؤمنِ منْهم منَ الذي في قلبِه مرض، نحن الآن لسْنا بِصددِ تَعيينِ الصّغرى، لسنا بصدَدِ تعيينِ المِصداق، لكنّا عرفْنا على ضوء هذه الآية المباركةِ أنّ النّاس في مكّة في بدءِ الدّعوةِ المحمديّةِ كانُوا على أربعةِ أقسامٍ: أناس مُشركون كافِرون وهذا واضح، وفي النّاس أيضاً أهل كتابٍ، وهذا واضح، وفي النّاسِ مَن آمن برسولِ الله وهذا واضح. الَّذِين في قُلُوبهمْ مرَض، هؤلاء ليسوا من الذين آمنوا، وليسوا من المشركين والكافرين، وليسوا من أهلِ الكتابِ، فمن

هم ؟ فيظهر أنّ هناك في مكّة المكرّمة وفي بدء الدّعوة المحمّديّة ناسا عنوانـهم عند الله وفي القرآن الكريم: الَّذِين في قلوبهم مرض. ولو راجعتم التّفاسير لرأيتم القوم متحيّرين في تفسير هذه الآية وحلِّ هذه المشكلة، ولن يتمكّنوا إلاّ أن يفصحوا بالحقِّ وإلاّ أنْ يقولوا الواقع، فما داموا لا يريدون الواقع تراهم متحيّرين مضطرِبين. يقول الفخر الرّازيّ بتفسيرالآية ـ لاحظوا بدقّة ـ: جمهور المفسّرين قالوا في تفسير قوله:﴿الذين فِي قلوبهِمْ مرض﴾ إنّهم الكافرون، والحال أنّ في قلوبهِمْ مرض قسيم وقسم في مقابِل الكافرين، هذا رأي جمهور المفسّرين. ثمّ يقول ـ لاحظوا بدقّة ـ: وذكر الحسين بن الفضلِ البَجليّ أنّ هذه السُّورَة مكّية ولَمْ يَكُن بِمكّة نِفَاق، فالمَرَض في هذه الآية ليس بمعنى النّفاق. وتركَ الأمر على حالهِ، ليس بمعنى النّفاق إذاً ماذا؟ فهذا قول في مقابِل قولِ جمهورِ المُفسّرين! يقولُ الفَخْر الرّازيّ وهُو يريد أنْ يُدافع عن قولِ جمهورِ المُفسّرين، لاحِظوا بدقّةٍ قولَه: قول المُفسّرين حقّ، وذلِك لأنّه كان في معلومِ الله تعالى أنّ النّفاق سيحدُث، أيْ في المَدِينَةِ المنوّرةِ، فأخبر عمّا سيكُون، وعلى هذا تصير هذه الآية مُعجزة، لأنّه إخبار عن غيبٍ سيقع، وقدْ وقع على وفْق الخبر، فيكون مُعجزاً! كانَ ذكْر الذين انحصر في قُلُوبهِمْ مرض هنا معجزة. لكن لن يرتضي الفخر الرّازيّ أيضا هذا التّوجيه مع ذكرِه له. والعجيب من الفخر الرّازيّ حيث يقول: جمهور المفسّرين قالوا إنّهم الكافِرون، وهو يدافع عن قولهم، ويقول هو حقّ، ثمّ يحمِل الآية على أنّه إخبار عنِ النّفاق الذي سيقع. فإذا كان قول المفسّرين حقـّا، فقد فسّروا بأنّهم الكافرون، وأنت تقول: بأنّ هذا إخبار عن النّفاق الذي سيقع في المدينة المنوّرة ، فكيف كان قول المفسّرين حقّا؟! وهذا يكشف عن تحيّرهم واضطرابهم فيَ القضيّة. وممّا يزيد في وضوحِ

الاضطرابِ قوله بعد ذلك: ـ أرجو الملاحظة بدقّة ـ : ويجوز أن يراد بالمرض الشّكّ. أي: الذين في قلوبهم شكّ، لكن يعود الإشكال، فمنِ الذين في قلوبهم شكّ، في بدء الدّعوة في مكّة، في مقابِل الذين آمنوا، والذين كفروا، وأهلِ الكتابِ ؟فيعلّل كلامه قائلا: لأنّ أهل مكّة كان أكثرهم شاكّين. فنقول: من المراد هنا من أهلِ مكّة؟ هل المراد أهل الكتابِ؟ هل المراد الكفّار والمشركون؟من هؤلاء الذين أكثرهم شاكّون؟ وقدْ زاد في الطينِ بلـّةً فقال: وبعضهم كانوا قاطِعين بالكذِب؟ وهذا عجيب مِن مثلِ الفخْر الرّازيّ، عجيب والله. وليس إلا الاضطِراب والحيْرة !! هذا، والفخْر الرّازيّ في مثل هذه المواضعِ يأخُذ مِن الزّمخْشريّ ولا يذكر اسم الزّمخْشَريّ، وطابِقوا بين عبارةِ الفَخْر الرّازيّ والزّمخْشَريّ، لرأيْـتُم الزّمخْشَريّ جوابُه نفْس الجوابِ، ولا أدري تارِيخ وفاةِ الحسينِ بن الفضْل[1]، ورُبّما يكون متأخّرا عن الزّمخْشَريّ، فنفس الجوابِ موجود عند الزّمخْشَريّ وبِلا حَلّ للمشكلةِ. ويأْتي أحدهم فيأخذ كلام الفَخْر الرّازيّ والزّمخشريّ حرفِيـّاً، ويَحذِف من كلامِ الفخر الرّازيّ قول الحسين بن الفضل والبحث الذي طرحه الفخر الرّازيّ، وهذا هوالخازن في تفسيرِه، فراجعُوا. ثمّ جاء المتأخّرون وجوّزوا أن يكون المراد النّفاق، وأن يكون المراد الشّكّ، وتعود المشكلة، وكثير منهم يقولون المراد الشّكّ أوالنّفاق، لاحِظوا ابن كثيرٍ ولاحِظوا غيره من المفسّرين، فهؤلاءِ يفسّرون المرض بالشّكّ، يفسّرون المْرض بالنّفاق ويسكـتون، أي يُسلّمون بالإشكالِ أوالسؤالِ. كان في مكّةَ المكرّمة نِفاق، وأنتم تعلمون دائما أنّ النّفاق إنّما يكون حيث يخاف الإنْسان

---

[1]- توفي الحسين بن الفضل سنة ٢٨٢ هـ وتوفي محمود بن عمر الزمخشري سنة٥٨٣ هـ

على مالِه، أو يخاف على دمِه ونفسِه، فيتظاهَر بالإسلامِ وهوَ غير معتقِدٍ، وهذا في الحقيقةِ إنّما يحصل في المدِينة المنوّرةِ لقوّةِ الإسلام، لتقدّمِ الدّينِ، ولِقُدرةِ رسولِ الله صلى الله عليه وآله وسلم، هذا كلّهُ صحيحٌ. أمّا في مكّة، حيثُ الإسلامُ ضعيفٌ، وحيثُ أنّ النّبيّ مطارد، وحيث أنّه يؤذَى صباحا ومساء، فأيّ ضرورةٍ للنِّفَاقِ وأيُّ معنى حينئذٍ؟ واللهُ سبحانه وتعالى لم يعبّر بالنّفاق، وإنّما عبّر بالمْرض في القلْب؛ وفيه نُكتة. إذنْ، كان في أصحابِ رسول الله منذُ مكّة منْ في قلبِه مرض، ومنْ كان منافِقاً، وأيضا كان حواليْهِ مؤمنون، فكيف نقول أنّهم عدول أجمعون؟ وهذا على ضوءِ هذه الآيةِ. وأمّا الآيات الواردة في النّفاق، أوالسّورة التي سمّيت بسورةِ "المنافِقون"، فأنتم بكلّ ذلك عالِمُون عارِفُون"[1].

---

[1]- الصّحابة ، السيدُ عليّ الميلاني ، ص٤١.

الفصل الثاني

الذين في قلوبهم مرض
في
نظر قدماء المفسرين

- عبد الرزاق الصنعاني
- ابن جرير الطبري
- النحاس

(الذين قلوبهم مرض) في تفسير الصنعانيّ

قال الصنعانيّ عبد الرزاق بن همام في تفسيره:

"عبد الرزاق عن معمر عن الحسن في قَوْله تعالى إذ يقول المنافقون والذين في قلوبهم مرض غرّ هؤلاء دينهم قال: هم قوم لم يشهدوا القتال يوم بدر فسُمُوا مُنافقين.عبد الرزاق عن معمر وقال الكلبيّ: هم قوم كانوا أقرّوا بالإسلام بِمكّة ثمّ خرجوا مع المشركين يوم بدر، فلمّا رأوا المسلمين قالوا غرّ هؤلاء دينهم "[1]

إذاً، الذين فِي قلوبهم مرض: هم قوم لم يشهدوا القتال يوم بدر فسموا منافقين. وتفسيرٌ آخر مُغايرٌ تماماً: هم قوم كانوا أقرّوا بالإسلام بِمكّة ثمّ خرجوا مع المشركين يوم بدر...

غير أنّه لا يمكن التّسليم بأنّ الذين لم يشهدوا بدراً منافقون، لأنّ الذين خرجوا إنّما خرجوا يطلبون الغَنيمَة، وقد تقدّم إليهم رسول الله(ص) في ذلك. ويشهد له ما جاء في السيرة الحلبية حيث يقول : "

وقال سعد بن معاذ يا نبيّ الله ألا نبْني لك عريشاً تكونُ فيه، ونُعدّ عندك ركائبك، ثمّ نلقى عدوَّنا؛ فإنْ أعزّنا الله وأظهرَنا على عدوّنا كان ذلك ما أحببْنا، وإن كانت الأخرى جلستَ على ركائبك فلحقت بمَن وراءَنا من قومنا. فَقَدْ تَخَلَّفَ عَنْكَ أَقْوَامٌ يَا نَبيَّ الله مَا نَحْنُ بأَشَدَّ حُبّاً لَكَ منْهُمْ، وَلَوْ ظَنُّوا أَنَّكَ تَلْقَى حَرْباً مَا تَخَلَّفُوا عَنْكَ، يَمْنَعُكَ اللهُ عَزَّ وَجَلَّ بهمْ يُنَاصحُونَكَ وَيُجَاهدُونَ مَعَكَ. فأثنى رسول الله عليه خيراً ودعا له بخير"[2].

---

[1] ـ تفسير الصنعانيّ ج٢ص ٢٦٠ ـ ٢٦١

[2] – السيرة الحلبية زيني دحلان ، ج٢ص٣٩٤.

وهو بنفس اللفظ في كتاب الاكتفاء للكلاعيّ الأندلسيّ وفي تفسير ابن كثير باختلاف يسير، فإنّه قال بدل يناصحونك ويجاهدون معك " ويوازرونك وينصرونك". وأيضا في تاريخ الطّبريّ، وكتاب الثقات وسيرة ابن هشام وتاريخ ابن كثير (البداية والنهاية)[1] .

فكيف يُقال عن المتخلّفين عن بدْر إنّهم منافقون وسعد بن معاذ يشهدُ أنّ فيهم من هم أشدّ حُبّاً لرسول الله(ص) منه ؟ وسعد بن معاذ شهيدٌ باتّفاق العلماء، انتقض به جرحه بعد المعركة، وورد أنّه شهد جنازتَه من الملائكة خلق عظيم.

قال الصّنعانيّ: "عبد الرزاق عن معمر عن قتادة أنّ ناساً من المنافقين أرادوا أن يُظهروا نفاقهم فنزلت لئن لم ينته المنافقون والذين في قلوبهم مرض والمرجفون في المَدِينَة لنغرينّك بهم. يقول: لنحرّشنّك بهم. معمر وأخبرني عن ابن طاوس عن أبيه قال: نزلت في بعض أمور النساء يَعْنِي والذين في قلوبهم مرض. عبد الرّزّاق عن جعفر بن سليمان عن مالك بن دينار قال: قلت لعِكْرِمَة: أرأيت قول الله لئن لم ينته المنافقون والذين في قلوبهم مرض؟ قال: الزُّنَاةُ "[2].

و في تفسير الصنعانيّ أيضاً :"عبد الرّزّاق قال أ...نا أبو يزيد سلم بن عبيد الله الصنعانيّ عن إسماعيل بن شروس عن عِكْرِمَة في قوله والذين في قلوبهم مرض قال الزّناة "[3].

---

[1] ـــ الإكتفاء بما تضمنه من مغازي رسول الله والثلاثة الخلفاء، لسليمان بن موسى الكلاعي الأندلسي، ج٢ص٢١ وتفسير ابن كثيرج٢ص٣١٦وتاريخ الطّبريّ ج٢ص ٣٠، وكتاب الثقات ج١ص١٦٢ وسيرة ابن هشام ج٣ص١٦٨ والبداية والنهاية ج٣ص٢٦٨.

[2] – تفسير الصنعاني، ج٣ ص١٢٣ .

[3] ـ تفسير الصنعانيّ،ج٣ ص١٢٤ .

إذاً، فالذين في قلوبهم مرض هم الزّناة.

وعليه يكون معنى الذين في قلوبهم مرض عند الصّنعانيّ ما يلي:

(١) هم قوم لم يشـــهدوا القتال يوم بدر فســـمّوا منافقين. (٢) هم قوم كانوا أقروا بالإســـلام بمكّة ثم خرجوا مع المشـــركين يوم بدر، فلما رأوا المســـلمين قالوا غر هؤلاء دينهم. (٣) الذين في قلوبهم مرض قال الزّناة.

الذين فِي قلوبهم مرض في تفسير الطبري

قال الطّبريّ:" في تفسير قَوْله تعالى:(في قلوبهم مرض فزادهم الله مرضا ولهم عذاب أليم بما كانوا يكذبون)وأصل الْمَرَض: السّقم، ثمّ يقال ذلك في الأجساد والأديان، فأخْبر الله جلّ ثناؤه أنّ في قلوب المنافقين مرضا. وإنّما عنى تبارك وتعالى بِخبره عن مرض قلوبهم الخبر عن مرض ما في قلوبهم من الاعتقاد، ولكنْ لمّا كان معلوما بالخبر عن مرض القلب أنّه معني به مرض ما هم معتقدوه من الاعتقاد استغنى بالخبرعن القلب بذلك والكناية عن تصريح الخبرعن ضمائرهم واعتقاداتهم[وكأنّ انصراف العبارة إلي المنافقين من المسلّمات] قال: فكذلك معنى قول الله جل ثناؤه: في قلوبهم مرض إنّما يعني في اعتقاد قلوبهم الذي يعتقدونه في الدّين والتّصديق بمحمّد(ص)، وبما جاء به من عند الله مرض وسقم. فاجتزأ بدلالة الخبر عن قلوبهم على معناه عن تصريح الخبر عن اعتقادهم. والمرض الذي ذكر الله جلّ ثناؤه أنّه في اعتقاد قلوبهم الذي وصفناه هو شكّهم في أمر محمّد(ص)، وما جاء به من عند الله وتحيّرهم فيه، فلا هم به موقنون إيقان إيمان، ولا هم له منكرون إنكار إشراك، ولكنّهم كما وصفهم الله

عزّوجلّ مذبذبون بين ذلك لا إلى هؤلاء ولا إلى هؤلاء، كما يقال : فلان يمرض في هذا الأمر أي يضعف العزم ولا يصحّح الرؤية فيه. وبمثل الذي قلنا في تأويل ذلك تظاهر القول في تفسيره من المفسرين" [1].

أقول: أمّا قوله تظاهر المفسّرون فإنّه لا يغني شيئا إذا لم يفد علما؛ وكيف يفيدُه وبعضُهم قد فسّره تفسيراتٍ عدّةً يضرب بعضها بعضاً. نعم، قد ينفع ذلك التّظاهرُ لوْ لمْ يقعْ ذلك التّضارب المُدهش الذي يجعل الشّيءَ نفسَه وغيرَه وقسيمَه وضدَّه!

قال الطبريّ:" حدّثني يونس بن عبد الأعلى، قال: أخبرنا ابن وهب، قال: قال عبد الرّحمن بن زيد في قوله: في قلوبهم مرض قال: هذا مرض في الدّين وليس مرضاً في الأجساد. قال: هم المنافقون"[2].

إذاً، فحينما يقول القرآن الكريم: إذ يقول المنافقون والذين فِي قلوبهم مرض، معناه: إذ يقول المنافقون والمنافقون، فيعطف الشيء على نفسه ويأتي بالمُستهجَن في لسان العرب، والحال أنّ القرآن بلسان عربي مبين! يتحدّى العرب فصاحة وبلاغة!

قال الطبري:" .. حدّثني المثنّى بن إبراهيم قال: حدّثنا سويد بن نصر، قال: أخبرنا ابن المبارك قراءة عن سعيد عن قتادة في قوله: في قلوبهم مرض قال: في قلوبهم ريبة وشكّ في أمر الله جلّ ثناؤه. وحدّثت عن عمّار بن الحسن، قال: حدّثنا ابن أبي جعفر، عن أبيه، عن الربيع بن أنس: في قلوبهم مرض قال: هؤلاء أهل النّفاق، والْمَرَض الذي في قلوبهم الشّكّ في أمر الله تعالى ذكره. حدّثني

---

١ - جامع البيان ، الطّبريّ ، ج ١ ص ١٧٦-١٧٧.

٢ - جامع البيان ، الطبريّ ، ج١ص١٧٧.

يونس، قال: أخبرنا ابن وهب، قال: قال عبد الرحمن بن زيد: ومن النّاس من يقول آمنّا بالله وباليوم الآخر حتّى بلغ: في قلوبهم مرض قال الْمَرَض: الشّكّ الذي دخلهم في الإسلام [1].

قال الطبري: القول في تأويل قوله تعالى: فزادهم الله مرضاً. قد دللنا آنفاً على أنّ تأويل الْمَرَض الذي وصف اللهُ جلّ ثناؤه أنّه في قلوب المنافقين: هو الشّكّ في اعتقادات قلوبهم وأديانهم وما هم عليه في أمر محمّد رسول الله(ص) وأمر نبوّته وما جاء به مقيمون. فالمرض الذي أخبر الله جلّ عنهم أنّه زادهم على مرضهم هو نظير ما كان في قلوبهم من الشّكّ والحيرة قبل الزّيادة، فزادهم الله بما أحدث من حدوده وفرائضه التي لم يكن فرضها قبل الزّيادة التي زادها المنافقين من الشّكّ والحيرة إذ شكّوا وارتابوا في الذي أحدث لهم من ذلك إلى الْمَرَض والشّكّ الذي كان في قلوبهم في السّالف من حدوده وفرائضه التي كان فرضها قبل ذلك، كما زاد المؤمنين به إلى إيمانِهم الذي كانوا عليه قبْل ذلك بالذي أحْدث لهمْ من الفرائِض والحدودِ إذْ آمنوا به إلى إيمانِهم بالسّالِف منْ حُدودِه وفرائِضِه إيماناً. كالذي قال جلّ ثناؤه في تنزيله:(وإذا أُنزِلتْ سورةٌ فمِنْهُم مَنْ يَقُولُ أَيُّكُمْ زَادَتْهُ هذه إيمَاناً فَأَمّا الذِينَ آمَنُوا فَزَادَتْهُمْ إيمَاناً وَهُمْ يَسْتَبْشِرُونَ وَأَمّا الذين فِي قلوبهم مرض فَزَادَتْهُمْ رِجْساً إِلَى رِجْسِهِمْ وَمَاتُوا وَهُمْ كَافِرُونَ). فالزّيادة التي زيدَها المنافقون مِن الرّجاسَة إلى رجاسَتِهم هو ما وصفْنا، والزّيادةُ التي زِيدَها المؤمنون إلى إيمانِهمْ هُو ما بَيّنّا، وذلك هو التّأويلُ المُجْمَعُ عليه" [2].

أقول: أينَ هذا الإجْماع؟

---

[1] ـ نفس المصدر ، ج ١ ص ١٧٧ ـ ١٧٨.

[2] – جامع البيان ، الطبريّ ، ج ١ ص ١٧٨.

إنْ كانَ يقْصدُ إجماعَ المُسلِمين(أهل القبلة) فإنّ دُون إثباتِه خرطَ القَتاد. وإن كان يقصد إجماعَ أبناء طائفته، فانّه هو نفسه أوّل مَن ينقُض بُنيانَـه حيث يقول في تفسير قوله تعالى(فترى الذين فِي قلوبهم مرض يسارعون..):" اختلف أهل التّأويل في مَن عَنى بهذه الآية، فقال بعضهم: عنى بها عبد الله بن أبيّ بن سلول. ذكر من قال ذلك: حدّثنا أبو كريب، قال: حدّثنا ابن إدريس، قال: سمعت أبي عن عطيّة بن سعد: فترى الذين فِي قلوبهم مرض عبد الله بن أبيّ يسارعون فيهم في ولايتهم، يقولون نخشى أن تصيبنا دائرة... إلى آخر الآية فيصبحوا على ما أسرّوا في أنفسهم نادمين. حدّثنا هناد، قال: حدّثنا يونس بن بكير قال: حدّثنا ابن إسحاق قال: حدّثني والدي إسحاق بن يسار، عن عبادة بن الوليد بن عبادة بن الصامت: فترى الذين فِي قلوبهم مرض يَعْني: عبد الله بن أبيّ، يسارعون فيهم يقولون نخشى أن تصيبنا دائرة لقوله: إنّي أخشى دائرة تصيبني. وقال آخرون: بل عنى بذلك قوما من المنافقين كانوا يناصحون اليَهُود ويغشّون المؤمنين ويقولون نخشى أنْ تكون دائرة لليهود على المؤمنين. ذكر من قال ذلك: حدّثني محمد بن عمرو، قال: حدّثنا أبو عاصم، قال: حدّثنا عيسى، عن ابن أبي نجيح، عن مجاهد في قول الله تعالى ذكره: فترى الذين فِي قلوبهم مرض يسارعون فيهم قال: المنافقون في مصانعة يهود ومناجاتهم، واسترضاعهم أولادهم إيّاهم. وقول الله تعالى ذكره: نخشى أنْ تُصيبنا دائرة قال: يقول نخشى أن تكون الدّائرة لليهود. حدّثني المثنّى، قال: حدّثنا أبو حذيفة، قال: حدّثنا شبل عن ابن أبي نجيح، عن مجاهد، مثله. حدّثنا بشر بن معاذ، قال: حدّثنا يزيد بن زريع، قال: حدّثنا سعيد عن قتادة، قوله: فترى الذين فِي قلوبهم مرض... إلى قوله نادمين: أناس من المنافقين كانوا يودّون اليَهُود ويناصحونهم دون المؤمنين. حدّثني

محمد بن الحسين، قال: حدّثنا أحمد بن مفضل، قال: حدّثنا أسباط عن السّديّ: فترى الذين فِي قلوبهم مرض قال: شكّ يسارعون فيهم نخشى أن تصيبنا دائرة والدّائرة: ظهور المشركين عليهم. والصّواب من القول في ذلك عندنا أن يقال: إنّ ذلك من الله خبرٌ عن ناس من المنافقين[1] كانوا يُوالون اليَهُود والنّصارى، ويغشّون المؤمنين ويقولون: نخشى أنْ تدورَ دوائر، إمّا لليهود والنّصارى، وإمّا لأهل الشّرك من عبدة الأوثان أوغيرهم على أهل الإسلام، أو تنزل بهؤلاء المنافقين نازلة، فيكون بنا إليهم حاجة. وقد يجوز أن يكون ذلك كان من قول عبد الله بن أبيّ، ويجوز أنْ يكون كان من قول غيره، غير أنّـه لا شكّ أنّه من قول المنافقين. فتأويل الكلام إذن: فترى يا محمّد الذين فِي قلوبهم مرض وشكّ إيمان بنبوّتك وتصديق ما جئتهم به من عند ربّك يسارعون فيهم يَعني في اليهود والنّصارى. ويعني بمسارعتهم فيهم: مسارعتهم في موالاتهم ومُصانعتهم. يقولون نخشى أنْ تصيبَنا دائرة يقول هؤلاء المنافقون: إنّما نسارع في موالاة هؤلاء اليهود والنّصارى خوفاً من دائرة تدور علينا من عدوّنا. ويعني بالدّائرة الدّولة "[2].

فإذا كان أهل التّأويل قد اختلفوا كلّ هذا الاختلاف بِشهادته هو نفسه، فأيْنَ الإجماعُ المُدّعى ؟!

ثُمّ هُوَ ذَا يَقُولُ:" حدّثنا القاسم، قال [..][3]: قال ابن جريج في قوله: إذ يقول المنافقون والذين فِي قلوبهم مرض قال: ناس كانوا من المنافقين بِمكّة قالوه يوم بدر، وهم يومئذ ثلاث مئة وبضعة عشر رجلاً. وقد سبق قولُهم إنّ النّفاق إنّما

---

١ – من هم ؟ لماذا لا يذكر واحداً منهم على الأقلّ ؟

٢ – المصدر السابق، ج ٦ ص ٣٧٦ ـ ٣٧٨.

٣ – العلامة [..] تشير إلى اختصار الإسناد.

كانَ بالمَدِينَة لا بِمكّة"[1].

قال الطبري:" يقول تعالى ذكره: وأمّا الذين فِي قلوبهم مرَض نِفَاق وشكّ في دين الله، فإنّ السّورة التي أنزلت زادتهم رجسا إلى رجسهم، وذلك أنّهم شكّوا في أنّها من عند الله، فلم يؤمنوا بها ولم يصدّقوا، فكان ذلك زيادة شكّ حادثة في تنزيل الله لزمهم الإيمان به عليهم بل ارتابوا بذلك، فكان ذلك زيادة نتن من أفعالهم إلى ما سلف منهم نظيره من النّتن والنّفاق، وذلك معنى قوله: فزادتهم رجْساً إلى رجسهم وماتوا يعني هؤلاء المنافقين أنّهم هلكوا وهمْ كافرون يعني وهم كافرون بالله وآياته" [2].

فهو يذكر إذاً بوضوح أنّ الَّذِين في قلوبهم مرض ماتوا وهم كافرون بالله وآياته، وهذا واضح من الآية الشريفة[3]، لكنْ ليس واضحا أنّ الذين فِي قلوبهم مرض هم المنافقون، اللهمّ إلاّ أن يقصد بالنّفاق ما تكون دائرته أوسع ممّا ينحصر في عبد الله بن أبيّ بن السّلول وأتباعه، وقد سبق الكلام في ذلك عند قولِه تعالى إذ يقول المنافِقون والَّذِين فِي قلوبهم مرَض غرّ هؤلاء دينهم، وقولِه تعالى لئِنْ لمْ ينْتَه المنافقون والَّذِين فِي قلوبهم مرَض..

قال الطبري:" [..] أبو بكر بن عبد الرحمن بن الحارث أنّ رسول الله(ص) وهو بِمكّة قرأ عليهم: والنّجم إذا هوى، فلمّا بلغ: أفرأيْتُم اللاّت والعزّى

---

١ – جامع البيان ، الطّبريّ، ج ١٠ص٢٩.

٢ – جامع البيان ، الطّبريّ ، ج ١١ص٩٧.

٣– يقول ابن تيمية في الصارم المسلول، ج٢ ص٤١٨: فلما رأى من بقي من المنافقين ما صار الأمر اليه من عزّ الاسلام وقيام الرسول بجهاد الكفار والمنافقين أضمروا النّفاق فلم يكن يسمع من أحد من المنافقين بعد غزوة تبوك كلمة سوء وماتوا بغيظهم حتى بقي منهم أناس بعد موت النبي يعرفهم صاحب السّرّ حذيفة فلم يكن يصلي عليهم هو ولا يصلّي عليهم من عرفهم لسبب آخر مثل عمر بن الخطاب رضي الله عنه.

ومناة الثّالثة الأُخْرى قال: إنّ شفاعتهنّ تُرتجى. وسها رسول الله(ص)، فلَقِيَه المشركون الذين فِي قلوبهم مرَض، فسلّموا عليه، وفرحوا بذلك فقال لهم: إنّما ذلك من الشّيطان. فأنْزل الله: وما أرسلنا من قبلك من رسول ولا نبيّ... حتى بلغ: فينسخ الله ما يلقي الشّيطان "[1].

يقول الطّبريّ: المشركون الذين فِي قلوبهم مرَض. فيجعل المنافقين ـ على مبنى مدرسته ـ والمشركين شيئا واحداً! والحال أنّ المشركين طائفة والذين فِي قلوبهم مرض طائفة أخرى، وقد تمايزت الطّوائف بصورة جليّة في سورة المدّثّر، وسورة المدّثر مكّيّـة، ولم يكن في مكّة نِفَاق، فلابدّ لهم من الرّمي يميناً وشمالاً للتّخلّص من هذه الوضعيّة المُحرجة، إذْ لو اطّلع العوامّ على احتمالِ وجودِ مرضٍ في قلوبِ مَنْ أظهر الإسلام في مكّة لكانت الطّامّـة الكُبرى! فلا مَناص مِن صرْف اللّفظِ عن معناه ولو رجماً بالغَيْب. المُهمّ هُو ألاّ ينفتِحَ ذلك الباب!!

إنّ الطّبريّ هُنا كأنّما يُسلّمُ بقِصّة الغرانيق، وفيها من القدح في حفظ الذّكر ما فيها، لكنْ حينما يتمعّنُ المرءُ في ذلك يجِد أنّ سبَبَ وُقوعِ كثيرٍ مِن عُلماء الجمهور في مثل هذه الآفات مَرْجِعُه إلى عدم اعتقادهم بعصمة النّبي(ص)، واتّباعهم ما تشابه منه في هذه المسألة موافقة منهم لكعْب الأحْبار، ووهْب بن منبه، وتميم الدّاريّ، الذين سرّبُوا إسرائيليّاتِهم في الأنبِيَاء عن طريقِ أبي هريرة وعبدِ الله بن عمر بن الخطّاب وعبدِ الله بن عمرو بن العاص؛ وهم مع ذلك يتلون ويفسّرون قوله تعالى(إنّ عِبَادِي لَيْسَ لَكَ عَلَيْهِمْ سُلْطَانٌ)؛ وأنت ترى

---

[1]- جامع البيان، ج١٧ ص٢٤٨ـ٢٤٩.

أنّه ـ وفْقَ قصّة الغرانيق ـ له سلطان وأيّ سلطان! فإنّه استطاع أن يدخل بين النبيّ وبين الوحْي الذي يُوحَى إليه، وأجْرَى على لسانه ـ والعياذ بالله ـ مدْحَ آلهة المشركين ؛ فليت شعري هل كان أهلُ السّماء كلُّهم نائمين؟! والقرآن كتاب لا يأتيه الباطل من بين يديه ولا من خلفه، لكنّه في القصّة جاءه من كل جهة واستقرّ على لسان النّبيّ(ص) وقذف ما قذف، ثمّ جاء الوحي المصحّح بعد ذلك كما يأتي رجالُ الإطفاء بعد اشتعال النّيران لينقذوا ما يمكن إنقاذُه! هذه نتيجة تقديس السّلف الذي له الأولويّة في كلّ شيء حتّى حين يعارض القرآن، ويشكّك في يقظة من أُنزل عليه القرآن. ولقد قال أحدهم: كلّ آية أو حديث يخالف ما عليه أصحابُنا فهو إمّا منسوخٌ أو مُؤوَّلٌ[1]! فلاعجب أن يُنسَب إلى النّبيّ(ص) أنّه سَهَا فألقى الشّيطان في أمنيته، فذكرَ آلهة قريش بخير.

قال الطبري: "وقوله:(أفي قلوبهم مرض) يقول تعالى ذكره: أفي قلوب هؤلاء الذين يعرضون إذا دُعوا إلى الله ورسوله ليحكم بينهم شكّ في رسول الله(ص) أنّه لله رسول فهم يمتنعون من الإجابة إلى حكمه والرّضا به. أم يخافون أن يحيف الله عليهم ورسوله إذا احتكموا إلى حكم كتاب الله وحكم رسوله. وقوله أن يحيف الله عليهم ورسوله والمعنى: أن يحيف رسول الله عليهم، فبدأ بالله تعالى ذكره تعظيماً لله كمايقال: ما شاء الله ثمّ شئت، بمعنى: ما شئت. ومما يدلّ على أنّ معنى ذلك كذلك قوله: وإذا دُعُوا إلى الله ورسوله ليحكم بينهم فأفرد الرّسول بالحكم، ولم يقل: ليحكما. وقوله: بل أولئك هم الظالمون يقول: ما خاف هؤلاء المعرضون عن حكم الله وحكم رسوله، إذ أعرضوا عن الإجابة

---

[1]ـ فقه السنة ، سيد سابق ج١ ص ١٣ ـ ١٤،و أزمة الفكر السياسي في الإسلام ، د. عبد الحميد متولي ، ص ٣٦ والقائل هو أبو الحسين الكرخي من كبار علماء الحنفية.

إلي ذلك، ممّا دعوا إليه، أن يحيف عليهم رسول الله فيجور في حكمه عليهم ولكنّهم قوم أهل ظلم لأنفسهم بخلافهم أمْر ربّهم ومعصيتهم الله فيما أمرهم من الرّضا بحكم رسول الله(ص) فيما أحبّوا وكرهوا، والتّسليم له" [1].

فسّرالطّبريّ هُنا الْمَرَض بأنّه الشّكّ في رسول الله (ص).

قال الطبري: وقوله(وإذ يقول المنافقون والذين فِي قلوبهم مرض): شكّ في الإيمان وضعف في اعتقادهم إياه(ماوعدنا الله ورسوله إلاّ غرورا) وذلك فيما ذُكر قول معتب بن قشير[2]. وبنحو الذي قلنا في ذلك قال أهل التّأويل. ذكْرُ من قال ذلك: حدّثنا ابن حميد، قال: حدّثنا سلمة، عن ابن إسحاق، قال: حدّثني يزيد بن رومان وإذ يقول المنافقون والذين فِي قلوبهم مرض: ما وعدنا الله ورسوله إلاّ غرورا يقول: معتب بن قشير، إذ قال ما قال يوم الخندق. حدّثني محمد بن عمرو، قال: حدّثنا أبوعاصم قال: حدّثنا عيسى وحدّثني الحارث، قال: حدّثنا الحسن قال: حدّثنا ورقاء جميعا، عن ابن أبي نجيح، عن مجاهد، قوله وإذ يقول المنافقون والذين فِي قلوبهم مرض قال: تكلّمهم بالنّفاق يومئذ، وتكلّم المؤمنون بالحقّ والإيمان، قالوا: هذا ما وعدنا الله ورسوله فالذين في قلوبهم مرض هم الذين عندهم شكّ في الإيمان وضعف في اعتقادهم إيّاه [3].

وقال أيضا:" وإذ يقول المنافقون والذين فِي قلوبهم مرض قال: تكلّمهم بالنّفاق يومئذ، وتكلّم المؤمنون بالحقّ والإيمان، قالوا: هذا ما وعدنا الله

---

١ – جامع البيان، الطّبريّ، ج١٨ص٢٠٨.

٢ – وهو من أهل بدر.

٣ – جامع البيان، الطّبريّ، ج ٢١ ص ١٦٠-١٦١.

ورسوله"[1].

وعليه: في قلوبهم مرض = تكلّمهم بالنّفاق يومئذ.

قال الطبري: "القول في تأويل قَوْله تعالى:(يا نساء النّبيّ لستنّ كأحد من النّساء إن اتّقيتنّ فلا تخضعن بالقول فيطمع الذي في قلبه مرض وقلن قولا معروفاً. وقرن في بيوتكنّ ولا تبرّجن تبرّج الجاهليّة الأولى وأقمن الصّلاة وآتين الزّكاة وأطعن الله ورسوله إنّما يريد الله ليذهب عنكم الرّجس أهل البيت ويطهّركم تطهير)يقول تعالى ذكره لأزواج رسول الله(ص) : يا نساء النّبيّ لستنّ كأحد من النّساء من نساء هذه الأمّـة إن اتّقيتنّ الله فأطعتنّه فيما أمركنّ ونهاكنّ، كما حدّثنا بشر، قال:حدّثنا يزيد قال:حدّثنا سعيد عن قتادة، قوله: يا نساء النّبيّ لستنّ كأحد من النّساء يَعْنِي من نساء هذه الأمّة وقوله: فلاتخضعن بالقول يقول: فلا تلنّ بالقول للرّجال فيما يبتغيه أهل الفاحشة منكنّ[2] [!]. وبنحْو الذي قلنا في ذلك قال أهل التّأويل. ذكْرمن قال ذلك: حدّثني محمد بن سعد، قال: حدّثني أبي، قال: حدّثني عمّي، قال: حدّثني أبي، عن أبيه عن ابن عبّاس، قوله: يا نساء النّبيّ لستنّ كأحد من النّساء إن اتّقيتنّ فلا تخضعن بالقول يقول: لا ترخصن بالقول [كذا]، ولا تخضعن بالكلام. حدّثني يونس، قال: أخبرنا ابن وهب قال: قال ابن زيد، في قوله: فلا تخضعن بالقول قال: خضع القول ما يكره من قول النّساء للرّجال مما يدخل في قلوب الرّجال. وقوله: فيطمع الذي في قلبه مرض يقول: فيطمع الذي في قلبه ضعف فهو لضعف إيمانـه في قلبه، إمّا شاكٌّ في الإسلام منافق، فهو لذلك من أمره يستخفّ بحدود الله، وإمّا متهاون بإتيان الفواحش.

---

١ – جامع البيان ، الطّبريّ ، ج ٢١ ص١٦١ .

٢ – مَن هم أهل الفاحشة هنا؟ ألم يكونوا في عهد رسول الله(ص) ؟ وهل يكون أهل الفاحشة جميعهم عدولاً؟

وقد اختلف أهل التّأويل في تأويل ذلك فقال بعضهم: إنّما وصفه بأنّ في قلبه مرضاً، لأنّه منافق. ذكرمن قال ذلك: حدّثنا بشر، قال: حدّثنا يزيد، قال: حدّثنا سعيد، عن قتادة فيطمع الذي في قلبه مرض قال: نِفَاق. وقال آخرون: بل وصفه بذلك لأنّهم يشتهون إتيان الفواحش. ذكر من قال ذلك: حدّثنا بشر، قال: حدّثنا يزيد، قال: حدّثنا سعيد عن قتادة فيطمع الذي في قلبه مرض قال: قال عِكْرِمَة: شهوة الزّنا"[1].

فالذي في قلبه مرض: يَعْنِي به الذي في قلبه ضعف، فهو لضعف إيمانه في قلبه إمّا شاكّ في الإسلام منافق، فهو لذلك من أمره يستخفّ بحدود الله، وإمّا متهاون بإتيان الفواحش.

غيرأنّ هنالك كلاماً حول جماعة من الصّحابة كانوا ينتظرون وفاةَ الرسول الأكرم (ص) ليخلفوه في فراشه بتزوّجهم من نسائه، وأنا أعتذر إلى القارئ الكريم من هذه العبارة علماً أنّ مرادفتها لن تكون أظرفَ منها، وكم هو قاس على قلوب محبّي رسول الله(ص) أن يكتشفوا أنّ في أصحابه من كان هذا مراده.

قال جلال الدّين السيوطي: " أخرج ابن أبى حاتم عن السّدي رضي الله عنه قال بلَغَنا أنّ طلحة بن عبيد الله قال أيحجبنا محمّد عن بنات عمّنا ويتزوّج نساءنا من بعدنا ؟ لئن حدث به حدثٌ لنتزوّجنَّ نساءه من بعده !! فنزلت هذه الآية[2].

وأخرج عبد الرّزاق وعبد بن حميد وابن المنذر عن قتادة رضي الله عنه قال: قال طلحة بن عبيد الله لو قبض النبيّ(ص) تزوّجت عائشة رضي الله عنها. فنزلت وما كان لكم أن تؤذوا رسول الله الآية. وأخرج ابن سعد عن أبي بكر بن محمّد بن

---

١ – جامع البيان ـ الطّبريّ ـ ج ٢٢ص ٤ .

٢. [الآية ٥٣ من سورة الأحزاب آخرها قوله تعالى: وما كان لكم أن تؤذوا رسول الله ولا أن تنكحوا أزواجه من بعده أبداً إن ذلكم كان عند الله عظيما].

عمرو بن حزم في قوله وما كان لكم أن تؤذوا رسول الله قال نزلت في طلحة بن عبيد الله لأنّه قال إذا تُوفّي رسول الله(ص) تزوّجتُ عائشة رضي الله عنها. بلغنا أنّ طلحة بن عبيد الله قال: أيحجبنا محمد عن بنات عمّنا ويتزوّج نساءنا من بعدنا؟ لئن حدث به حدث لنتزوّجنّ نساءَه من بعده فنزلت الآية "[1].

والآية المعنية هي قوله تعالى:(وما كان لكم أن تؤذوا رسول الله ولا أن تنكحوا أزواجه من بعده أبدا إن ذلكم كان عند الله عظيما). وهذا سلوك أحد المُبشّرين بالجنّة، فما أدراك بمن هو ليس بمبشّر. وقد آلمت هذه الكلمة رسول الله(ص) وآذته وأوجعت قلبه، والذين يؤذون رسول الله لهم عذاب أليم.

قال الطبريّ:"وقوله(رأيت الذين فِي قلوبهم مرض..) يقول: رأيت الذين في قلوبهم شكّ في دين الله وضعْف ينظرون إليك يا محمّد، نظر المغشيّ عليه من الموت خوفاً أن تُغزيهم وتأمُرَهم بالجهاد مع المسلمين، فهم خوفاً من ذلك وتجبّناً عن لقاء العدوّ ينظرون إليك نظرالمغشيّ عليه الذي قد صُرِع. وإنّما عنى بقوله: من الموت من خوف الموت، وكان هذا فعل أهل النّفاق".[2]

فـ(الذين فِي قلوبهم مرض) في هذه الآية هم الذين في قلوبهم شكّ في دين الله وضعف. فالْمَرَض هو الشّكّ والضّعف. هل هو الشّكّ وحده، أم الضّعف وحده أم هما جميعا؟ يبقى السؤال مطروحاً، لأنّ الدّقّة مطلوبة والشّكّ غير الضعف، والقضيّة تتعلّق بأعداء الإسلام الذين لا تزال آثار أعمالهم إلى اليوم تمزّق وحدة المسلمين وتُوقد نيران الفتن.

قال الطبريّ: "عن ابن عبّاس، قوله: أم حسب الذين فِي قلوبهم مرض أن لن

---

١ – الدر المنثور جلال الدين السيوطي، ج ٥ ص ٢١٤.

٢– جامع البيان ، الطّبريّ ، ج٢٦ص٧١.

يخرج الله أضغانـهم... إلى آخر الآية، قال: هم أهل النّفاق، وقد عرّفه إيّاهم في براءة، فقال: ولا تصلّ على أحد منهم مات أبدا، ولا تقم على قبره، وقال: قُل لن تخرجوا معي أبدا ولن تقاتلوا معي عدوّاً. حدّثت عن الحسين قال: سمعت أبا معاذ يقول: أخبرنا عبيد قال: سمعت الضّحاك يقول في قوله: أم حسب الذين فِي قلوبهم مرَض.. الآية، هم أهل النّفاق فلعرفتهم بسيماهم ولتعرفنّـهم في لحن القول فعرّفه الله إيّاهم في سورة براءة، فقال: ولا تصلّ على أحد منهم مات أبدا، وقال قل لن تنفروا معي أبداً ولن تقاتلوا معي عدوّاً. حدّثني يونس قال: أخبرنا ابن وهب، قال: قال ابن زيد في قوله: أم حسب الذين فِي قلوبهم مرَض أن لن يخرج الله أضغانـهم قال: هؤلاء المنافقون. قال والذي أسرّوا من النّفاق هو الكُفْر. قال: أخبرنا ابن وهب، قال: قال ابن زيد في قوله: ولو نشاء لأريناكهم فلعرفتهم بسيماهم قال: هؤلاء المنافقون، قال: وقد أراه الله إياهم، وأمربهم أن يخرجوا من المسجد قال: فأبوا إلاّ أن تمسّكوا بلا إله إلاّ الله، فلمّا أبوا إلاّ أن تمسّكوا بلا إله إلاّ الله حُقنت دماؤهم، ونكَحوا ونُوكحوا بها، وقوله: ولتعرفنّهم في لحن القول يقول: ولتعرفنّ هؤلاء المنافقين في معنى قولهم ونحوه ".[1]

الَّذِين فِي قلوبهم مرَض هُنا هم أهل النّفاق، وقد عرّفه إياهم في براءة؛ هكذا يقول الطّبريّ. لكن هل عرّفه جميع المنافقين؟ والآية الشريفة تقول "ولوْ نشاءُ لأريناكَهُم فلعرفتَهم بسيماهُم ولتعرفنّهُم في لحْن القوْل..."، فالمعرفة معلّقة على الإراءة، وهذا له شبيه في القرآن في مواضع عديدة منها قوله تعالى في سورة الواقعة:(أفرأيتم الماء الذي تشربون. أأنتم أنزلتموه من المُزْن أم نحن المنزلون.

---

١ - جامع البيان ، الطّبريّ ، ج ٢٦ص ٧٨.

لو نشاء جعلناه أجاجاً فلولا تشكرون) ولم يجعلْه سبحانه وتعالى أُجاجاً إلى يومنا هذا، لم يقُل بذلك أحد!ومنها قوله تعالى: (أفرأيتم ما تحرثون. أأنتم تزرعونه أم نحن الزارعون. لو نشاء لجعلناه حُطاماً فظلتم تفكّهون. إنا لمغرمون. بل نحن محرومون).[1] وقوله تعالى:(أو لم يهْد للذين يرثون الأرض من بعد أهلها أن لو نشاء أصبناهم بذنوبهم ونطبع على قلوبهم فهم لا يسمعون)[2]، وقوله تعالى:(وإذا تتلى عليهم آياتُنا قالوا قد سمعنا لو نشاء لقُلنا مثل هذا إن هذا إلا أساطير الأوّلين)[3]. ولم يقولوا مثلَه. ولو قالوا لانتفى الإعجاز الباقي إلى يومنا هذا.

ومنها قوله:(ولو نشاء لطمسنا على أعينهم فاستبقوا الصراط فأنّى يبصرون ولونشاء لمسخناهم على مكانتهم فما استطاعوا مضيّاً ولا يرجعون)[4].

كلّ هذه الآيات فيها " **لو نشاء** " وأمرٌ معلّق بالمشيئة، إلاّ أنّ المشيئة لم تتحقّق فعلاً؛ فلا يتحقّق ما تعلّق بها.

ثمّ إنّ في سورة التوبة وهي من أواخر السّور نزولاً آيةً يُفهم منها أنّ النّبيّ(ص) لم يكن يعلم جميع المنافقين، وهي الآية (١٠١) فيها قوله تعالى:(وممّن حولكم من الأعراب منافقون ومن أهل المَدينة مردُوا على النّفاق لا تعلمهم نحن نعلمهم سنعذّبهم مرّتين ثمّ يردّون إلى عذاب أليم). ولم يتحدّث أهل التّفسير عن نسخ بخصوص هَذه الآية ـ وهذا على رأي من يقول بالنّسخ في الخبر تنزّلا، والفقهاء على خلافه كما يأتي لاحقا ـ بل ذكر جلّهم أنّ سورة التّوبة نزلت جملة واحدة.

١ـ الواقعة: ٦٣،٦٤،٦٥،٦٦،٦٧.

٢ـ الأعراف ١٠٠.

٣ـ الأنفال ٣١.

٤ـ يس ٦٦،٦٧.

ومن ناحية التّرتيب الزّمنيّ سورة التوبة متأخّرة عن سورة محمّد. فقوله قد عرّفه إيّاهم يفتقر إلى دليل[1]. وكون سورة التّوبة آخرما نزل معلوم عند القرّاء والمُفسّرين، وممّن ذكر ذلك: ابن شهاب الزّهري[2]والسّيوطيّ في الإتقان[3]. وفي ترتيب البرهان[4] تأتي سورة محمّد بعد سورة الحديد فيكون ترتيبها رقم٩٤. وأشار في البرهان أيضاً[5] إلى أنّ سورة براءة آخرما نزل وذكر مثلَه الكرميّ في النّاسخ والمنسوخ[6]. وقال النّحّاس في النّاسخ والمنسوخ بخصوص سورة التوبة: "قال أبو جعفر لا أعلم اختلافاً أنّها من آخر ما نزل بالمدِينة ولذلك قلّ المنسوخُ فيها، ويدلّك على ذلك ما حدّثنا به أحمد بن عمر بن عبد الخالق قال حدّثنا محمد بن المثنّى وعمرو بن عليّ قالا حدّثنا يحيي بن سعيد قال حدّثنا عوف الأعرابيّ عن يزيد الفارسيّ قال حدّثنا ابن عبّاس قال قُلنا لعثمان بن عفّان رضي الله عنه ما حملكم على أن عمدتم إلى الأنفال وهي من المثاني وإلى براءة[7] وهي من المئين فقرنْتم بينهما ولم تكتبوا بينهما بسم الله الرحمن الرحيم

---

[1] ـــ قال ابن حزم في المحلى ج١١،ص٢٢٤: وأما حديث جابر فراويه أبو سفيان طلحة بن نافع وهو ضعيف ثم لو صحّ لما كانت فيه حجّة لأنه ليس فيه إلاّ هبوب الرّيح لموت عظيم من عظماء المنافقين فإنما في هذا انكشاف أمره بعد موته فلم يوقن قطّ بأنّ رسول الله(ص) علم نفاقَه في حياته فلا يجوز أن يقطع بالظنّ على رسول الله(ص) .

[2] ـ تنزيل القران ص ٢١ ،دارالكتاب الحديث بيروت١٩٨٠.

[3] ـ الإتقان ـ السيوطي، ج١ ، ص ٤٨وص٨٤).

[4] ـ ترتيب البرهان في علوم القرآن ج١، ص١٩٤ ،دار المعرفة بيروت ١٣٩١ هـ

[5] ـ المصدر السابق، ج١ص٢٠٩.

[6] ـ النّاسخ و المنسوخ ـ الكرميّ ، ج١، ص١٠٢ ، دار القرآن الكريم ١٤٠٠.

[7] ـــ براءة هي سورة التوبة قال الزركشي في(البرهان في علوم القرآن ج١،ص٢٦٩ ،دار المعرفة، بيروت ١٣٩١هـ تحقيق: محمد أبو الفضل إبراهيم): وقد يكون لها[أي للسورة]أكثر من ذلك كسورة براءة والتّوبة والفاضحة والحافرة لأنها حفرت عن قلوب المنافقين. قال ابن عباس: ما زال ينزل ومنهم حتى ظننا أنه لا يبقى

ووضعْتهما في السّبع الطوال، ما حملكم على هذا؟ فقال "كان رسول الله تنزل عليه السّور ذوات العدد فإذا نزلت عليه الآية قال اجعلوها في سورة كذا وكذا فكانت الأنفال من أوّل ما نزل بالمدينة وكانت براءة من آخرما نزل، وكانت قصّتها تشبه قصّتها، ولم يبيّن لنا رسول الله في ذلك شيئا[1]، فلذلك قرنت بينهما ولم أكتب بينهما سطر بسم الله الرحمن الرحيم "[2]. وأيضا في أحكام القرآن مثله[3].

وقال ابن الجوزي: "والنّسخ إنّما يقع في الأمر والنّهي دون الخبر المحض. والاستثناء ليس بنسخ ولا التّخصيص. وأجاز بعض من لا يعتد بخلافه وقوع النّسخ في الخبر المحض وسمّى الاستثناء والتّخصيص نسْخا والفقهاء على خلافه" [4].

قلت: فلا خلاف بينهم إذاً في أن سورة براءة من آخرما نزل من القرآن الكريم، وليس بين آخر ما نزل سورة محمّد(ص)؛ بل خلافُهم في سورتي براءة والمائدة أيّتُهُما المتأخّرة نزولا وإنّما يُستشفّ من وراء اضطرابهم وتضاربهم صيانة مسألة عدالة جميع الصّحابة لا أكثر، والعجب من إصرار الطّبريّ على اعتبار(**الذين فِي قلوبهم مرض**) المنافقين كأنّما هو أمر مُسلّمٌ به لا يحتاج إلى مؤونة!

أحد إلا ذُكر فيها. وقال حذيفة: هى سورة العذاب. وقال ابن عمر: كنا ندعوها المشقشقة. وقال الحارث بن يزيد: كانت تدعى المبعثرة ويقال لها المسورة ويقال لها البحوث.

[1] ـ(لم يبيّن لنا رسول الله في ذلك شيئا)! هذا كلام خطير. وما الذي مَنعَهُم أن يسألوه أن يبيّن لهم في ذلك؟.

[2] ـ النّاسخ و المنسوخ ـ النحاس ـ ج١ ، ص ٤٧٧،مكتبة الفلاح الكويت ١٤٠٨ هـ

[3] ـ أحكام القرآن ،ج١ص١٠ ،دار إحياء التراث العربي بيروت ١٤٠٥ هـ

[4] ـ المصفّى من علم النّاسخ و المنسوخ، ج١ص١٢مؤسسة الرسالة بيروت ١٤١٥ هـ

قال الطّبري : "حدّثني يونس، قال: أخبرنا ابن وهب، قال: قال ابن زيد في قوله: أم حسب الذين فِي قلوبهم مرض أن لن يخرج الله أضغانهم قال: هؤلاء المُنافِقون، قال: والذي أسرّوا من النّفاق هو الكُفْر" [٤] .

إذاً يكون الكُفْر والنّفاق شيئاً واحداً، والله سبحانه وتعالى يقول: إن الله جامعُ المنافقين والكافرين في جهنّم جميعا[١]، فهل يُجمَع الشيء الواحد ونفسه جميعاً؟! وكيف يُجمع الواحد، والواحد في مُقابل الجمْع، والمتقابلان ـ خصوصاً في هذا المقام من التّباين ـ قطعاً لا يجتمعان؟! ثمّ هل أصبح عطف الشّيء على نفسه ـ وهو المُستهجَن في لُغة العرب ـ أمراً طبيعيّاً في القرآن الكريم؟

وهذا ابن تيمية يقول:"ثم قال(فترى الذين فِي قلوبهم مرض يسارعون فيهم يقولون نخشى أن تصيبنا دائرة فعسى الله أن يأتي بالفتح أو أمر من عنده...)فهذا وصف الَّذِين فِي قلوبِهِم مرَض، الذين يوالون الكفّار المنافقين "[٢]. وإن صحّ قوله هذا انتفى تغاير الطوائف في سورة المدّثّر وكفى بذلك تلاعُباً بكتاب الله تعالى!

قال الطّبريّ:" حدّثني حجاج، عن ابن جريج، في قوله: إذ يقول المنافقون والذين فِي قلوبهم مرَض قال: لمّا دنا القوم بعضُهم من بعض، فقلّل الله المسلمين في أعيُن المشركين، وقلّل المشركين في أعيُن المسلمين، فقال المشركون: غرّ هؤلاء دينُهم، وإنّما قالوا ذلك من قلّتهم في أعينهم، وظنّوا أنّهم سيهزمونهم لا يشكّون في ذلك، فقال الله: ومن يتوكّل على الله فإنّ الله عزيز حكيم" [٣].

---

١ ـ سورة النساء: الآية ١٤٠.

٢ ـ منهاج السنة النبوية، ابن تيمية ج٧ص١٩ .

٣ ـ جامع البيان ـ الطّبريّ ـ ج ١٠ص٢٩.

القائلون حسب الآية الشّريفة هم المنافقون والَّذِين فِي قلوبهم مرض. لكنّهم حسب هذا التّفسير هم المشركون الذين جاءوا لمحاربة رسول الله(ص) في بدر. كيف تمّ ذلك ؟

قال الطّبريّ :"يقول تعالى ذكره: لئن لم ينْته أهلُ النّفاق، الذين يستسرّون الكُفْر، ويُظهرون الإيمان، والَّذِين فِي قلوبهم مرض يَعْنِي: ريبة من شهوة الزّنا وحبّ الفجور. وبنحو الذي قُلنا في ذلك قال أهل التّأويل"[1].

فالذين فِي قلوبهم مرض: يَعْنِي ريبة من شهوة الزّنا و حبّ الفجور.

قال الطّبريّ :"وقوله (ولِيَقول الذين فِي قلوبهم مرض والكَافِرُون) يقول تعالى ذكره: ولِيَقولَ الذين فِي قلوبهم مرَض النّفاق، والكَافِرُون بالله من مشركي قريش ماذا أراد الله بِهَذَا مَثَلاً، كماحدّثنا بشر، قال حدّثنا يزيد، قال حدّثنا سعيد، عن قتادة ولِيَقول الَّذِين فِي قلوبهم مرض: أي نِفَاق. حدّثني يونس قال أخبرنا ابن وهب، قال قال ابن زيد، في قوله: ولِيَقول الذين فِي قلوبهم مرض والكَافِرُون ماذا أراد الله بِهَذَا مَثَلاً يقول: حتى يخوّفنا بهؤلاء التّسعة عشر" [2].

قلتُ: وعليه يكون معنى الذين فِي قلوبهم مرض: (هم المنافقون(. ولا يصحّ التّسليم بِهَذَا النّحو من التّفسير، لأنّ الذين فِي قلوبهم مرض وردت قَسيماً للمنافقين في مواضع عديدةٍ من الذّكر الحكيم، منها قوله تعالى(إذ يقول المنافقون والذين فِي قلوبهم مرض غرّ هؤلاء دينهم) وعطْفُ الشّيء على نفسه قبيح، بل غيرجائز، ولو أُريدَ به المنافقون لحُذفت الواو وتكون الآية: إذ يقول المنافقون الذين فِي قلوبهم مرض بجعل(الذين في قلوبهم مرض) صفةً

---

[1] ـ نفس المصدر ج ٢٢ص ٥٨.

[2] ـ جامع البيان ـ ابن جرير الطّبريّ ج ٢٩ ص ٢٠٢ .

للمنافقين، ويمنع الالتباس، ومنع الالتباس مطلوب في كلام المخلوق فكيف بكلام الخالق الذي قال عنه(وهذا لسان عربي مبين)ولا يكون مبينا إلا بتمام البيان، ولايجتمع البيان والالتباس، وإنّما يتمّ البيان إذا لم يكن هناك التباسٌ، أيُّ التباس.

ويتلخّص مما سبق أنّ الذين فِي قلوبهم مرض عند الطبري تعني ما يلي: (١) شكّ في الإيمان، وضعف في اعتقادهم إياه. (٢) معتب بن قشير، إذ قال ما قال يوم الخندق ما قال(٣) الذي في قلبه ضعف فهو لضعف إيمانه في قلبه، إمّا شاكّ في الإسلام منافق، فهو لذلك من أمره يستخفّ بحدود الله، وإمّا متهاون بإتيان الفواحش. (٤)وصفه بأنّ في قلبه مرضا لأنّه منافق. (٥)عن قتادة فيطمع الذي في قلبه مرض قال: نِفاق. (٦)وقال آخرون: بل وصفه بذلك لأنّهم يشتهون إتيان الفواحش. (٧) عن قتادة فيطمع الذي في قلبه مرض قال قال عِكْرِمَة: شهوة الزّنا (٨) الذين في قلوبهم شكّ في دين الله وضعف هم أهل النّفاق. (٩) هؤلاء المنافقون. (١٠) المشركون الذين جاءوا لمحاربة النّبيّ(ص) في بدر. (١١) الذين في قلوبهم ريبة من شهوة الزّنا وحبّ الفجور. (١٢) الذين فِي قلوبهم مرض: هم المنافقون !

(الذين في قلوبهم مرض) في معاني القرآن (النّحّاس)

قال النّحّاس في معاني القرآن:

" ثمّ قال تعالى(في قلوبهم مرض فزادهم الله مَرضاً)، روى السّديّ عن أبي مالك وأبي صالح عن ابن عبّاس قال: يقول في قلوبهم شكّ؛ وقال غيره: الْمَرَض

النّفاق والرّياء. والْمَرَض في الجسد كما أنّ العمى في القلب. ويُقال مرِض فلان أصـــابتـه عِلّة في بدنِه، فإن قيل بِمَ أصـــابهم الْمرض؟ قيل فعل هذا بهم عقوبة. وقيل بإنزال القرآن أصـابهم المرض كما قال تعالى وإذا ما أنزلت سـورة فمنهم من يقول أيّكم زادته هذه إيمانا فأمّا الذين آمنوا فزادتهم إيمانا وهم يستبشرون وأمّا الذين فِي قلوبهم مرض فزادتهم رِجْسا إلى رجسـهم وماتوا وهم كافرون. ثمّ قال تعالى ولهم عذاب اليم"[١].

الْمَرَض: الشّكّ و الرياء والنّفاق.

قـال النّحـّاس: " وقولـه عزّ وجـلّ: (فترى الـذين قلوبهم مرض) أي نِفـَاق (يســارعون فيهم) المعنى يســارعون في معـاونتهم ثمّ حـذف كمـا قـال جـلّ وعزّ(واسأل القرية) ثمّ قال جلّ وعزّ (يقولون نخشى أن تصيبنا دائرة) في معناه قَولان أحـدهمـا روي عن ابن عبّاس قـال يقولون نخشـى أن لا يـدومَ الأمر لمحمّد؛ والقولُ الآخر نخشـى أن يصـيبنا قحط فلا يفضـلوا علينا. والقول الأوّل أشـبَه بالمعنى كأنــّه من دارت تدور أي نخشـى أن يدور أمر ويدلّ عليه قوله جلّ وعزّ(فعســى الله أن يأتي بالفتح أو أمر من عنده) لأنّ الفتحَ النّصــرُ قال ابن عبّاس فأتى الله بالفتح فقـــُتِلتْ مقاتلة بني قُريظةَ وسـُبيتْ ذراريهم وأُجلِيَ بَنو النّضــير وقيل معنى (أو أمرٍ من عندِه) أي بأمر النّبيّ(ص) أن يُخبــــر بأســماء المنافقين(فيصــبحوا على ما أســرّوا في أنفســهم نادمين)"[٢]. الْمَرَض هُنا: هو النّفـاق، فـالـذين فِي قلوبهم مرض هم المنافقون.ثم قال :" ثمّ قال جلّ وعزّ و أمّا (الذين قلوبهم مرض) (الآية ١٢٥) أي شـكّ فزادتهمْ رِجساً إلي رجسِهمْ أي كفراً

---

١ – معاني القرآن ، النّحّاس، ج١ ص ٩٠،٩١.

٢ ـ معاني القرآن ـ النّحّاس ، ج ٢ ص ٣٢١ ـ ٣٢٢ .

إلى كُفرِهم"[1].فالمَرَض هو: الشّكّ والرّجْس هو الكُفْر.

قال النّحّاس:" روى الليث عن يونس عن الزّهريّ قال:

أخبرني أبو بكر بن عبد الرحمن بن الحارث بن هشام أنّ النّبيّ(ص) قرأ بِمكّة والنّجم إذا هوى فلمّا بلغ إلى قَوْله تعالى أفرأيتم اللاّت والعُزّى ومناةَ الثالثة الأخرى سها فقال فإنّ شفاعتهم تُرتجى، فلقيه المشركون والذين فِي قلوبهم مرض فسلّموا عليه فقال إنّ ذلك من الشيْطان! فأنزل الله جلّ وعزّ وما أرسلنا من قبلك من رسول ولا نبيّ إلاّ إذا تمنّى ألقى الشيطان في أمنيته إلى آخر الآية"[2]. استعمل النّحّاس العبارة هُنا في معرض نقْل ما رواه ابن هشام، وليس واضحاً إن كان حكاها أم هي من كلامه هو. ومهما يكنْ فإنّ (الذين في قلوبهم مرض) هُنا غيرُ منافقي المَدِينَة لأنّ القصّة وقعتْ في مكّة. فـ(الذين فِي قلوبهم مرض) قومٌ في مكّة وليسُوا المشركين لمَكَان العطْف.

وقال:"وقوله جلّ وعزّ ليجعل ما يلقي الشيطان فتنةً للذين في قلوبهم مرض الآية ٥٣ فتنةً أي اختباراً وامتحاناً والله جلّ وعزّ يَمتحنُ بما يشاء"[3].

لمْ يذكر النّحّاس هُنا تفسيراً لعبارة الذين في قلبهم مرض!

ثمّ قال:" ثمّ قال جلّ وعزّ وإذ يقول المنافقون والذين قلوبهم مرض ما وعدنا الله ورسوله إلا غروراً (الآية ١٢). قال قتادة: قال قومٌ من المنافقين وعدَنا محمّد أن نفتحَ قصورَ الشّامِ وفارِس وأحدُنا لا يقدِر أن يجاوزَ رحلَه ما وعدنا

---

١ ـ نفس المصدر ج ٣ ص ٢٦٨ .

٢- معاني القرآن ، النحّاس ، ج ٤ ص ٤٢٥- ٤٢٦.

٣ - معاني القرآن،النحّاس ج ٤ ص٤٢٧.

الله ورسوله إلاّغرورا"[1]. فـالذين فِي قلوبهم مرض قوم من المنافقين.

وقـال :": وقولـه جـلّ وعزّ فلا تخضــعْن بالقوْل فيطمعَ الذي في قلبه مرضٌ (الآيـة ٣٢)، يقال خضـــع في قوله إذا لانَ ولمْ يبيّن ويبيّنه قوله تعالى وقُلنَ قولاً معروفاً أي بيّناً ظاهراً. قال قتادة والسـّديّ فيطمع الذي في قلبه مرض أي شــكّ ونفَاق. قال عِكْرِمة هو شهوةُ الزّنى"[2].

وعليه، فالذي في قلبه مرض هو الذي في قلبه شكّ ونفَاق.

وأيضاً الذي في قلبه شهوةُ الزّنى.

قـال النّحـاس: "وقوله جل وعزّ (لئن لـم ينته المنافقون والذين قلوبهم مرض والمرجفون في المـَدِينـَة لنُغْرينـّك بهم) (الآيـة ٦٠) قـال قتـادة: كـان نـاسٌ من المنـافقين أرادوا أن يُظهروا نِفـاقهم فـأنزل الله جـلّ وعزّ لئنْ لم ينتـَهِ المنـافقون والـذين في قلوبهم مرض والمرجفون في المدِينة لنغرينّك بهم أي لنحرّشـنّك عليهم. وقـال مـالـك بن دينـار سـألت عكرِمة عن قوله (والذين قلوبهم مرض) فقال الزّنى، وكذلك شــهر بن حوشــب. وقال طاووس: نزلت هذه الآية في أمر النّســاء. وقال سـلمة بن كهيل: نزلت في أصـحاب الفواحش" [3].فالمرض في قول عكرِمـة هو الزنى، وفي قول طاووس تكون الآية نازلة في أمرالنّســاء. وأمّا في قول سـلمة بن كهيل فهي في أصــحاب الفواحش.قال النّحّاس: " (رأيت الـذين قلوبهم مرض) أي ريـبٌ وشــكّ (ينظرون إليـك نظر المغشــي عليه من الموت) أي نظر مغتـاظين مغمومين كمـا قـال تعـالى (وإن يكـاد الـذين كفروا

---

[1] ـ نفس المصدر السابق، ج ٥ ص٣٣٠.

[2] ـ معاني القرآن، النحّاس، ج ٥ ص ٣٤٥.

[3] ـ معاني القرآن ج٥ ص ٣٧٩ ـ ٣٨٠.

ليزلقونك بأبصـــارهم)وإنّما كانوا يكرهون ذكر القتال لأنّهم إذا تأخّروا عنه تبيّن نِفَاقهم فخافوا القتل"[1].فـــــــ(الذين فِي قلوبهم مرض) هم الذين في قلوبهم شك ونِفَاق.ثمّ قال في تفسير الآية من سورة محمد(ص) [2]: وقوله جلّ وعزّ(أم حسب الذين قلوبهم مرض أن لن يُخرِجَ الله أضغانـــهم) (الآية ٢٩) أي عداوتهم أي يظهروا عداوتهم لأهل الإسلام ".

فلم يتعرّضْ لبيان (الذين في قلوبهم مرض) كأنّما أصـــبح اعتبارُها مرادفةً لكلمةِ المنافقين مِن المُسلّمات.

هذا ما جاء في تفسير النّحّاس، وهو لمْ يخرجْ عنْ نهج سابقيهِ في تـــرْسيخ مُرادِفِيّةِ (الذين فِي قلوبهم مرض) لـــــــــ(المنافقين)، وقدْ بَان ذلك من خلالِ تجاهله للعبارة في سورة محمد(ص) .

ويتلخّص ممّا ســبق أنّ (الذين فِي قلوبهم مرض) في تفســير النّحّاس تعني: (١) الـذين في قلوبهم الشــّكّ والريـاء والنّفـاق.(٢) (الـذين قلوبهم مرض) أي نِفَاق. (٣) قال قوم من المنافقين. (٤) الذي في قلبه شهوةُ الزّنى. (٥) الذين في قلوبهم ريبٌ وشكّ.

---

[1] ـ معاني القرآن ج ٦ ص ٤٧٩.

[2] – معاني القرآن ، النحاس، ج ٦ ص ٤٨٥

الفصل الثالث

الذين في قلوبهم
في
نظر مفسري القرن الخامس

- الثعلبي
- الواحدي

(الذين في قلوبهم) مرض في تفسير الثعلبيّ

قال الثعلبي في تفسيره:

(في قلوبهم مرض) شكّ ونفاق، ومنه يُقال: فلان يمرض في الوعد إذا لم يُصححّه، وأصل المرض: الضّعف والفتور. فسمّي الشّكّ في الدّين والنّفاق (مرض) به يضعف البدن وينقص قواه؛ ولأنّه يؤدّي إلى الهلاك بالعذاب، كما أنّ المرض في البدن يؤدّي إلى الهلاك والموت"[1].

وقال: (فترى الذين فِي قلوبهم مرض) الآية، يعني عبد اللّه بن أُبيّ وصحبه من المنافقين الذين كانوا يوالون اليهود ويصانعونهم ويناصحونهم.[2]

وقال:(يا أيها الذين آمنوا لا تتخذوا اليهود والنصارى أولياء) إلى قوله (فترى الذين فِي قلوبهم مرض)، يعني عبد اللّه بن أُبيّ بن سلول إلى قوله(إنّما وليكم اللّه وسوله والذين آمنوا) يعني عبادة بن الصّامت، وأصحاب رسول اللّه. [3]

و قال:"(إذ يقول المنافقون والذين في قلوبهم) مرض شكّ ونفاق".

وقال:"(وأما الذين فِي قلوبهم مرض) شكّ ونفاق..." [4]

وقال:(وَإِذْ يَقُولُ المنافقون) يعني معتب بن قشير وأصحابه (وَالذين فِي قلوبهم مرض) شكّ وضعف اعتقاد.

وقال: قوله عزّ وجلّ: (لَئِنْ لَمْ يَنْتَهِ المنافقون وَالذين فِي قلوبهم مرض) فجور، يعني الزّناة.

---

[1] ـ تفسير ، الثعلبي، ج١ص١٥٤.

[2] ـ نفس المصدر، ج٤ ص١٧٦.

[3] ـ نفس المصدر ، ج٤ص ٨٠

[4] ـ نفس المصدر ، ج٥ ص١١٣.

وقال:"(رَأَيْتَ الذين فِي قلوبهم مرض) يعني المنافقين" [1].

وقال:"(أم حَسِبَ الذين فِي قلوبهم مرض) شكّ، يعني المنافقين(أَنْ لَنْ يُخْرِجَ اللهُ أَضْغَانَهُمْ) أحقادهم على المؤمنين، واحدها ضغن"[2].

وقال:"ويزداد الذين آمنوا إيماناً ولا يرتاب، يشكّ (الذين أوتوا الكتاب والمؤمنون وليقول الذين فِي قلوبهم مرض) شكّ ونفاق قاله أكثر المفسّرين. وقال الحسين بن الفضل: السّورة مكيّة ولم يكن بمكّة البتّة نفاق فالمرض في هذه الخلاف لا النّفاق"[3].

وعليه يكون معنى الذين فِي قلوبهم مرض في نظر الثعلبيّ:

(١) في قلوبهم مرض: شكّ ونفاق. (٢) يعني عبد اللّه بن أُبيّ وصحبه من المنافقين الذين كانوا يوالون اليهود ويصانعونهم ويناصحونهم.(٣) مرض شكّ ونفاق.(٤) فِي قلوبهم مرض شكّ وضعف اعتقاد. (٥) يعني المنافقين.(٦) وَالذين فِي قلوبهم مرض فجور، يعني الزّناة.(٧) الذين فِي قلوبهم مرض شكّ ونفاق قاله أكثر المفسّرين.

---

١ – تفسير ، الثعلبي ، ج٩ ص٣٥.

٢– نفس المصدر السابق ، ج٩ص٣٧.

٣ـ نفس المصدر، ج١٠ص ٧٤.

(الذين في قلوبهم مرض) في تفسير الواحديّ

قال الواحدي في تفسيره:

" في قلوبهم مرض شكّ ونِفَاق، فزادهم الله مرضاً أي بما أنزل من القرآن فشكّوا فيه كما شكّوا في الذي قبله. ولهم عذاب أليم مؤلم بما كانوا يكذّبون بتكذيبهم آيات الله عزّ وجلّ ونبيّه. ومن قرأ يكْذبون فمعناه بكذبهم في ادعائهم الإيمان "[1].

الْمَرَض هو الشّكّ و النِفَاق.

فـ(الذين في قلوبهم مرض) هم أهل الشّكّ و النِفَاق.

قال الواحدي:

" فترى الذين في قلوبهم مرض يَعْنِي عبد الله بن أبيّ وأصحابه يسارعون فيهم في مودّة أهل الكتاب ومعاونتهم على المسلمين بإلقاء أخبارهم إليهم يقولون نخشى أن تصيبنا دائرة أي يدور الأمر عن حاله التي يكون عليها يعنون الجدب فتنقطع عنّا الميرة والقرض. فعسى الله أن يأتي بالفتح يَعْنِي لمحمّد على جميع من خالَفَه أو أمرٍ من عنده بقتل المنافقين وهتْك ستْرهم. فيصبحوا على ما أسرّوا في أنفسهم يَعْنِي أهل النِفَاق على ما أضمروا من ولاية اليَهُود ودسّ الأخبار إليهم نادمين "[2].

(الذين في قلوبهم مرض) هم عبد الله بن أُبيّ و أصحابه.

وقال:" إذ يقول المُنافِقُون والذين في قلوبهم مرض وهم قوم أسلموا بِمكّة

---

[1] ـ تفسير الواحدي ج١ص٩٢.

[2] ـ تفسير الواحدي، ج١ص٣٢٣.

ولم يهاجروا، فلمّا خرجت قريش لحرب رسول الله خرجوا معهم، وقالوا نكون مع أكثر الفئتين. فلما رأوا قلّة المسلمين قالوا غرّ هؤلاء دينهم إذ خرجوا مع قلّتهم يقاتلون الجمع الكثير. ثمّ قُتلوا جميعاً مع المشركين. قال الله تعالى ومن يتوكل علي الله يسلم أمره إلى الله فإنّ الله عزيز قويّ منيع حكيم في خلقه "[1].

(الذين في قلوبهم مرض) : هم قوم أسلموا بِمكّة ولم يهاجروا، فلمّا خرجت قريش لحرب رسول الله خرجوا معهم .

أقول: إذا كان الأمر كذلك فإنه يستلزم أن يكون الذين في قلوبهم مرض قُتِلُوا مع المشركين يوم بدر، وانتهى أمرُهم، وإذاً فمَن الذين في قلوبهم مرض في سورة التّوبة لدى العودة من غزوة تبوك، الذين يقول عنهم القرآن الكريم: (وأما الذين في قلوبهم مرض فزادتهم رجسا إلى رجسهم وماتوا وهم كافرون)؟؟!

قال الواحدي:" صدقوا بالأولى والثانية وهم يستبشرون يفرحون بنزول ا لسورة. ١٢٥ وأمّا الذين في قلوبهم مرض شكّ ونِفَاق فزادتهم رجساً إلي رجسهم كفراً إلى كفرهم لأنّهم كلّما كفروا بسورة ازداد كفرهم. ١٢٦ ألا يرون أنّهم يُفتنون في كل عام مرة أو مرتين يمتحنون بالأمراض والأوجاع وهنّ روائِدُ الموت ثمّ لا يتوبون من النِّفَاق ولا يتعظون كما يتعظ المؤمن با لمرض. ١٢٧ وإذا ما أنزلت سورة، كان إذا نزلت سورة فيها عيب المنافقين وتلا عليهم رسول الله شقّ ذلك عليهم، و نظر بعضهم إلي بعض يريدون الهرب من عند رسول الله، وقال بعضهم لبعض: هل يراكم من أحد إن قمتم

---

[1] - تفسير الواحدي ج١ص٤٤٤.

فإن لم يَرَهُم أحد خرجوا من المسجد وإنْ علموا أنّ أحداً يراهم ثبتوا مكانهم حتى يفرغ من خطبته ثم انصرفوا على عزم الكُفْر والتّكذيب. صرف الله قلوبهم عن كل رشد وهدى بأنّهم قوم لا يفقهون جزاء على فعلهم وهو أنّهم لا يفقهون عن الله دينه وما دعاهم الله إليه"[1].

(الذين في قلوبهم مرض): هم الذين في قلوبهم شكّ ونِفَاق

قال الواحدي:

" ثم ذكر أنّ ذلك ليفتن الله به قوما فقال ٥٣ ليجعل ما يلقي الشيطان فتنة ضلالة للّذين في قلوبهم مرض وهم أهل النِفَاق، والقاسية قلوبهم المشركين، وإنّ الظالمين الكافرين لفي شقاق بعيد خلاف طويل مع النّبيّ صلّى الله عليه وآله والمؤمنين "[2].

(الذين في قلوبهم مرض) : هم أهل النِفَاق

والقاسية قلوبهم : هم المشركون

قال الواحدي:"وإذ يقول المُنافِقُون والذين في قلوبهم مرض شكّ ونِفَاق ما وعدنا الله ورسوله إلا غرورا إذ وعدنا أنّ فارس والروم يفتحان علينا. ١٣ وإذ قالت طائفة منهم من المنافقين يا أهل يثرب يَعْنِي المَدِينَة لا مقام لكم لا مكان لكم تقيمون فيه فارجعوا إلى منازلكم بالمَدِينَة أمروهم بترك رسول الله صلى الله عليه وآله وخِذلانه وذلك أنّ النّبيّ صلّى الله عليه وآله كان قد خرج من المَدِينَة إلى سلع لقتال القوم، ويستأذن فريق منهم من المنافقين النّبيَّ في الرّجوع إلى منازلهم يقولون إنّ بيوتنا عورة ليست بحصينة، نخاف

---

[1] ـ نفس المصدر السابق ج١ص ٤٨٧.

[2] ـ نفس المصدر السابق ج٢ص٧٣٨

عليها العدو . قال الله تعالى وما هيَ بعورة إن يريدون إلا فراراً من القتال "[1].

الذين في قلوبهم مرض : الذين في قلوبهم شكّ ونِفَاق

وقال الواحدي:

" لئن لم ينته المُنافِقُون والذين في قلوبهم مرض يَعْنِي الزّناة والمرجفون في المَدِينَة الذين يوقعون أخبار السرايا بأنّهم هزموا بالكذب والباطل لنغرينّك بهم لنسلّطنّك عليهم ثم لا يجاورونك فيها لا يُساكِنونك في المَدِينَة إلا قليلا حتى يخرجوا منها. ٦١ ملعونين مطرودين أينما ثقفوا وجدوا أخذوا وقتلوا تقتيلا. ٦٢ سنّة الله في الذين خلوا من قبل سنّ الله في الذين ينافقون الأنبياء ويرجفون بهم أنْ يُقتلوا حيث ما ثقفوا "[2].

الذين في قلوبهم مرض : يَعْنِي الزّناة

قال الواحدي :

"ويقول الذين آمنوا حرصاً منهم على الوحي إذا استبطأوه لولا نزلت سورة، فإذا أنزلت سورة محكمة غير منسوخة وذكر فيها فرض القتال رأيت الذين في قلوبهم مرض أي المنافقين ينظرون إليك شزراً نظر المغشي عليه من الموت كنظر من وقع في سكرات الموت كراهة منهم للقتال فأولى لهم. ٢١ طاعة وقول معروف أي لو أطاعوا وقالوا لك قولاً حسناً كان ذلك أولى . فإذا عزم الأمر أي جدّ الأمر ولزم فرض القتال فلو صدقوا الله في الإيمان والطّاعة لكان خيراً لهم. ٢٢ فهل عسيتمْ إنْ تولّيتمْ أي لعلّكم إن أعرضتمّ

---

[1] ـ نفس المصدر السابق ج٢ص٨٦٠.

[2] ـ نفس المصدر السابق ج٢ص٨٧٤ .

عمّا جاء به محمّد عليه السّلام أن تعودوا إلى أمر الجاهليّة فيقتل بعضكمْ بعضا، وهو قوله أن تفسدوا في الأرض وتقطّعوا أرحامكمْ أي بالبغْي والظّلْم والقتْل "[1].

الذين في قلوبهم مرض: المُنافِقُون

قال الواحدي :

" أم حسب الذين في قلوبهم مرض وهم المُنافِقُون أنْ لن يُخرج الله أضغانهم لن يظهر الله أحقادهم على النّبيّ صلى الله عليه وسلم والمؤمنين. ٣٠ ولو نشاء لأريناكهم لعرّفناكهم فلعرفتهم بسيماهم بعلامتهم ولتعرفنّهم في لحن القول في معنى كلامهم إذا تكلموا معك"[2].

لكن تجدر الإشارة إلى تفسير الآيات التي سبقتها، وهي قَوْله تعالى: أفلا يتدبرون القرآن فيتّعظوا بمواعظه أم على قلوب أقفالها فليس تفهمها. ٢٥ إنّ الذين ارتدّوا على أدبارهم من بعد ما تبيّن لهم الهدي يَعْنِي كفار أهْل الكتاب كفروا بمحمد صلى الله عليه وسلم وهم يعرفونه الشيطانُ سوّل لهم زيّن لهم وأملى لهم أطال لهم الأمل. ٢٦ ذلك بأنّهم قالوا للذين كرهوا ما نزّل الله يعني المشركين سنطيعكم في بعض الأمر في التّظاهرعلى عداوة محمد صلى الله عليه وسلم . ٢٧ فكيف أي فكيف يكون حالهم إذا توفّتهم الملائكة ...

(الذين قلوبهم مرض) : هم المُنافِقُون .

وقال الواحدي :

---

[1] ـ نفس المصدر السابق ج٢ص١٠٠٣.

[2] ـ تفسير الواحدي ج٢ ص١٠٠٤.

" وليقول الذين في قلوبهم مرض شـــكّ والكافرون ماذا أراد الله بِهذا مثلا أيّ شـيء أراد الله بِهَذَا العدد وتخصـيصـه. كذلك كما أضلّهم الله بتكذيبهم يضلّ الله من يشاء ويهدي من يشاء. وما يعلم جنود ربّك إلاّ هو. هذا جواب لقولهم ما أعوانـه إلاّ تسعة عشر، وما هيي أي النّار إلاّ ذكرى للبشر. أي أنّها تذكّرهم في الدنيا النّار في الآخرة"[1].

الذين في قلوبهم مرض : الذين في قلوبهم شكّ.

وللواحديّ النيسـابوريّ قولٌ أيضـاً في أسـباب نزول الآيات ص ٦٥"...الثّالثة فبرق الذي رأيتم، أضـــاءت لي منها قصـــور صـــنعاء كأنّها أنياب الكلاب. وأخبرني جبريل عليه الســـلام أنّ أمّتي ظاهرة عليها، فأبشـــروا. فاســـتبشـــر المســـلمون وقالوا: الحمد لله موعد صـــدق. وعدنا النّصـــر بعد الحفر؛ فقال المُنافِقُون: ألا تعجبون يمنّيكم ويعدكم الباطل، ويخبركم أنـــّه يبصـــر من يثرب قصور الحيرة ومدائن..؟ قال: فنزل القرآن:وإذ يقول المُنافِقُون والذين قلوبهم مرض مـا وعـدنـا الله ورســـوله إلا غرورا - وأنزل الله تعالى في هَذِهِ القصة قوله- قل اللهم مالك الملك.. الآية(اهـ).

ولايخفى ما في تفسير الآية من جعل الذين في قلوبهم مرض هم المنافقين، و الحال أنّهما طائفتان متمايزتان.

ويتلخص مما سـبق أن الذين في قلوبهم مرض في تفسـيرالواحديّ تعني ما يلي:

١ ـ الذين في قلوبهم مرض هم أهل الشّكّ والنِفَاق.

---

[1] ـ تفسير الواحدي ج٢ص١١٥١.

٢ ـ الذين في قلوبهم مرض هم عبد الله بن أُبيّ وأصحابه.

٣ ـــ هم قوم أسلموا بِمكّة ولم يهاجروا، فلما خرجت قريش لحرب رسول الله خرجوا معهم وقالوا: نكون مع أكثر الفئتين. فلمّا رأوا قلّة المسلمين قالوا غرّ هؤلاء دينُهم إذ خرجوا مع قلّتهم يقاتلون الجمع الكثير. ثمّ قُتلوا جميعا مع المشركين.

٤ ـ الذين في قلوبهم مرض: شك ونِفَاق.

٥ ـ الذين في قلوبهم مرض: هم الذين في قلوبهم شكّ ونِفَاق.

٦ ـ الذين في قلوبهم مرض: هم أهل النِفَاق.

٧ ـ الذين في قلوبهم مرض : الذين في قلوبهم شكّ ونِفَاق.

٨ ـ الذين في قلوبهم مرض : يَعْنِي الزّناة.

٩ ـ الذين في قلوبهم مرض : المُنافِقُون.

١٠ الذين في قلوبهم مرض: الذين في قلوبهم شكّ .

الفصل الرابع

الذين في قلوبهم مرض
في
نظر مفسري القرن السادس

- البغوي
- ابن الجوزي
- النسفي

(الذين قلوبهم مرض) في تفسير البغوي

قال البغويّ في تفسيره:

" في قلوبهم مرض شك ونِفَاق. وأصل الْمَرَض الضعف، سُمّيَ الشّكّ في الدّين مرضاً لأنّه يضعف الدّين كالمرض يضعف البدن. فزادهم الله مَرضاً لأنّ الآيات كانت تنزل تترى آية بعد آية، كلّما كفروا بآية ازدادوا كفراً ونِفَاقاً. وذلك معنى قَوْله تعالى وأمّا الذين فِي قلوبهم مرض فزادتهم رجساً إلى رجسهم؛ قرأ ابن عامر وحمزة فزادهم بالإمالة وزاد حمزة إمالة زاد حيث وقع وزاغ وخاب وطاب وحاق وضاق، والآخرون لا يميلونها. ولهم عذاب أليم مؤلم يخلص وجعه إلى قلوبهم بما كانوا يكذبون. ما للمصدر أي بتكذيبهم الله ورسوله في السّرّ. وقرأ الكوفيون يكذبون بالتّخفيف أي بكذبهم إذا قالوا آمنا وهم غير مؤمنين "[1].

ولا يخفى ما في هذا التّفسير من التّركيز على المنافقين دون غيرهم لأنّه يقول [بتكذيبهم الله ورسوله في السرّ] وهذا شأن المنافقين، بخلاف المؤمنين الذين قد تعرض لهم شبهات كما سبق أن أشار إليه المفسّرون قبله.

فالذين في قلوبهم مرض هُنا هم الذين في قلوبهم مرض شكّ ونفاق.

قال البغويّ:" فترى الذين قلوبهم مرض أي نفاق يعني عبد الله بن أبيّ وأصحابه من المنافقين الذين يوالون اليهود يسارعون فيهم في معونتهم وموالاتهم، يقولون نخشى أن تصيبنا دائرة دولة يعني أنْ يدول الدّهر دولته فنحتاج إلى نصرهم إيّانا. وقال ابن العباس رضي الله عنهما معناه نخشى أنْ

---

[1] ـ تفسير البغوي، ج١ص٥٠.

لا يتمّ أمرُ محمّد فيدور الأمرُ علينا. وقيل نخشى أنْ يدور الدهر علينا بمكروه من جدب وقحط ولا يعطونا الميرة والقرض. فعسى الله أنْ يأتي بالفتح، قال قتادة ومقاتل: بقضاء الفصل من نصر محمد(ص) على من خالفه. وقال الكلبيّ والسّديّ: فتح مكّة. وقال الضّحاك: فتح قُرى اليَهُود مثل خَيبر وفَدك. أو أَمْر من عنده قيل بإتمام أمره(ص) وقيل عذاب لهم. وقيل إجلاء بني النّضير. فيصبحوا يَعْنِي(هؤلاء المنافقون) على ما أسرّوا في أنفسهم من موالاة اليَهُود ودسّ الأخبار إليهم نادمين" [1].

الذين في قلوبهم مرض يعني عبد الله بن أبيّ وأصحابه من المنافقين الذين يوالون اليهود.

قال البغويّ :" وقيل في الجهاد وذلك أنّ المنافقين كرهوه كما قال الله تعالى فإذا أنزلت سورة محكمة وذكر فيها القتال رأيت الذين في قلوبهم مرض ينظرون إليك نظر المغشي عليه من الموت. كرهه بعض المؤمنين. قال الله تعالى: ألم تر إلى الذين قيل لهم كفّوا أيديكم الآية فكان النّبيّ(ص) يمسك في بعض الأحايين عن الحثّ على الجهاد لما يعلم من كراهة بعضهم فأنزل الله هذه الآية. [والآية قولُه تعالى يَا أَيّهَا الرَّسُولُ بَلِّغْ مَا أُنْزِلَ إِلَيْكَ منْ ربّكَ]"[2].

ماذا يقصد البغويّ بقوله كرهه بعض المؤمنين؟

وماذا يقصد بقوله كان النّبيّ(ص) يمسك في بعض الأحايين عن الحثّ على الجهاد ؟ وأنّى للنبيّ(ص) ذلك والقرآن الكريم يهتف بقوله(يَاأَيُّهَا النَّبيُّ

---

[1] – تفسير البغوي، ج٢ ص٤٤.

[2] ـ تفسير البغوي، ج ٢ص٥٢.

جَاهد الكُفَّارَ وَالمُنَافقينَ واغْلُظْ عَلَيْهم)وقوله تعالى(حَرّض المُؤْمنينَ عَلَى القتَال)؟!

وكيف يُمسك النبيّ(ص) عن ذلك وهو أسرع إلى طاعة ربّه من السيل إلى منتهاه؟أوَليس هو الذي يقرأ على الناس قرآنا فيه قوله تعالى (قُلْ إِنّي أَخَافُ إِنْ عَصَيْتُ رَبِّي عَذَابَ يَوْم عَظيم)؟

أوَليس هو الذي يقرأ على النّاس قرآناً فيه قولُه تعالى (إنّ اللهَ يُحبُّ الذينَ يُقَاتلُونَ في سبيله صَفّاً كأَنَّهُمْ بنيان مرصوص)؟

فكيف يقول عاقل إنّ النبيّ(ص) كان يقدّم إرضاء قوم يكرهون القتال على إرضاء ربّه جلّ وعلا ؟

ثمّ إنّ هذه الآية من سورة المائدة، وهي من آخر ما نزل[1]، على خلاف بينهم فيها وفي براءة أيّتهما الآخرة نزولاً، فهل يعرف البغويّ غزوة بعد حجّة الوداع غابت عن المؤرّخين وكتّاب السّيرة ؟

إنّ البغويّ بكلامه هذا ينحو منحى خطيرا وينسب إلى النّبيّ(ص) التّقصير في أمر الله والإمساك عن التّحريض على القتال، وهي سابقة خطيرة؛ لأنّ معنى ذلك أنّه(ص) كان يتوانى في طاعة ربّه في مسألة أساسية في الشريعة، بها قام الدين وبها دوامُه. ولعلّ البغويّ بكلامه هذا يريد صرفَ الأذهان عن واقعة الغدير، ولا يبعد أن يكون منفرداً بهذا الرأي، وهو رأي عجيب حقّاً. لأنّ المفسّرين الذين ذكروا قضيّة الغدير ليسوا بمتّهمين فيها، أمّا في مدرسة أهل البيت فأمرُها مسلَّم لايقبل الجدل. وأمّا في مدرسة الجمهور فلأنّ فيهم

---

[1] – ذكروا أنّ الآية نزلت في حجة الوداع، قال بعضهم يوم عرفة وقال آخرون يوم الغدير، وعلى كلا التقديرين فالآية نزلت قبل وفاة النبي(ص) بأسابيع.

متعصّبين ضدّ شيعة أهل البيت عليهم السلام ومتحاملين عليهم. وممّن ذكر الواقعة الواحديُّ في أسباب النزول، والقرطبيُّ، وأبو السّعود، والفخر الرّازيّ في تفسيره الكبير، وابن كثير في تفسيره، والنيشابوريّ في قوله تعالى: اليوم أكملت لكم دينكم وأتممت عليكم نعمتي ورضيت لكم الاسلام دينا في سورة المائدة. وقوله فيها: يا أيّها الرّسول بلّغ ما أنزل إليك من ربك..الآية، وجلال الدّين السّيوطيّ في تفسيره، والآلوسيّ البغداديّ في روح المعاني، وهؤلاء أئمّة التّفسير في مدرسة الخلافة.

وقال البغويّ :" وأمّا الذين قلوبهم مرض شكٌ ونفَاق فزادتهم رجسا إلى رجسهم أي كفرهم، فعند نزول كلّ سورة ينكرونها يزداد كفرهم بها. قال مجاهد هذه الآية إشارة إلى الإيمان يزيد وينقص، وكان عُمر يأخذ بيد الرجل والرّجُلين من أصحابه فيقول تعالوا حتى نزداد إيمانا. وقال عليّ بن أبي طالب إنّ الإيمان يبدو لُمْعة بيضاء في القلب فكلّما ازداد الإيمان عظماً ازداد ذلك البياض حتّى يبيضّ القلب كلّه. وإنّ النّفاق يبدو لمْعَة سوداء في القلب، فكُلّما ازداد النّفاقُ ازداد السّواد حتّى يسودّ القلب كلّه. وأيم الله لو شققتُم عن قلب مؤمن لوجدتُمُوه أبيضَ ولوْ شققتُمْ عن قلب منافق لوجدتموه أسود" [1].

(الذين قلوبهم مرض) فسّره بالذين في قلوبهم شكٌ ونفَاق.

قال البغوي:"رأيت الذين قلوبهم مرض يَعْنِي المنافقين ينظرون إليك شزراً بتحديق شديد كراهيةً منهم للجهاد، وجُبناً عن لقاء العدوّ، نظر المغشيّ

---

[1] - تفسير البغوي، ج٢ ص٣٤٠-٣٤١.

عليه من الموت، كما ينظر الشّاخص بصره عند الموت. فأولى لهم وعيد وتهديد. ومعنى قولهم في التّهديد أولى لك أي وليك وقاربك ما تكره. ثمّ قال: طاعة وقول معروف، وهذا ابتداء محذوف الخبر تقديره طاعة وقول معروف أمثل، أي لو أطاعوا وقالوا قولاً معروفا كان أمثل وأحسن. وقيل مجازه يقول هؤلاء المنافقون قبل نزول السُّورَة المحكمة طاعة رفع على الحكاية أي أمرنا طاعة أو منّا طاعة وقول معروف حسن، وقيل هو متّصل بما قبله، واللاّم في قولهم بمعنى الباء مجازه فأولى بهم طاعة الله ورسوله وقول معروف بالإجابة. أي لو أطاعوا كانت الطاعة والإجابة أولى بهم. وهذا معنى قول ابن عباس في رواية عطاء. فإذا عزم الأمر أي جدّ الأمر ولزم فرض القتال وصار الأمر معزوماً فلو صدقوا الله في إظهار الإيمان والطاعة لكان خيراً لهم. وقيل جواب إذا محذوف تقديره فإذا عزم الأمر نكلوا وكذبوا فيما وعدوا، ولو صدقوا الله لكان خيرا لهم "[1].

تفسير(الذين قلوبهم مرض) يَعْنِي المنافقين.

قال البغوي:" أم حسب الذين فِي قلوبهم مرض يَعْنِي المنافقين أن لن يخرج الله أضغانهم أن لن يظهر أحقادهم على المؤمنين فيبديها حتى يعرفوا نِفَاقهم، واحدُه ضغْن. قال ابن عباس: حسدهم. ولو نشاء لأريناكَهم أي لأعْلَمْنَاكَهم وعرّفْنَاكَهُم، فلعَرَفْتَهُم بسيماهم بعلامتهم. قال الزجّاج: المعنى لو نشاء لجعلنا على المنافقين علامة تعرفهم بها. قال أَنَس: ما خفي على رسول الله(ص) بعد نزول هذه الآية شيء من المنافقين. كان يعرفهم بسيماهم

---

[1] ـ تفسير البغوي، ج ٤ ص١٨٣.

"[1].

تفسير(الذين فِي قلوبهم مرض) يعني المنافقين.

قال البغوي :" فأنزل الله عزّ وجلّ وما جعلنا أصحاب النّار إلاّ ملائكة لا رجالاً آدميّين، فمن ذا يغلب الملائكة. وما جعلنا عدّتهم أي عَدَدهم في القلّة إلاّ فتنة للذين كفروا أي ضلالة لهم حتّى قالوا ما قالوا. ليستيقن الذين أُوتوا الكتاب لأنّه مكتوب في التّوراة والإنجيل أنّهم تسعة عشر. ويزداد الذين آمنوا إيمانا يعني من آمن من أهل الكتاب[!] يزدادون تصديقا بمحمّد(ص) إذا وجدوا ما قاله موافقاً لما في كتبهم. ولا يرتاب لا يشكّ الذين أوتوا الكتاب والمؤمنون في عددهم وليقول الذين قلوبهم مرض شكّ ونفاق والكافرون مشركو مكّة ماذا أراد الله بِهَذَا مَثَلاً أيّ شيء أراد بِهَذَا الحديث وأراد بالمثل الحديث نفسه"[2].

(الذين قلوبهم مرض) تفسيره الذين في قلوبهم شكّ ونِفَاق.

وبهذا يكون معنى الذين فِي قلوبهم مرض في تفسير البغويّ ما يلي:

(١) الذين فِي قلوبهم مرض شك ونِفَاق. (٢) يَعْنِي عبد الله بن أبيّ وأصحابه من المنافقين الذين يوالون اليَهُود.(٣) (الذين قلوبهم مرض) الذين في قلوبهم شكّ ونِفَاق. (٤) (الذين فِي قلوبهم مرض) يَعْنِي المنافقين.

الذين فِي قلوبهم مرض في تفسير ابن الجوزي

---

[1] ـ تفسير البغوي، ج٤ ص١٨٥ .

[2] ـ تفسير البغوي، ج٤ ص٤١٧ .

قال ابن الجوزيّ في زاد المسير:" قَوْله تعالى(في قلوبهم مرض) الْمَرَض هاهُنا الشّكّ، قاله عِكْرِمَة وقتادة. فزادهم الله مرضاً: هذا الإخبارُ من الله تعالى أنّه فعل بهم ذلك. والأليم بمعنى المؤلم؛ والجمهور يقرؤون يكذّبون بالتّشديد وقرأ الكوفيّون سوى أبان عن عاصم بالتّخفيف مع فتح الياء "[1].

الْمَرَض هُنا هو الشّكّ.

وقال :" قَوْله تعالى فترى(الذين قلوبهم مرض) يسارعون فيهم قال المفسّرون نزلت في المنافقين. ثمّ لهم في ذلك قولان"[2] .

قال المفسّرون نزلت في المنافقين. فالذين في قلوبهم مرض إذاً هم المنافقون.

وقال: " قَوْله تعالى (يقول المنافقون) قال ابن عبّاس هم قوم من أهل المدينة من الأوس والخزرج، فأمّا(الذين قلوبهم مرض) ففيهم ثلاثة أقوال، أحدها أنّهم قوم كانوا قد تكلّموا بالإسلام بمكّة فأخرجهم المشركون معهم يوم بدر كرها، فلمّا رأوا قلّة المسلمين وكثرة المشركين ارتابوا ونافقوا وقالوا غرّ هؤلاء دينهم، قاله أبوصالح عن ابن عبّاس وإليه ذهب الشّعبيّ في آخرين؛ وعدّهم مقاتل فقال كانوا سبعة قيس بن الوليد بن المغيرة، وأبو قيس بن الفاكه بن المغيرة، والحارث بن زمعة، وعليّ بن أميّة بن خلف، والعاص بن منية بن الحجّاج، والوليد بن الوليد بن المغيرة، والوليد بن عتبة بن ربيعة. والثّاني أنّهم المشركون[!] لمّا رأوا قلّة المسلمين قالوا غرّ هؤلاء

---

[1] – زاد المسير، ابن الجوزي، ج١ ص٢٤.

[2] – زاد المسير ـ ابن الجوزي ، ج٢ ص ٢٨٩.

دينهم؛ رواه ابن أبي طلحة عن ابن عبّاس وبه قال الحسن. والثّالث أنّهم قوم مرتابون لم يظهروا عداوة النّبيّ(ص) ؛ ذكره الماورديّ، والْمَرَض هاهُنا الشّكّ، والإشارة بقوله هؤلاء إلى المسلمين؛ وإنّما قالوا هذا لأنّهم رأوا قِلّة المسلمين فلم يشُكّوا في أنّ قريشاً تغلبهم"[1].

الذين في قلوبهم مرض هم: (١) قوم كانوا تكلّموا بالإسلام بِمكّة. (٢) المشركون لما رأوا قلّة المسلمين. (٣) قوم مرتابون لم يظهروا عداوة النّبيّ(ص).

قال ابن الجوزيّ :"(الذين قلوبهم مرض) أي شكّ ونِفَاق، وفي المراد بالرّجس ثلاثة أقوال أحدها الشّكّ قاله ابن عبّاس، والثّاني الإثم قاله مقاتل، والثّالث الكفر لأنّهم كلّما كفروا بسورة زاد كفرهم، قاله الزّجّاج. فالمراد من المرض هنا الشّكّ والنّفاق "[2].

وقال: "والفتنة هاهُنا بمعنى البليّة والمحنة، والمرض الشّكّ والنّفاق، والقاسية قلوبهم يعني الجافية عن الإيمان. ثمّ أعلمه أنّهم ظالمون وأنّهم في شقاق دائم والشّقاق غاية العداوة "[3].المرض هو الشّكّ والنّفاق، فالذين في قلوبهم مرض هم الذين في قلوبهم شكّ ونِفَاق.

قال ابن الجوزي : "أفي قلوبهم مرض أي كفرٌ أمِ ارتابوا أي شكّوا في القرآن وهذا استفهام ذمّ وتوبيخ، والمعنى أنّهم كذلك. وإنّما ذكره بلفظ

---

١ – زاد المسير- ابن الجوزي، ج ٣ ص ٢٥٠.

٢ – نفس المصدر السابق، ج ٣ ص٣٥٢.

٣ – نفس المصدر السابق، ج ٥ ص٣٠٣.

الاستفهام ليكون أبلغ في ذمّهمْ"[1].

الْمَرَض هنا: الكفر، والارتياب هو الشّكّ في القرآن. وإذاً فالذين في قلوبهم مرض هم الذين في قلوبهم كفر.

قال ابن الجوزيّ :" قَوْله تعالى(وإذ يقول المنافقون والذين قلوبهم مرض) فيه قولان أحدُهُما أنّه الشّرك، قاله الحسن. والثّاني النّفاق قالَهُ قتادة. (ما وعدنا الله ورسوله إلاّ غرورا) قال المفسّرون قالوا يومئذ إنّ محمّدا يعدنا أن نفتح مدائن كسرى وقيصر وأحدنا لا يستطيع أن يجاوز رحله، هذا والله الغرور. وزعم ابن السائب أنّ قائل هذا معتب بن قشير[2].

الْمَرَض هنا فيه قولان أحدهما الشّرْك والثّاني النّفاق.

إذاً فـ(الذين فِي قلوبهم مرض) هم المشركون.

و(الذين في قلوبهم مرض) هم المنافقون.

قال ابن الجوزي:" قَوْله تعالى (فلا تخضعن بالقول) أي لا تَلِنّ بالكلام (فيطمع الذي في قلبه مرض) أي فجور. والمعنى لا تَقُلْنَ قولاً يجدُ به منافقٌ أو فاجر سبيلا إلى موافقتكنّ له. والمرأة مندوبة إذا خاطبت الأجانب إلى الغلظة فى المقالة، لأنّ ذلك أبعد من الطّمع في الرّيبة. (وقلن قولا معروفا) أي صحيحاً عفيفا لا يطمع فاجرا "[3].

---

[1] – نفس المصدر، ج ٥ ص ٣٧٠.

[2] – نفس المصدر ، ج٦ ص١٨٥.

[3] – زاد المسير، ج٦ ص ١٩٦ .

قال:"..يجد به منافق أو فاجر سبيلا إلى موافقتكنّ.."، فمن أين جاء بكلمة منافق؟

وبعبارة أخرى :إذا كانت كلمة (فاجر) تفسيرا للذي في قلبه مرض، فكلمة (منافق) تفسير لأيّ شيء ؟

ظاهرُ الأمْر أنّ أهمّ شيء عند المفسّرين من أتباع مدرسة الخلفاء هو القرن الأكيد بين عبارة (المنافقون) وعبارة (في قلوبهم مرض).

وهكذا يكون الذي في قلبه مرض ـ هنا ـ هو الذي في قلبه فجور.

قال ابن الجوزيّ :" قوله تعالى: لئن لم ينته المنافقون أي عن نفاقهم، والذين في قلوبهم مرض أي فجور، وهم الزّناة، والمرجفون في المدينة بالكذب والباطل يقولون أتاكم العدوّ وقتل.."[1].

الذين في قلوبهم مرض هم الذين في قلوبهم فجور.

قال:"ومعنى قوله فيها القتال أي فرض فيها الجهاد، وفي المراد بالْمَرَض قولان أحدهما النّفاق، قاله ابن عباس والحسن ومجاهد والجمهور. والثّاني الشّكّ، قاله مقاتل. قَوْله تعالى (إليك) أي يشخصون نحوك بأبصارهم ينظرون نظرا شديدا كما ينظر الشّاخص ببصره عند الموت لأنّهم يكرهون القتال ويخافون إن قعدوا أن يتبيّن نفاقهم "[2] .

الْمَرَض هُنا له مَعْنَيَان:

---

[1]- زاد المسير ـ ابن الجوزي، ج٦ ص٢١٦ .

[2]- نفس المصدر ، ج ٧ ص١٥٢ .

فـالذين فِي قلوبهم مرض هم الذين في قلوبهم النّفاق (المنافقون).

والذين فِي قلوبهم مرض هم الذين في قلوبهم شكّ.

قال ابن الجوزي:" قَوْله تعالى أم حسب الذين قلوبهم مرض أي نِفَاق أن لن يخرج الله أضـغانـــهم قال الفرّاء: أي لن يبدي الله عداوتهم وبغضـهم لمحمّد (ص) . وقال الزّجّاج: أي لن يبدي عداوتهم لرسـوله(ص) ويظهره على نِفَاقهم"[1].

الذين في قلوبهم مرض: هم الذين في قلوبهم نِفَاق.

و قال ابن الجوزي : " وليقول الذين فِي قلوبهم مرض، وفيه ثلاثة أقوال أحدها أنّه النّفاق، ذكره الأكثرون. والثّاني أنّه الشـّكّ قاله مقاتل. وزعم أنّهم يهود أهل المدينة. وعنده أنّ هذه الآية مدنيّة. والثّالث أنّه الخلاف، قالـــه الحسين بن الفضل وقال: لم يكن بِمكّة نفاق وهذه مكيّة "[2].

وعليه يكون تفسير الذين فِي قلوبهم مرض كالتّالي:

(١) الذين فِي قلوبهم مرض هم: الْمَرَض هُنا هو الشّكّ. إذاً هم الشّاكّون. (٢) الـذين فِي قلوبهم مرض هم المنـافقون. (٣) قوم كـانوا قـدْ تكلّموا بالإسـلام بِمكّة فأخرجهم المشـركون معهم يوم بدر كرها، فلمّا رأوا قلّة المسـلمين وكثرة المشـركين ارتابوا ونافقوا وقالوا:غرّ هؤلاء دينهم؛ وعدّهم مقاتل فقال: كانوا سبعةً قيس بن الوليد بن المغيرة، و.. و..، و..، و..، و..،

---

[1] – نفس المصدر، ج ٧ ص ١٥٥ .

[2] – نفس المصدر ، ج ٨ ص١٢٧ .

و..، رأوا قلّة المسلمين وكثرة المشركين ارتابوا ونافقوا وقالوا غرّ هؤلاء دينهم؛ (٤) المشركون لمّا رأوا قلّة المسلمين قالوا غرّ هؤلاء دينهم. (٥) قوم مرتابون لم يظهروا عداوة النّبيّ(ص) ذكره الماوردي. (٦) الذين في قلوبهم شكّ ونفاق. (٧) الذين في قلوبهم مرض هم الذين في قلوبهم شك و نفاق. (٨) الذين في قلوبهم مرض هم الذين في قلوبهم كفر. (٩) فيه قولان أحدهما أنّه الشّرْك قاله الحسن والثاني النّفاق قاله قتادة.إذاً فالذين فِي قلوبهم مرض هم المشركون. الذين في قلوبهم مرض هم المنافقون(١٠) الذي في قلبه مرض أي فجور.(١١) الذين فِي قلوبهم مرض أي فجور وهم الزّناة.

(١٢) فالذين فِي قلوبهم مرض هم الذين في قلوبهم النّفاق (المنافقون). (١٣) والذين فِي قلوبهم مرض هم الذين في قلوبهم شكّ.

(١٤) الذين فِي قلوبهم مرض هم الذين في قلوبهم نِفَاق. (١٥) الذين في قلوبهم النّفاق. (١٦) الذين في قلوبهم الشّكّ.(١٧)ـــــ الذين في قلوبهم الخِلاف.

وهكذا تتداخل الفِئات والطّوائِفُ فيكون الكَافِرُون همُ المشركِين والمشركون هم اليَهُود...

(الذين قلوبهم مرض) في تفسير النسفيّ:

قال النّسفيّ في تفسيره :

"ويقول الذين آمنوا لولا نزلت سورة فيها ذكر الجهاد فإذا أنزلت سورة في معنى الجهاد محكمة مبيّنة غير متشابهة، لا تحتمل وجها إلاّ وجوب القتال. وعن قتادة كلّ سورة فيها ذكر القتال فهي محكمة لانّ النّسخ لا يرد عليها من قبل أنّ القتال نَسَخ ما كان من الصّفح والمُهادنة وهو غير منسوخ إلى يوم القيامة. وذُكِر فيها القتال أي أُمِر فيها بالجهاد. رأيت الذين في قلوبهم مرض نِفَاق أي رأيت المنافقين فيما بينهم ينظرون إليك نظر المغشيّ عليه من الموت يضجرون منها. ينظرون إليك نظر المغشيّ عليه من الموت أي تشخص أبصارهم جُبناً وجَزعاً كما ينظر مَن أصابته الغشيةُ عند الموت. فأولى لهم وعيد بمعنى فويْلٌ لهم وهو أفعل من الولى وهو القرب. ومعناه الدّعاء عليهم بأن يليهم المكروه"[1].

الذين في قلوبهم مرض : الذين في قلوبهم نِفَاق.

و قال النّسفيّ :"أم حسب (الذين قلوبهم مرض) أنْ لنْ يخرج الله أضغانهم أحقادهم. والمعنى أظنّ المُنافِقُون أنّ الله تعالى لا يُبرز بُغضهم وعداوتَهم للمؤمنين ولو نشاء لأريناكهم لعرّفناكهم ودلْلناكَ عليهم فلعرفتهم بسيماهم بعلامتهم، وهو أنْ يسمَهم الله بعلامة بها. وعن أنس رضي الله عنه ما خفي على رسول الله(ص) بعد هَـذِهِ الآية أحد من المنافقين. كان يعرفهم بسيماهم. ولتعرفنّهم في لحن القول في نحوه وأسلوبه الحسن من فحوى كلامهم، لأنّهم كانوا لايقدرون على كتمان ما في أنفسهم. واللام في فلعرفتهم داخلة في جواب لوْ كالتي في لأريناكَهمْ كُرِّرتْ في المعْطوفِ. وأمّا اللاّمُ في ولتعرفنّهُم

---

[1] ـ تفسير النسفي ج٤ ص١٤٨-١٤٩.

فواقعـةٌ مع النّونِ في جوابِ قســمٍ محذوفٍ. واللهُ يعلمُ أعمالَكمْ فيُميّزُ خيرَها منْ شرِّها"[1].

الذين في قلوبهم مرض : المنافقون . قال النســفي: " ليســتيقن الذين أوتوا الكتاب لأنّ عدّتهم تسعة عشر في الكتابين فإذا سمعوا بِمثلها في القرآن أيقنوا أنّه منزل من الله. ويزداد الـذين آمنوا بمحمّـد وهو عطف على ليســتيقن إيمانـا لتصـديقهم بذلك كما صدّقوا سائر ما أنزِل، أو يزدادوا يقيناً لموافقة كتابِهم كتاب أولئك. ولا يرتاب الذين أوتوا الكتاب والمؤمنون هذا عطف أيضا. وفيه توكيد للاســتيقـان وزيـادة الإيمان، إذ الاســتيقـان وازديـاد الإيمان دالاّن على انتفـاء الارتياب. ثمّ عطف على ليســتيقن أيضــا وليقول الذين في قلوبِهم مرض نفاق والكافرون والمشرِكون فإن قلت النّفاق ظهر في المدينة والسُورة مكّيّة قلت معناه وليقول المنـافقون الـذين يظهرون في المســتقبـل بـالمدِينة بعد الهجرة والكافرون بِمكّـة[!] مـاذا أراد الله بِهـذا مثلا، وهذا إخبار بِما ســيكون كســائرِ الإخبارات بـالغيوبِ، وذا لا يخـالف كون الســورة مكّيـة. وقيـل المراد بـالمُرض الشّــكّ والارْتياب لأنّ أهل مكّة كان أكثرهم شـاكّين. ومثلا تمييز لهذا أو حالٌ منْهُ كَقوْلِـه هـَذِهِ نـاقةُ الله لكمْ آية ولمّا كانَ ذكرُ العددِ في غاية الغرابةِ وأنّ مثلَه حقِيقٌ بِأنْ تَسيرَ بِهِ الرُّكْبانُ سيرَهَا بالأمْثالِ سُمّيَ مَثَلاً. والمعنى أيَّ شيءٍ أرادَ اللهُ بِهَذَا العددِ العجيبِ وأيَّ معنى أرادَ في أنْ جعلَ الملائكةَ تسـعةَ عشــرَ لاَ عشـرينَ؛ وغرضُـهمْ إنْكَارُهُ أصْلاً وأنّه ليْسَ مِنْ عندِ الله وأنّه لوْ كانَ مِنْ عندِ

---

[1] ـ نفس المصدر السابق ج ٤ ص ١٥٠.

الله لما جاء بِهذا العدد النّاقص"[1].

الذينَ في قلوبِهمْ مَرَض نِفَاق.

ولا بدّ لنا من وقفة مع النّسفيّ، لأنّه تصرّف في اللّفظ بعكس ما هو معلوم عند اللّغويين والأصوليّين؛ فإنّه لا يصحّ صرف اللّفظ عما وُضع له إلاّ بقرينة. وللقرائن قوانينها. فالآية الشّريفة لا تشير من بعيد ولا من قريب إلى ما يحدُث بعد الهجرة، ولا وجودَ لعبارة الهجرة أصلاً، فمن أين جاء به النّسفيّ بهذه الدّقّة (المُنافِقُون – الذينَ يظْهرونَ – في المُستَقْبل – بالمَدِينَة – بعدَ الهِجْرَة).!! وهل يقبل النّسفيّ ومن معه أن يُفتح هذا الباب في غير هذه الآية من القرآن الكريم والحديث النبوي الشريف؟

يتلخّص مما سبق أن (الذين قلوبهم مرض) في تفسير النّسفيّ تعني:

١ ـ الذين في قلوبهم مرض نِفَاق.

٢ ـ الذين في قلوبهم مرض الذين في قلوبهم نِفَاق .

فهم المنافقون لا غير، فإذا قال الله تعالى: إذ يقول المنافقون والذين في قلوبهم مرض، فمعنى ذلك إذ يقول المنافقون والمنافقون !! هذا بيانه سبحانه وتعالى بهذا التّكرار الذي يربأ عنه الأعراب بسليقتهم، فما ظنّك بمن " علّم البيان"؟ ولكن، في نظر النّسفيّ وأمثاله، إذا دار الأمر بين التّثبّت من سيرة صاحبيّ وبين نسبة الخلْط إلى كلام الله تعالى ، فإنّه لا بأس بنسبة الخلط إلى كلام الله تعالى ما دام في ذلك محافظة عل صورة الصّحابيّ .

---

[1] ـ تفسير النسفي ، ج ٤ص٢٩٦-٢٩٧.

الفصل الخامس

الذين في قلوبهم مرض
في
نظر مفسري القرن السابع

- فخر الدين الرازي
- القرطبي
- النووي

الذين فِي قلوبهم مرض في تفسير الرّازيّ

قال الرّازيّ في تفسير قوله تعالى قوله تعالى:(أفي قلوبهم مرض أَمِ ٱرْتَابُواْ أَمْ يَخَافُونَ أَن يحيف الله عليهِم ورسوله) " فيه سؤالات:

السؤال الأول:كلمة (أم) للاستفهام وهو غير جائز على الله تعالى والجواب: اللّفظ استفهام ومعناه الخبر كما قال جرير:

ألستم خير من ركب المطايا وأندى العالمين بطونَ راح

السؤال الثّاني: أنّهم لو خافوا أن يحيف الله عليهم فقد ارتابوا في الدّين وإذ ارتابوا ففي قلوبهم مرض، فالكلّ واحد، فأيّ فائدة في التعديد؟ الجواب قوله (أفي قلوبهم مرض) إشارة إلى النّفاق. وقوله (أَمِ ٱرْتَابُواْ) إشارة إلى أنّه حدث هذا الشّكّ والرّيب بعد تقرير الإسلام في القلب، وقوله: (أَمْ يَخَافُونَ أَن يَحِيفَ ٱللَّهُ عَلَيْهِمْ) إشارة إلى أنّهم بلغوا في حبّ الدنيا إلى حيث يتركون الدّين بسببه.

السؤال الثّالث: هبْ أنّ هذه الثّلاثة متغايرة ولكنّها متلازمة فكيف أدخل عليها كلمة (أم)؟

الجواب: الأقرب أنّه تعالى ذمّهم على كل واحد من هذه الأوصاف فكان في قلوبهم مرض وهو النّفاق، وكان فيها شكّ وارتياب، وكانوا يخافون الحيف من الرّسول عليه الصلاة والسّلام وكلّ واحد من ذلك كفر ونفاق، ثم بيّن تعالى بقوله: (بَلْ أُوْلَـٰٓئِكَ هُمُ ٱلظَّـٰلِمُونَ)بطلان ما هم عليه لأنّ الظّلم يتناول كلّ معصية كما قال تعالى: (إِنَّ ٱلشِّرْكَ لَظُلْمٌ عَظِيمٌ) إذ المرء لايخلو من أن يكون ظالماً لنفسه أو ظالما لغيره. ويمكن أن يقال أيضا

لمّا ذكر تعالى في الأقسام كونهم خائفين من الحيف، أبطل ذلك بقوله: (بَلْ أُوْلَـٰٓئِكَ هُمُ ٱلظَّـٰلِمُونَ) أي لا يخافون أن يحيف الرسول عليه الصلاة والسلام عليهم لمعرفتهم بأمانته وصيانته وإنّما هم ظالمون يريدون أن يظلموا من له الحقّ عليهم وهم له جحود، وذلك شيء لا يستطيعونه في مجلس رسول الله صلى الله عليه وسلم ثمّ يأبون المحاكمة إليه"[1].

وقال في تفسير قوله تعالى : (أَمْ حَسِبَ ٱلَّذِينَ فِى قلوبهم مرض أَن لَّن يُخْرِجَ اللهُ أَضْغَـٰنَهُمْ):

" هذا إشارة إلى المنافقين و(أَمْ) تستدعي جملة أخرى استفهامية إذا كانت للاستفهام، لأنّ كلمة (أَمْ) إذا كانت متّصلة استفهاميّة تستدعي سبق جملة أخرى استفهاميّة، يقال أزيد في الدّار أم عمرو، وإذا كانت منقطعة لا تستدعي ذلك، يقال إن هذا لزيد أم عمرو، وكما يقال بل عمرو، والمفسّرون على أنّها منقطعة، ويحتمل أن يقال إنّها استفهاميّة، والسّابق مفهوم من قوله تعالى: (وَٱللَّهُ يَعْلَمُ إِسْرَارَهُمْ) فكأنّه تعالى قال: أحسب الذين كفروا أن لن يعلم الله إسرارهم أم حسب المنافقون أن لن يظهرها والكلّ قاصر، وإنّما يعلمها ويظهرها، ويؤيّد هذا أنّ المنقطعة لا تكاد تقع في صدر الكلام فلا يقال ابتداء، بل جاء زيد ولا أم جاء عمرو، والإخراجُ بمعنى الإظهار فإنّه إبراز، والأضغان هي الحقود والأمراض، واحدها ضغْن"[2].

وقال في تفسير الآية من سورة المدثر:" السؤال السادس: جمهور المفسرين قالوا في تفسير قوله: (ٱلَّذِينَ في قلوبهم مرض) أنّهم الكافرون.

---

[1] – تفسير الرّازيّ، ج٢٤ ص١٩.

[2] – تفسير الرازي (مفاتيح الغيب)، ج٢٨ ص٦٠.

وذكر الحُسَيْنُ بنُ الفَضْل البجليّ أنّ هذه السورة مكّيّة ولم يكن بمكّة نفاق، فالمرض في هذه الآية ليس بمعنى النّفاق. والجواب: قولُ المفسّرين حقٌّ، وذلك لأنّه كان في معلوم الله تعالى أنّ النّفاق سيحدُث فأخبر عمّا سيكون، وعلى هذا تصيرُ هذه الآية معجزة لأنّه إخبار عن غيبٍ سيقع، وقد وقع على وفق الخبر فيكون معجزا. ويجوز أيضا أن يراد بالمرض الشّكّ لأنّ أهل مكّة كان أكثرهم شاكّين وبعضهم كانوا قاطعين بالكذب "[1].

أقول: قد علّق السيّد عليّ الميلانيّ على كلام الفخر الرّازيّ بما هو حقيق بالتّدبّر لمن أراد البحث في المسألة بعيدا عن الانتماء المذهبيّ. ولم أطّلع على كلام السّيد إلاّ حين اقتربتُ من نهاية البحث[2]. قال السيّد الميلانيّ [3]: يقولُ الفَخْر الرّازيّ وهُو يريد أن يدافع عن قول جمهور المفسّرين ـ لاحظوا بدقّة قوله ـــ: قول المفسّرين حقّ، وذلك لأنّه كان في معلومِ الله تعالى أنّ النّفاق سيحدث، أيْ في المدينة المنوّرة فأخبر عمّا سيكون، وعلي هذا تصير هذه الآية معجزة لأنّه إخبار عن غيبٍ سيقع، وقد وقع علي وفق الخِبر، فيكون معجزا ! كان ذكر الذين انحصر في قلوبهم مرض هنا معجزة. لكن لن يرتضي الفخر الرّازيّ أيضا هذا التوجيه مع ذكرِهِ له. والعجيب من الفخر الرّازيّ حيث يقول: جمهور المفسّرين قالوا إنّهم الكافرون، وهو يدافع عن قولهم ويقول: هو حقّ، ثمّ يحمل الآية علي أنّه إخبار عن النّفاق الذي سيقع فإذا كان قول المفسّرين حقّا، فقد فسّروا بأنّهم الكافِرون وأنت

---

١ – تفسير الرّازي، ج٣٠ص١٨٢.

٢ – كان ذلك أثناء حديث مع الشيخ فارس الحسون ـ رحمه الله تعالى ـ بمركز الأبحاث العقائدية.

٣ – الصّحابة علي الميلاني، ص ٤٤.

تقول بأنّ هذا إخبار عن النّفاق الذي سيقع في المدينة المنوّرة، فكيف كان قول المفسّرين حقّا؟ وهذا يكشف عن تحيّرهم واضطرابِهم في القضيّة. وممّا يزيد في وضوح الاضطرابِ قوله بعد ذلك ــ أرجو الملاحظة بدقّة ــ: ويجوز أن يراد بالْمَرَض الشّكّ. أي: الذين في قلوبهم شكّ. لكن يعودُ الإشكال، فمن الذين في قلوبهم شكّ، في بدء الدّعوة في مكّة، في مقابِل الذين آمنوا، والذين كفروا، وأهل الكتابِ ؟ فيعلّل كلامه قائلا: لأنّ أهل مكّة كان أكثرهم شاكّين. فنقول: من المراد هنا من أهل مكّة ؟ هل المراد أهل الكتابِ؟ هل المراد الكفّار والمشركون ؟ من هؤلاء الذين أكثرهم شاكّون ؟ وقدْ زاد في الطّين بلّة فقال: وبعضهم كانوا قاطعين بالكذب. وهذا عجيبٌ من مثل الفخر الرّازيّ، عجيب والله، وليس إلا الاضطراب والحيرة !! هذا، والفَخْر الرّازيّ في مثل هذه المواضع يأخذ من الزّمخشريّ ولا يذكر اسم الزّمخشريّ، وطابِقوا بين عبارة الفخر الرّازيّ والزّمخشريّ لرأيتم الزّمخشريّ جوابه نفس الجوابِ، ولا أدري تارِيخ وفاة الحسين بن الفضل[*][1]، وربّما يكون متأخّرا عن الزّمخشريّ، فنفس الجوابِ موجود عند الزّمخشريّ وبِلا حلّ للمشكلة. ويأْتي أحدهم فيأخذ كلام الفخر الرّازيّ والزّمخشريّ حرفيّا، ويحذف من كلامِ الفخر الرّازيّ قول الحسين بن الفضل والبحث الذي طرحه الفخر الرّازيّ، وهذا هو الخازن في تفسيره فراجعوا. ثمّ جاء المتأخّرون وجوّزوا أن يكون المراد النّفاق، وأنْ يكون المراد الشّكّ، وتعود المشكلة، وكثير منهم يقولون المراد الشّكّ أو النّفاق،

---

[1] - * توفي الحسين بن الفضل ــ على ماجاء في طبقات المفسرين ــ سنة ٢٨٢ عن مئة وأربع سنين فتكون ولادته سنة ١٧٨ هـ أما الزمخشري فقد توفي سنة ٥٣٨ هـ

لاحِظوا ابن كثيرٍ ولاحظوا غيره من المفسّرين، فهؤلاء يفسّرون الْمَرض بالشّكّ، يفسّرون الْمَرض بالنّفاق ويسكتون، أي يسلّمون بالإشكال أو السؤال. كان في مكّة المكرّمة نفاق وأنتم تعلمون دائما أنّ النّفاق إنّما يكون حيث يخاف الإنسان علي ماله، أو يخاف علي دمه ونفسه، فيتظاهر بالإسلامِ وهو غير معتقد. وهذا في الحقيقة إنّما يحصل في المدينة المنوّرة، لقوّة الإسلام، لتقدّمِ الدّين، ولقدرة رسول الله صلّى الله عليه وآله وسلم ، هذا كلّه صحيح. أمّا في مكّة، حيث الإسلام ضعيف، وحيث أنّ النّبيّ مطارد، وحيث أنّه يؤذى صباحاً ومساءً، فأيّ ضرورة للنّفاق، وأيّ معنى حينئذ ؟ والله سبحانه وتعالى لم يعبّر بالنّفاق، وإنّما عبّر بالْمَرض في القلْب، وفيه نكتة. إذنْ، كان في أصحابِ رسول الله منذ مكّة من في قلبِه مرض، ومن كان منافقا، وأيضا كان حواليه مؤمنون. فكيف نقول إنّهم عدول أجمعون ؟ وهذا علي ضوء هذه الآية. وأمّا الآيات الواردة في النّفاق، أو السّورة التي سمّيت بسورة " المنافقون " فأنتم بكلّ ذلك عالمون عارفون (انتهى كلام السّيّد الميلانيّ).

قلتُ: وممّا يحيّر اللّبيب أنّ الرّازيّ عاد وقال بعد ذلك في نفس الصّفحة بخصوص نفس الآية:" السّؤال التّاسع: القوم كانوا ينكرون كون القرآن من عند الله، فكيف قالوا: ماذا أراد الله بهذا مثلا ؟ الجواب: أما الذين في قلوبهم مرض وهم المنافقون فكانوا في الظّاهر معترفين بأنّ القرآن من عند الله فلا جرم قالوا ذلك باللّسان، وأمّا الكُفّار فقالوه على سبيل التّهكّم أو على سبيل

الاستدلال بأنّ القرآن لو كان من عند الله لما قال مثل هذا الكلام "[1].

وهذا معناه أنّ الرّازيّ يصرّ على أنّهم المنافقون بعد أن صحّح قول جمهور المفسرين بقوله: " جمهور المفسرين قالوا في تفسير قوله: ﴿الَّذِينَ فِي قلوبهم مرض)أنّهم الكافرون. والجواب: قول المفسّرين حقّ ".

قال الرّازيّ في تفسير قوله تعالى (رَأَيْتَ الَّذِينَ فِي قلوبهم مرض) من سورة محمّد[2]: قوله رَأَيْتَ (الَّذِينَ فِي قلوبهم مرض) أي المنافقين ينظرون إليْك نظر ٱلْمَغْشيّ عليه مِنَ ٱلْمَوْتِ) لأنّ عند التّكليف بالقتال لايبقى لنفاقهم فائدة، فإنّهم قبل القتال كانوا يتردّدون إلى القبيلتين وعند الأمر بالقتال لم يبق لهم إمكان ذلك". وهكذا يكون الذين في قلوبهم مرض هم المنافقين.

وقال في تفسير قوله تعالى وأمّا الذين في قلوبهم مرض فزادتهم رجسا إلى رجسهم وماتوا وهم كافرون) ما يلي:" ثمّ جمع للمنافقين أمريْن مقابلين للأمرين المذكورين في المؤمنين، فقال: (وأمّا ٱلّذين في قلوبهم مرض) يعني المنافقين (فزادتهم رجسا إلىٰ رجسهم) والمراد من الرّجس إمّا العقائد الباطلة أو الأخلاق المذمومة، فإن كان الأوّل كان المعنى أنّهم كانوا مكذّبين بالسّور النّازلة قبل ذلك، والآن صاروا مكذّبين بهذه السّورة الجديدة، فقد انضمّ كفر إلى كفر، وإن كان الثّاني كان المراد أنّهم كانوا في الحسد والعداوة واستنباط وجوه المكر والكيد، والآن ازدادت تلك الأخلاق الذّميمة بسبب نزول هذه السّورة الجديدة.

---

[1] - التفسير الكبير ، الرازي ، ج ٣٠ ص ٢٠٧.

[2] - نفس المصدر، ج٢٨ ص٦٢.

والأمر الثّاني: أنّهم يموتون على كفرهم، فتكون هذه الحالة كالأمر المضادّ للاستبشار الذي حصل في المؤمنين، وهذه الحالة أسْوأ وأقبح من الحالة الأولى، وذلك لأنّ الحالة الأولى عبارة عن ازدياد الرّجاسة وهذه الحالة عبارة عن مداومة الكُفْر وموتهم عليه "[1].

قال الفخر الرازي في تفسير قوله تعالى " إذ يقول المنافقون والذين في قلوبهم مرض :" المسألة الثّانية، أمّا المنافقون فهم قوم من الأوس والخزرج وأما الذين في قلوبهم مرض فهم قوم من قريش أسلموا وما قوي إسلامهم في قلوبهم ولم يهاجروا؛ ثمّ إنّ قريشا لمّا خرجوا لحرب رسول الله صلى الله عليه وسلم قال أولئك نخرج مع قومنا فإن كان محمّد في كثرة خرجنا إليه، وإن كان في قلّة أقمنا في قومنا. قال محمّد بن إسحاق ثمّ قتل هؤلاء جميعا مع المشركين يوم بدر"[2].

أقول: وهذا أيضا عجيب من الرّازيّ، لأنّ مثل هذا التّردّد لم يصدر منه بخصوص طائفة " أهل الكتاب " وطائفة " الذين كفروا " وطائفة " الذين آمنوا " وحكم الأمثال في ما يجوز وما لايجوز واحد!

وإذاً، فالذين في قلوبهم مرض في الآية هم قوم من قريش أسلموا وما قوي إسلامهم في قلوبهم ولم يهاجروا.

قال الرّازيّ:" اعلمْ أنّه تعالى لما أوجب في الآية الأولى على جميع المكلّفين أن يطيعوا الله ويطيعوا الرّسول ذكر في هذه الآية أنّ المنافقين

---

[1] – نفس المصدر السابق، ج ١٦ص ٢٣١.

[2] – نفس المصدر السابق، ج١٥ ص١٤١.

والـذين في قلوبهم مرض لا يطيعون الرّســول ولا يرضــون بحكمه، وإنّما يريدون حكم غيره، وفي الآية مسائل:

المســألة الأولى: الزّعْم، والزّعم لُغَتان، ولا يســتعملان في الأكثر إلاّ في القول الذي لا يتحقّق. قال اللّيث: أهل العربيّة يقولون زعم فُلان إذا شــكّوا فيه فلم يعرفوا أكذب أم صدق، فكذلك تفسير قوله: (هَـٰذَا لِلَّهِ بِزَعْمِهِمْ) أي بقولهم الكذب. قال الأصمعيّ: الزّعوم من الغنم التي لا يعرفون أبها شحم أم لا، وقال ابن الأعرابيّ: الزّعم يســتعمل في الحقّ وأنشــد لأميّة بن الصــلت:

وإنّي أدينُ لكم أنّه * سينجزكم ربّكم ما زعم

إذا عرفـت هـذا فنقول: الـذي في هـذه الآيـة المراد به الكذب، لأنّ الآية نزلت في المنافقين.

المســألة الثانية: ذكروا في أســباب النّزول وجوها، الأوّل: قال كثير من المفســّرين: نـازع رجـل من المنـافقين رجلا من اليهود فقال اليهوديّ: بيني وبينك أبو القاسـم، وقال المنافق: بيني وبينك كعب بن الأشرف؛ والسّبب في ذلك أنّ الرّســول صــلى الله عليه وســلّم كان يقضــي بالحقّ ولا يلتفت الى الرّشـوة وكعْب بن الأشـرف كان شـديدَ الرّغبة في الرّشوة. واليهوديّ كان مُحقّا، والمنـافق كـان مبطلا، فلهـذا المعنى كان اليهوديّ يريد التّحاكم إلى الرّسول والمنافق كان يريد كعب بن الأشرف، ثمّ أصرّ اليهوديّ على قوله، فذهبا اليه صلى الله عليه وسلّم، فحكم الرّسول عليه الصّلاة والسّلام لليهوديّ على المنافق، فقال المنافق لا أرضى انطلق بنا إلى أبي بكر[!] فحكم أبو بكر رضــي الله عنـه لليهوديّ فلم يرض المنـافق وقال المنافق: بيني وبينك عمَر، فصـارا الى عمر فأخبره اليهوديّ أنّ الرّسـول عليه الصّـلاة والسّـلام وأبا بكر

حكمـا على المنـافق فلم يرض بحكمهما، فقال للمنافق: أهكذا ؟ فقال: نعم، قال: اصـبرا إنّ لي حاجة أدخل فأقضـيها وأخرج إليكما. فدخل فأخذ سـيفه ثمّ خرج اليهمـا فضـــرب بـه المنـافق حتى برد وهرب اليهوديّ، فجـاء أهـل المنافق فشـكوا عمَر إلى النبيّ صـلّى الله عليه وسـلم فسـأل عمر عن قصـّته، فقال عمر: إنّه ردّ حكمك يا رسـول الله، فجاء جبريل عليه السلام في الحال[1] وقال: إنّه الفاروق فرّق بين الحقّ والباطل، فقال النّبيّ صـــلّى الله عليه وســـلّم لعُمَر: «أنت الفاروق»[2] وعلى هذا القول الطّاغوت هو كعب بن الأشرف.

الرّواية الثّانية في ســبب نزول هذه الآية أنّه أســلم ناس من اليهود ونافق بعضــهم، وكانت قريظة والنّضــير في الجاهليّة إذا قتل قرظيّ نضــريّا قتل به وأخذ منه دية مائة وســق من تمر، وإذا قتل نضــريّ قرظيّا لم يقتل به لكن أعطي ديته ســتّين وســقا من التّمر، وكان بنو النّضــير أشــرف وهم حلفاء

---

[1] ـــ نعم، جاء جبريل في الحال لأنّ القضـيّة تتعلّق بعُمر،فالتّأخّر ممنوع، لكن حينما أجرى الشـيطان على لسان النبيّ ـ والعياذ بالله تعالى من ذلك ـ آيات الغرانيق فالظّاهر أنّ القضيّة لم تكن تستحقّ الاستعجال،مع أنّ القرآن هو أساس الدين.

[2] – هذه القصـــة ذكرها المفســـرون بلفظ (رُويَ) المبنيّ للمجهول عن ابن عبّاس، ولم يذكروا إســـنادها، ولم يذكروا اسـم المنافق، والمتدبر لا ينسـى قصـة الغلام الذي نادى باللأنصار فارتفعت آلاف السيوف لنصرته، فإذا كان هذا شـأنهم مع مولىً فما ظنّك بمن هو فوقه ؟! والحوار الذي جرى بين المتخاصـمين في القصـة يكشـف عن علم اليهود والمنافقين بترتيب خلفاء السقيفة قبل وقوع أحداث السقيفة ! وأمثال هذه القصة كثير في مناقب مزعومة للخلفاء، لا تثبت عند التّحقيق العلميّ النزيه. وعلى فرض صـحّة القصـّة فإنّ عُمر يكون هو أيضـاً مستحقّاً للقتل باعتبار حكم الأمثال، لأنّه هو أيضاً ردّ كثيراً من أحكام النبيّ في حياة النبي صلى الله عليه وآلـه وبعـد ممـاتـه. ومثل هذه الرواية المختلَقة ممّا يشـــجّع على الإرهاب الفكريّ ويبرّر إزهاق الأنفس. وأما عبارة " الفاروق " فحاشـا لرسـول الله صـلى الله عليه وآله أن يضـعها في غير موضـعها وهو الذي لا ينطق عن الهوى فقـد كان عمر بن الخطاب في أمهات معارك الإســـلام مُجانباً للحقّ مُتشـــبّثاً بالباطل في فراره ليَنجُوَ بجلْده تاركاً رسول الله صلى الله عليه وآله بين الأعداء عُرضةً لقتل!

الأوس، وقريظة حلفاء الخزرج، فلمّا هاجر الرّسول عليه الصّلاة والسّلام إلى المدينة قتل نضريّ قرظيّا فاختصما فيه، فقالت بنو النّضير: لا قصاص علينا، إنّما علينا ستّون وسقا من تمر على ما اصطلحنا عليه من قبل، وقالت الخزرج: هذا حكم الجاهليّة، ونحن وأنتم اليوم إخوة وديننا واحد ولا فضل بيننا، فأبى بنو النّضير ذلك، فقال المنافقون: انطلقوا إلى أبي بردة الكاهن الأسلميّ، وقال المسلمون: بل إلى رسول الله(ص)، فأبى المنافقون وانطلقوا إلى الكاهن ليحكم بينهم فأنزل الله تعالى هذه الآية، ودعا الرّسول عليه الصّلاة والسّلام الكاهن إلى الإسلام فأسلم، هذا قول السّديّ، وعلى هذا القول الطّاغوت هو الكاهن.

الرواية الثّالثة، قال الحسن: إنّ رجلاً من المسلمين كان له على رجل من المنافقين حقّ، فدعاه المنافق إلى وثن كان أهل الجاهليّة يتحاكمون اليه، ورجل قائم يترجم الأباطيل عن الوثن، فالمراد بالطّاغوت هو ذلك الرّجل. الرّواية الرّابعة: كانوا يتحاكمون إلى الأوثان، وكان طريقهم أنّهم يضربون القداح بحضرة الوثن، فما خرج على القداح عملوا به، وعلى هذا القول فالطّاغوت هو الوثن. واعلم أنّ المفسّرين اتّفقوا على أنّ هذه الآية نزلت في بعض المنافقين، ثمّ قال أبو مسلم: ظاهر الآية يدلّ على أنّه كان منافقاً من أهل الكتاب، مثل أنّه كان يهوديّا فأظهرالإسلام على سبيل النّفاق لأنّ قوله تعالى:(يَزْعُمُونَ أَنَّهُمْ ءامَنُواْ بِمَا أُنزِلَ إِلَيْكَ وَمَا أُنزِلَ مِن قَبْلِكَ) إنّما يليق بمثل هذا المنافق.

المسألة الثّالثة: مقصود الكلام أنّ بعض النّاس أراد أن يتحاكم إلى بعض أهل الطّغيان ولم يرد التّحاكم إلى محمد(ص). قال القاضي: ويجب أن

يكون التّحاكم إلى هذا الطّاغوت كالكُفْر، وعدم الرّضـا بحكم محمّد عليه الصّلاة والسّلام كفر، ويدلّ عليه وجوه: الأوّل: أنّه تعالى قال: (يريدون أن يتحاكمواْ إِلَى ٱلطَّـٰغوت وَقد أمرواْ أن يكفرواْ به) فجعل التّحاكم إلى الطّاغوت يكون إيمانا به، ولا شكّ أن الإيمان بالطّاغوت كفر بالله، كما أن الكفر بالطّاغوت إيمان بالله. الثّاني: قوله تعالى: (فلا وربّك لا يؤمنون حتَىٰ يحكّموك فيما شجر بينهم) إلى قوله: ويسلّمواْ تسليما) (النّساء ٦٥). وهذا نصّ في تكفير من لم يرض بحكم الرّسول عليه الصّلاة والسّلام. الثّالث: قوله تعالى: (فليحذر ٱلّذين يخـٰلِفون عن أمرِهِ أن تصِيبهم فتنة أوْ يصِيبهم عذاب أَلِيم) (النور٦٣). وهذا يدلّ على أنّ مخالفته معصية عظيمة، وفي هذه الآيات دلائل على أن من ردّ شيئاً من أوامر الله أو أوامر الرسول عليه الصلاة والسلام فهو خارج عن الإسلام، سواء ردّه من جهة الشّكّ أو من جهة التّمرّد[1]، وذلك يوجب صحّة ما ذهبت الصّحابة إليه من الحكم بارتداد مانعي الزّكاة وقتلهم وسبي ذراريهم"[2].

قال الرّازيّ: "أما قوله: (لِلَّذِينَ في قلوبهم مرض وَٱلْقَاسِيَةِ قُلُوبُهُمْ) ففيه سُؤالان: السّؤال الأوّل: لم قال (فِتْنَةً لِّلَّذِينَ فِى قلوبهم مرض) ولم خصّهم بذلك؟ الجواب: لأنّهم مع كفرهم يحتاجون إلى ذلك التّدبّر، وأمّا المؤمنون فقد تقدّم علمهم بذلك فلا يحتاجون إلى التّدبّر.

---

١ – قد ردّ عمر بن الخطّاب شيئا عظيما من أمر رسول الله صلى الله عليه وآله، وقال بصراحة " حسبنا كتاب الله "، فهل يلتزم الرّازيّ بما يقول ويُجري عليه حكمَ الخروج عن الإسلام ؟.

٢ – نفس المصدر السابق ، ج١٠ص١٢٣.

السّؤال الثّاني: ما مرض القلب؟ الجواب: أنّه الشّكّ والشّبهة وهم المنافقون كما قال: (في قلوبهم مرض) وأمّا القاسية قلوبهم فهم المشركون المصرّون على جهلهم ظاهرا وباطنا "[1].

إذا، الذين في قلوبهم مرض هم الذين في قلوبهم الشّكّ والشُّبهة وهم المنافقون.

قال الرّازيّ في تفسيره: "فأمّا الذين في قلوبهم مرض هم المنافقون، والذين كفروا يحتمل المشركين لأنّ السّورة مكّيّة فقد جُمع الفريقان ههنا. إذا ثبت هذا فنقول احتمال الكلّ ههنا قائم لأنّ الكافرين والمنافقين واليهود كانوا متوافقين في إيذاء رسول الله(ص)وقد مضى من أوّل السورة إلى هذا الموضع ذكر اليهود، وذكر المنافقين، وذكر المشركين، وكلّهم من الذين كفروا .ثمّ قال القفّال: وقد يجوز أن ينزل ذلك ابتداء من غير سبب لأنّ معناه في نفسه مفيد"[2].

وهكذا يكون المقصود بالذين في قلوبهم مرض المنافقين، علما أنّ النّفاق يكون في حالة الضّعف لا القوّة، وقد كان المؤمنون في المرحلة المكّيّة مستضعفين، وكانت قريش متمكّنة منهم حتى اضطرّوا إلى اللّجوء إلى الحبشة؛ وتفاصيل التّعذيب موزّعة في كتب السّيرة والتّاريخ، ومن المعذَّبين في مكّة خبّاب بن الأرت وعمّار بن ياسر وبلال بن رباح، ومن المستشهدين تحت التّعذيب ياسر وسميّة والدا عمّار رضي الله عنهما.

---

[1] – تفسير الرّازيّ، ج ٢٣ ص٤٨.

[2] – نفس المصدر ، ج ٢ ص ١٢٢.

وقال الرّازيّ في تفسير قوله تعالى:(وَإِذَا مَآ أُنزِلَتْ سُورَةٌ فَمِنْهُمْ مَّن يَقُولُ أَيُّكُمْ زَادَتْهُ هَـٰذِهِ إِيمَـٰنًا فَأَمَّا الَّذِينَ ءامَنُواْ فَزَادَتْهُمْ إِيمَـٰنًا وَهُمْ يَسْتَبْشِرُونَ. وَأَمَّا الَّذِينَ فِى قلوبهم مرض فَزَادَتْهُمْ رِجْسًا إِلَىٰ رِجْسِهِمْ وَمَاتُواْ وَهُمْ كَـٰفِرُونَ): "اعلم أنّه تعالى لمّا ذكر مخازيَ المنافقين ذكر أعمالهم القبيحة فقال: وإذا ما أنزلت سورة، فمن المنافقين من يقول أيّكم زادته هذه إيماناً؟ واختلفوا فقال بعضهم: يقول بعض المنافقين لبعض، ومقصودهم تثبيتهم قومَهم على النّفاق، وقال آخرون: بل يقولونه لأقوام من المسلمين، وغرضهم صرفهم عن الإيمان. وقال آخرون: بل ذكروه على وجه الهزؤ، والكلّ مُحتمَل. ولا يمكن حمله على الكلّ، لأنّ حكاية الحال لا تفيد العموم. ثمّ إنّه تعالى أجاب فقال إنّه حصل للمؤمنين بسبب نزول هذه السّورة أمران وحصل للكافرين أيضاً أمران. أمّا الذي حصل للمؤمنين فالأوّل: هو أنّها تزيدهم إيماناً إذ لا بدّ عند نزولها من أن يقرّوا بها ويعترفوا بأنّها حقّ من عند الله، والكلام في زيادة الإيمان ونقصانه قد ذكرناه في أوّل سورة الأنفال بالاستقصاء. والثّاني: ما يحصل لهم من الاستبشار. فمنهم من حمله على ثواب الآخرة، ومنهم من حمله على ما يحصل في الدّنيا من النّصر والظّفر، ومنهم من حمله على الفرح والسّرور الحاصل بسبب تلك التّكاليف الزّائدة من حيث أنّه يتوسّل به إلى مزيد في الثّواب، ثمّ جمع للمنافقين أمرين مقابلين للأمرين المذكورين في المؤمنين، فقال:(وَأَمَّا الَّذِينَ فِى قلوبهم مرض) يعني المنافقين (فَزَادَتْهُمْ رِجْسًا إِلَىٰ رِجْسِهِمْ) والمراد من الرّجْس إمّا العقائد الباطلة أو الأخلاق المذمومة. فإن كان الأوّل كان المعنى أنّهم كانوا مكذّبين بالسّوَر النّازلة قبل ذلك والآن صاروا

مكذّبين بهذه السّورة الجديدة، فقد انضمّ كفْر إلى كفْر. وإن كال الثّاني كان المراد أنّهم كانوا في الحسد والعداوة واستنباط وجوه المكر والكيد، والآن ازدادت تلك الأخلاق الذّميمة بسبب نزول هذه السّورة الجديدة. والأمر الثّاني: أنّهم يموتون على كفرهم، فتكون هذه الحالة كالأمر المضادّ للاستبشار الذي حصل في المؤمنين، وهذه الحالة أسوأ وأقبح من الحالة الأولى، وذلك لأنّ الحالة الأولى عبارة عن ازدياد الرّجاسة، وهذه الحالة عبارة عن مداومة الكُفْر وموتهم عليه"[1].

قلتُ: وهذا أيضا إلى التحكّم أقرب، فإنّ الرّازيّ يجعل (الذين في قلوبهم مرض) مرادفة لـ" المنافقين " بلا دليل. ولا شكّ أنّ حال الذين في قلوبهم مرض لا تختلف عن حال الكفّار والمنافقين من حيث كثير من الصّفات والأعمال، وإنّما الكلام عن التّمايز القائم بين الطّوائف المذكورة في القرآن الكريم، فهذه الطّوائف متمايزة في كتاب الله تعالى ولكلّ واحدة اسمها الذي تتميّز معالمه وتجعله مصطلحا مستقلاّ. ولئن اشتركت الطّوائف الضّالة في الكُفْر فإنّ الحديث يكون حول التّفاوت في المراتب كما هو الشّأن في " الشّرك الأصغر" و"الشّرك الأكبر" و"الجهاد الأصغر" و"الجهاد الأكبر".

قال الرّازيّ: "ثمّ قال تعالى: (فَتَرَى الَّذِينَ فِى قلوبهم مرض يُسَـٰرِعُونَ فِيهِمْ يَقُولُونَ نَخْشَىٰٓ أَن تُصِيبَنَا دَائِرَةٌ): وأعلم أنّ المراد بقوله: (الَّذِينَ في قلوبهم مرض) المنافقون: مثل عبد الله بن أبيّ وأصحابه، وقوله (يسارعون

---

[1] – نفس المصدر السابق، ج١٦ ص١٨٣.

فيهم) أي يسارعون في مودّة اليهود ونصارى نجران، لأنّهم كانوا أهل ثروة وكانوا يعينونهم على مهمّاتهم ويقرضونهم، ويقول المنافقون: إنّما نخالطهم لأنّا نخشى أن تصيبنا دائرة "[1].

فالذين في قلوبهم مرض: هم المنافقون مثل عبدالله بن أبيّ و أصحابه.

قال الرّازيّ: "قال القفّال: الكلّ محتمل ههنا، أمّا اليهود فلأنّه قيل في آخر الآية(وَمَا يُضِلّ بِهِ إِلاَّ الْفَـٰسِقِينَ. الَّذِينَ يَنقُضُونَ عَهْدَ الله مِن بَعْدِ مِيثَـٰقِهِ) وهذا صفة اليهود، لأنّ الخطاب بالوفاء وبالعهد فيما بعد إنّما هو لبني إسرائيل وأمّا الكفّار والمنافقون فقد ذكروا في سورة المدّثّر: (وَلِيَقُولَ الَّذِينَ فِى قلوبهم مرض وَالْكَـٰفِرُونَ مَاذَا أَرَادَ اللَّهُ بِهَـٰذَا مَثَلاً كَذَلِكَ يُضِلُّ اللهُ مَن يَشَاء وَيَهْدِى مَن يَشَـاء) الآية فأمّا الذين في قلوبهم مرض هم المنافقون، والذين كفروا يحتمل المشركين لأنّ السّورة مكيّة فقد جمع الفريقان ههنا. إذا ثبت هذا فنقول: احتمال الكلّ ههنا قائم لأنّ الكافرين والمنافقين واليهود كانوا متوافقين في إيذاء رسول الله(ص) وقد مضى من أوّل السّورة إلى هذا الموضع ذكر اليهود، وذكر المنافقين، وذكر المشركين. وكلّهم من الذين كفروا. ثمّ قال القفّال: وقد يجوز أن ينزل ذلك ابتداءً من غير سبب لأنّ معناه في نفسه مفيد"[2].

أقول: ورد ذكر (الكفّار) و(المؤمنين) و(أهل الكتاب) و(الذين في قلوبهم مرض) في سورة المدّثر، ولم يرد ذكر المنافقين، و إنّما هي استنباطات من قِبَل الرّازيّ و أبناء مدرسته مبنيّة على أساس عدالة جميع

---

[1] ـ نفس المصدر السابق، ج١٢ ص١٥.

[2] – نفس المصدر السابق ، ج٣ص٣٦٠.

الصّحابة ودون إثبات صحّتها خرط القتاد. والرّازيّ نفسه لا يعتقد بوجود نفاق في مكّة نظرا لما كان عليه المؤمنون من ضعف الحال، وكان لا بدّ له من دفع الإشكال، لذلك تراه جنح إلى القول بالإعجاز وأنّ القرآن يتحدّث عن نفاق يظهر في المستقبل في المدينة، وهو يعلم منزلة الإعجاز في قلوب الموحّدين وانشراح صدورهم للمثبّتات الغيبيّة، فيستغلّ طيبة النّفوس وتوْقها إلى المعجزات لتقوية مالادليل عليه، ولا يكون ذلك إلا من قلّة الأمانة والنزاهة !

قال الرّازيّ:"(وَشِفَاء لِمَا فِي الصُّدُورِ) وفيه وجهان: أحدهما: أنّه شفاء من الأمراض. والثّاني: أنّه شفاء من مرض الكُفْر، لأنّه تعالى وصف الكفر والشّكّ بالمرض، فقال: (فِي قلوبهم مرض) (البقرة: ١٠) وبالقرآن يزول كل شكّ عن القلب، فصحّ وصفه بأنّه شفاء "[1].

وهذا معناه أنّ الذين فِي قلوبهم مرض هم الذين في قلوبهم الشّكّ والكُفْر.

ويبقى الرّازيّ مصرّا على أنّ الذين فِي قلوبهم مرض هم المنافقون ويرسل ذلك إرسال المسلّمات، فيقول في فصل أسامي سورة الإخلاص: "وتاسعها سورة الجمال. قال عليه الصّلاة والسّلام: «إنّ الله جميل يحبّ الجمال» فسألوه عن ذلك فقال: أحد صمد لم يلد ولم يولد لأنّه إذا لم يكن واحدا عديم النّظير جاز أن ينوب ذلك المثل منابه. وعاشرها: سورة

---

١ - نفس المصدر ، ج٢ص٢٥٨.

المقشقشة، يقال: تقشيش المريض ممّا به، فمن عرف هذا حصل له البرء من الشّرك والنّفاق، لأنّ النّفاق مرض كما قال: فِي قلوبهم مرض"[1].

لكنّ الرّازيّ يقول بعد ذلك: "اعلم أنّه تعالى لمّا أوجب في الآية الأولى على جميع المكلّفين أن يطيعوا الله ويطيعوا الرّسول ذكر في هذه الآية أنّ المنافقين والذين فِي قلوبهم مرض لا يطيعون الرّسول ولا يرضون بحكمه، وإنّما يريدون حكم غيره، وفي الآية مسائل.."

وهذا معناه أنّه يعتبر المنافقين غير الذين فِي قلوبهم مرض!

قال الرّازيّ في تفسير الآية من سورة التّوبة: " الثّالث: قوله وَأَمَّا(الَّذِينَ فِي قلوبهم مرض) يدلّ على أن الرّوح لها مرض، فمرضها الكُفْر والأخلاق الذّميمة، وصحّتها العلم والأخلاق الفاضلة.والله أعلم"[2].

والآية تقول (في قلوبهم) ولم تقل(في أرواحهم)؛ بل إنّ عبارة(أرواح) بصيغة الجمع لم ترد في القرآن الكريم.

على أنّه في نفس الوقت يضيف في تفسير نفس الآية: اعلم أنّه تعالى لمّا ذكر مخازيَ المنافقين ذكر أعمالهم القبيحة فقال: وإذا ما أنزلت سورة، فمن المنافقين من يقول أيّكم زادته هذه إيماناً؟ واختلفوا فقال بعضهم: يقول بعض المنافقين لبعض، ومقصودهم تثبيتهم قومهم على النّفاق، وقال آخرون: بل يقولونه لأقوام من المسلمين، وغرضهم صرفهم عن الإيمان. وقال آخرون: بل ذكروه على وجه الهزؤ، والكلّ محتمل. ولا يمكن حمله على الكلّ، لأنّ حكاية الحال لا تفيد العموم. ثمّ إنّه تعالى أجاب فقال: إنّه

---

[1] - نفس المصدر السابق ، ج٢ ص٣٦٩.

[2] - نفس المصدر ، ج١٦ص١٧٥.

حصل للمؤمنين بسبب نزول هذه السورة أمران، وحصل للكافرين أيضاً أمران. أمّا الذي حصل للمؤمنين: فالأوّل: هو أنّها تزيدهم إيماناً إذ لا بدّ عند نزولها من أن يقرّوا بها ويعترفوا بأنّها حقّ من عند الله، والكلام في زيادة الإيمان ونقصانه قد ذكرناه في أوّل سورة الأنفال بالاستقصاء. والثّاني: ما يحصل لهم من الاستبشار. فمنهم من حمله على ثواب الآخرة، ومنهم من حمله على ما يحصل في الدّنيا من النّصر والظّفر، ومنهم من حمله على الفرح والسّرور الحاصل بسبب تلك التكاليف الزائدة من حيث أنّه يتوسل به إلى مزيد في الثواب، ثمّ جمع للمنافقين أمرين مقابلين للأمرين المذكورين في المؤمنين، فقال (وَأَمَّا الَّذِينَ فِى قلوبهم مرض) يعني المنافقين (فَزَادَتْهُمْ رِجْسًا إِلَىٰ رِجْسِهِمْ) والمراد من الرّجس إمّا العقائد الباطلة أو الأخلاق المذمومة(انتهى).

جعلهم الرّازيّ مرّة المنافقين ومرّة الكافرين، ثمّ عاد فقال " يعني المنافقين " والآية تقول: " وأما الذين في قلوبهم مرض ".

ولم يضطرب الرّازيّ في تفسيره مثل اضطرابه في هذه الآية.

ويتلخّص مما جاء في تفسير الرّازيّ أنّ (الذين في قلوبهم مرض) يقصد به: (١) إشارة إلى المنافقين. (٢) جمهور المفسّرين قالوا في تفسير قوله: (الَّذِينَ فِى قلوبهم مرض) أنّهم الكافرون.(٣) يكون الذين فِي قلوبهم مرض هم المنافقين.(٤) (وَأَمَّا الَّذِينَ فِى قلوبهم مرض) يعني المنافقين (٥) الذين فِي قلوبهم مرض هم قوم من قريش أسلموا وما قوي إسلامهم في قلوبهم ولم يهاجروا. (٦) الذين فِي قلوبهم مرض هم الذين في قلوبهم الشّكّ و الشبهة وهم المنافقون.(٧) الذين فِي قلوبهم مرض هم المنافقون. (٨) السّؤال

الثّاني: ما مرض القلب؟ الجواب: أنّه الشــّكّ والشــّبهة وهم المنافقون. (٩) الذين فِي قلوبهم مرض: هم المنافقون مثل عبدالله بن أبيّ وأصــحابه. (١٠) الذين فِي قلوبهم مرض هم الذين في قلوبهم الشّكّ والكُفْر.

(الذين فِي قلوبهم مرض) في تفسير القرطبيّ

قال القرطبيّ في تفسيره: " قَوْله تعالى: (في قلوبهم مرض) ابتداءٌ وخبرٌ. والْمَرَض عبارةٌ مُستعارة للفساد الذي في عقائدهم. وذلك إمّا أن يكون شكّاً ونِفَاقاً، وإمّا جحداً وتكذيباً. والمعنى: قلوبهم مرضى لِخُلوّها عن العصمة والتّوفيق والرّعاية والتّاييد. قال ابن فارس اللّغويّ: الْمَرَض كلّ ما خرج به الإنسان عن حدّ الصّحّة من علّة أو نِفَاق أو تقصير في أمر. والقُرّاء مُجْمعون علي فتح الرّاء من (مرض) إلا ما روى الأصمعيّ عن أبي عمرو أنّه سكّن الرّاء "[1].

الْمَرَض إمّا شكٌّ ونِفَاق إمّا جحد وتكذيب.

علي أنّه قال بعد ذلك:"وعلي هذا يكون في الآية دليلٌ علي جواز الدّعاء على المنافقين والطّرد لهم، لأنّهم شرّ خلق الله"[2].. وهذا يُشعر أنّه يقصد بالذين فِي قلوبهم مرض المنافقين. و يؤيّد ذلك أنّه استمرّ في الحديث عن النّفاق و المنافقين ما يقارب ثلاث صفحات.(من الصفحة١٩٧ إلى آخر الصفحة٢٠٠).

قال القرطبي: " قوله تعالى: فترى (الذين قلوبهم مرض) شكّ ونفاق وقد تقدّم في (البقرة) والمراد ابن أبيّ وأصحابه (يسارعون فيهم) أي في موالاتهم ومعاونتهم "[3].

---

١ ـ تفسير القرطبي (الجامع لأحكام القرآن)،ج ١ص١٩٧ .

٢ ـ نفس المصدر ج١ص ١٩٧.

٣ – نفس المصدر ، ج ٦ ص ٢١٧ .

فالذين قلوبهم مرض هنا هم المنافقون ابنُ أُبيّ وأصحابُه.

قال القرطبيّ قوله تعالى: "إذ يقول المنافقون و(الذين فِي قلوبهم مرض) غرّ هؤلاء دينهم ومن يتوكّل على الله فإنّ الله عزيز حكيم. قيل: المنافقون: الذين أظهروا الإيمان وأبطنوا الكفر. و(الذين فِي قلوبهم مرض): الشاكّون، وهم دون المنافقين لأنّهم حديثو عهد بالإسلام، وفيهم بعض ضعف نيّة"[1].

الذين فِي قلوبهم مرض ليسوا المنافقين كما هو الشّان في الآية السّابقة، بل هم دونَهم ! بل هم (١) شاكّون (٢) حديثو عهد بالإسلام (٣) فيهم بعضُ ضَعف نيّة.

قال القرطبي :" قَوْله تعالى: وأمّا (الذين قلوبهم مرض) أي شكّ وريب ونفاق، وقد تقدّم (فزادتهم رجسا إلى رجسهم) أي شكّا إلى شكّهم وكفرا إلى كفرهم. وقال مقاتل: إثما إلى إثمهم، والمعنى متقارب "[2].

(الذين فِي قلوبهم مرض) هم الذين في قلوبهم شكّ و ريب ونفاق.

قال القرطبيّ:" قوله تعالى: (ليجعل ما يلقي الشيطان فتنة) أي ضلالة. (للّذين في قلوبهم مرض) أي شرك ونفاق. والقاسية قلوبهم فلا تلين لأمر الله تعالى. الآية [3].

(الذين قلوبهم مرض) هم الذين في قلوبهم شرك ونفاق، رغم ما بين الشّرك والنّفاق من تباين.

---

١ ـ تفسيرالقرطبي ، ج ٨ ص٢٧ .

٢ ـ نفس المصدر ، ج ٨ص ٢٩٩.

٣ ـ نفس المصدر، ج ١٢ ص ٨٦.

قال القرطبيّ: "أفي قلوبهم مرض شكّ وريب. أم ارتابوا أم حدث لهم شكّ في نبوّته"[1].

الْمَرَض هو: الشّكّ و الرّيب.

وهكذا تصبح الآية تقول أفي قلوبهم شكّ وريب أم حدث لهم شكّ (ارتابوا) ؟

وبما أنّ الشّكّ والرّيب والارتِيَاب بمعنى واحد، فإنّ الآية تصبح أبعدَ ما يكون من الفصاحة والبيان ! نعم، ما دام في ذلك محافظة على قداسة السّلف فلا بأس، فإنّ المفسّر إذا أخطأ في بيان معاني القرآن الكريم لم يخطئ في إصابة الأجر، لأنّه مجتهد؛ أمّا إذا سوّلتْ له نفسُه أنّ يقول: إنّ الذين فِي قلوبهم مرض غيرُ المنافقين المعروفين عبد الله بن أبيّ وأتباعه، فالويْلُ له ثُمّ الويْل له.

قال القرطبيّ: "قَوْله تعالى: وإذ يقول المنافقون و(الذين قلوبهم مرض) أي شكّ ونفاق"[2].

الْمَرض: شكّ ونِفَاق

وقال:"قوله تعالى: فيطمع بالنّصب على جواب النّهي. الذي في قلبه مرض أي شكّ ونِفاق، عن قتادة والسّديّ. وقيل: تشوّف الفجور، وهو الفِسق والغزل، قاله عكْرِمَة. وهذا أصوب، وليس للنِّفَاق مدخل في هذه الآية"[3][!]

---

١ – تفسيرالقرطبي، ج ١٢ ص ٢٩٣.

٢ – نفس المصدر ، ج ١٤ ص١٤٧.

٣ – نفس المصدر ، ج١٤ ص ١٧٧.

في قلبه مرض: في قلبه شكّ ونفاق.

في قلبه مرض: في قلبه تشوّق الفجور ـ و هو الفسق والغزل. وهو أصوَب في نظر القرطبيّ لأنّه لا مدخل للنّفاق في هذه الآية. وأمّا في ما عداها فإنّ الذين فِي قلوبهم مرض هم المنافقون.

قال القرطبيّ:" قَوْله تعالى: (لئن لم ينته المنافقون) الآية. أهل التفسير على أنّ الأوصاف الثلاثة لشيء واحد كما روى سفيان بن سعيد عن منصور عن أبي رزين قال: (المنافقون والذين قلوبهم مرض والمرجفون في المدينة) قال هم شيء واحد، يعني أنّهم قدْ جمعوا هذه الأشياء. والواو مقحمة، كما قال: إلى الملك القرم وابن الهمام وليث الكتيبة في المزدحم، أراد إلى الملك القرم ابن الهمام ليث الكتيبة، وقد مضى في(البقرة). وقيل: كان منهم قوم يرجفون، وقوم يتبعون النّساء للرّيبة وقوم يشكّكون المسلمين. قال عكرمة وشهر بن حوشب: الذين فِي قلوبهم مرض يعني الذين في قلوبهم الزّنى. وقال طاوس: نزلت هذه الآية في أمر النّساء. وقال سلمة بن كهيل: نزلت في أصحاب الفواحش، والمعنى متقارب. وقيل: المنافقون والذين قلوبهم مرض شيء واحد عبّر عنهم بلفظين، دليله آية المنافقين في أوّل سورة (البقرة). والمرجفون في المدينة قوم كانوا يخبرون المؤمنين.."[1].

أقول: حتّى إذا أعيتْهُم السُّبل، وضاقت عليهم الأرض بما رحُبت وظنّوا أنّه لا بدّ لهم من حلّ، لجأ كبراؤهم إلى حمل القرآن الكريمِ على الشّاذّ من القول الذي يستهجنونه في حواراتهم العاديّة، والاستشهاد بالشّعر في

---

[1]ـ تفسير القرطبي، ج ١٤ ص ٢٤٥.

غير محلّه ! وهل يصلح العطّار ما أفسد الدّهر ؟

أليست الآية من سورة البقرة نفسها تحتاج إلى قرينة كيما تدلَ على المنافقين؟ أوَليس هذا التوجيه من التحكّم ؟

ثم ما دخل الواوِ المقحمة في الآية ؟ و لمَ لمْ يُسمعْ لها حسّ في القرآن إلاّ في هذا الموضع؟ وأعجب من ذلك أنّه لا وجود لها في المعاجم والقواميس وكتبِ النّحوِ ! فمن أين جاءت؟ وكيف حظيت بهذه المنزلة في علوم القرآن و في علم التّفسير بالذّات؟

[بحث حول الواو المقحمة]

قال عبد القادر الجرجانيّ في خزانة الأدب: " الشاهد الخامس والسبعون:

إلى الملك القرم وابن الهمام وليث الكتيبة في المزدحم

على أن يجوز عطف أحد الخبرين على الآخر كما يجوز عطف بعض الأوصاف على بعضها كما هنا. قال: ابن الهمام:..وليث الكتيبة وصفان للملك وقد عطفا على الصّفة الأولى، وهي القرم. واستشهد به الفرّاء في معاني القرآن وصاحب الكشّاف أيضاً لهذا الأمر"[1].قلتُ: وفيه ردّ على ما ذهبَ إليه مَن ذهب من المفسّرين من أنّ الواو في قوله تعالى المنافقون والذين فِي قلوبهم مرض مُقْحَمَة، لأنّه يصرّح بالعطف على الصّفة، وأمّا ما يذهبون إليه فهو اعتبارها زائدة. وقال أبو حيّان الأندلسيّ بخصوص توهُّم بعضهم وجود الواو المقحمة في قوله تعالى من سورة البقرة أولئك على هدى من ربّهم وأولئك هم المفلحون" وهذا الأخير إعراب منكر لا يليق مثله بالقرآن

---

١ - خزانة الأدب ولبّ لباب لسان العرب عبد القادر الجرجانيّ، ص٨٥٧.

."[1]

والواقع أنّ كلام الله تعالى أجلّ من أن تجري عليه تلك المزاعم، وهو أفصح وأبلغ ما يكون، ولاوُجود للواو المقحمة في كتب النّحاة واللّغويّين القدامى، ولا في أشعار من يُستشهد بشعرهم، فمن حقّ كلّ حريص على دينه أن يتساءل عن مصدر هذه الواو المزعومة ! وإليك أمثلة تدلّ على أنّ ذلك لم يكن مسلَّما لدى غير المفسّرين الذين أثّرت في تفكيرهم مسألة عدالة جميع الصّحابة، ووجّهت اجتهاداتهم وحالت بينهم وبين إجراء القواعد اللّغوية والعقليّة على وجه سليم:

قال ابن القيّم في كتاب الرّوح :" قال تعالى ليجعل ما يلقي الشيطان فتنة للذين في قلوبهم مرض والقاسية قلوبهم، فذكر القلبين المنحرفين عن الاعتدال هذا بمرضه وهذا بقسوته، وجعل إلقاء الشيطان فتنة لأصحاب هذين القلبين، ورحمة لأصحاب القلب الثالث وهو القلب الصافي الذي ميّز بين إلقاء الشيطان وإلقاء الملك بصفائه، وقبل الحقّ بإخباته ورقّته، وحارب النّفوس المبطلة بصلابته"[2]. ي

وقال ابن تيمية في كتاب النبوّات:" والذي يفهم ما قالوه لايكون إلاّ فاضلاً قد قطع درجة الفقهاء ودرجة من قلّد المتكلّمين، فيصير هؤلاء إمّا منافقين وإمّا في قلوبهم مرض " [3].ولا تكون (إمّا) إلاّ لمُتَغَايرَيْن. وعليه تكون المغايرة تامّة بين الذين في قلوبهم مرض وبين المنافقين. وهذه العبارة

---

[1]- تفسير البحر المحيط، ج١ص١٦٤.

[2] -الروح ، ابن قيم الجوزية ، ج١ص٢٤١.

[3] -النبوات، ابن تيمية ، ج ١ ص ٢٥٦.

من ابن تيمية مُفْحِمَةٌ لأتْباعه في هذه المسألة بالذّات.

وقال ابن القيم في شـفاء العليل:" وأمّا قوله ليجعل ما يُلقي الشـيطان فتنة للـذين في قلوبهم مرض والقاسـية قلوبهم فهي على بابها وهي لام الحكمة والتّعليل. أخبر الله سبحانه أنّه جعل ما ألقاه الشيطان في أمنية الرسول محنة واختبارا لعباده، فافتتن به فريقان وهم الذين في قلوبهم مرض والقاسية قلوبهم"[1].فصرّح بأنّهما فريقان، علما أنّها تشبه تماماً قوله تعالى (إذ يقول المنافقون والذين فِي قلوبهم مرض). فأين المرجّح؟

عودة إلى تفسير القرطبيّ

قال القرطبي: "وقرئ (فإذا أنْزلتْ سورةٌ وذكر فيها القتال) على البناء للفاعل ونصب القتال. (رأيت الذين قلوبهم مرض) أي شكّ ونفَاق. (ينظرون إليك نظر المغشيّ عليه من الموت) أي نظر مغموصين مُغتاظين بتحديد وتحديق، كمَن يشخص بصره عند الموت وذلك لجُبنهم عن القتال جزعا وهلعا، ولِميْلِهم في السّرّ إلى الكفّار"[2].

الذين في قلوبهم مرض هنا: هم الذين في قلوبهم شكّ ونِفَاق.

قال القرطبيّ:" قوله تعالى: أم حسب الذين قلوبهم مرض نفاق وشكّ، يعني المنافقين.أن لنْ يخرج الله أضغانهم الأضغان ما يضمَر من المكروه. واختُلف في معناه، فقال السّديّ: غِشّهم. وقال ابن عباس: حسدهم. وقال

---

[1]- شفاء العليل ، ابن القيم ، ج١ ص١٩٢ .

[2]- تفسير القرطبي، ج ١٦ص٢٤٣ .

قطرب: عداوتهم [1].

الذين فِي قلوبهم مرض: هم الذين في قلوبهم نِفَاق وشكّ.

قال القرطبيّ:"وليقول الذين في قلبوهم مرض أي في صدورهم شكّ ونفاق من منافقي أهل المدِينة، الذين ينجمون في مستقبل الزّمان بعد الهجرة [!!] ولمْ يكن بِمكّة نِفَاق إنما نجم بالمدينة. وقيل: المعنى أيْ وليقول المنافقون الذين ينجمون في مستقبل الزّمان بعد الهجرة والكافرون أي اليَهُود والنصارى! ماذا أراد الله بِهَذَا مَثَلاً يَعْنِي بعدد خزنة جهنّم. وقال الحسين بن الفضل: السّورة مكّيّة ولم يكن بِمكّة نفاق، فالْمرَض في هذه الآية الخلاف. والكافرون أي مشركو العرب؛ وعلى القول الأوّل أكثرُ المفسّرين. ويجوز أن يراد بالْمَرض: الشّكّ والارْتِيَاب، لأنّ أهل مكّة كان أكثرُهمْ شاكّين، وبعضهم قاطعين بالكذب "[2].

الذين فِي قلوبهم مرض: في صدورهم شكّ ونِفَاق من منافقي أهل المَدِينَة الذين ينجمون في مستقبل الزّمان بعد الهجْرة.

من أين له هذا ؟!

لأنّه إذا قال: الذين في صدورهم شكّ ممّن أظهر الإسلامَ منْ أهل مكّة تكون الشّبْهة محصورة، إذْ لا أنصاريّ ولا منافق، وإنّما هناك مجموعة منْدسّة بين المؤمنين الحقيقيّين، وهذه المجموعة من أهل مكّة أخرج الله أضغانها فيما بعد، وتسبّبتْ في انقسام المسلمين بحيث أصبحَ بأسُهم بينَهم

---

١ ـ نفس المصدر ، ج ١٦ ص٢٥١ .

٢ ـ تفسير القرطبي ـ ج ١٩ص٨٢.

وانقسموا إلى ناكثين ومارقين وقاسطين، وتعطّلت الحدود و نزا على منبر النبيّ(ص) مَن لا يرقُب في مؤمنٍ إلاّ ولا ذمّة، وصلّى الأمراء بالمسلمين وهم في حالة سُكْرٍ[1]. هلْ يستطيع القرطبيّ أن يقول هذا؟ إذنْ يَفقِد منصبه ، وتبين منه زوجته، ويُحرق بيته، ويصيبهُ ما أصابَ النّسائيّ والحسكانيّ وغيرَهُما. بلْ لا بدّ منْ صرف اللّفظ عن معناه إلى المعنى الذي تستسيغه العامّة ويرتضيه الحاكمون. وإلاّ فإنّ القرطبيّ في ما بينه و بين ضميره يعلمُ أن معاويةَ آخرُ مَن دخل في الإسلام كرْهاً، ومع ذلك وصل إلى الخِلافة، وأنّ عليّ بن أبي طالب عليه السلام أوّل مَنْ صلّى مع رسول الله(ص) ، ومع ذلك أصبح يُلعن على منابر شيّدها بسيفه. وإنّما وصل معاوية إلى تلك المنزلة بفضل الذين في قلوبهم مرض. هذه المفارقة العظيمة لا تخفى علي القرطبيّ، بل كلّ ذلك يعلمه القرطبيّ بالتّفصيل، وفي وُسعِه أن يُلقِيَ بخصوصه محاضرات ومحاضرات، ويؤلّف مجلّدات ، لكن هل يمتلك ــ هو وأشْباهه ــ من النّزاهة والشّجاعة ما يستطيع أن يُسمّي به الحقّ حقّا والباطل باطلا ؟

كان ذلك ما ذكره القرطبيّ بخصوص الذين فِي قلوبهم مرض، ويتلخّص

---

[1] ــ الوليد بن عقبة بن أبي معيط صحابي ــ كان أميراعلى الكوفة من قبَل عثمان ــ صلى بالناس الصبح أربع ركعات وهو سكران .انظر صحيح البخاري ج٣ص١٤٠٥ وسنن البيهقي الكبرى ج٨ص٣١٨ ومسند أبي يعلى ج١ص٣٨٩ ومسند أحمد بن حنبل ج١ص١٤٤ وشرح سنن ابن ماجه ج١ص١٨٥وتهذيب التهذيب ج١١ص١٢٦ وتهذيب الكمال ج٣١ص٥٨ والإصابة ج٦ص٦١٦ والاستيعاب ج٤ص١٥٥٥ وشرح مشكل الآثار ج٦ص١٣٦ والمغني ج٢ص٩ ومجموع فتاوى ابن تيمية ج٣ص٢٨١ وفضائل الصحابة ج٢ص٦٦٧وتاريخ الخلفاءج١ص١٥٥ وتهذيب الأسماء ج٢ص٤٤٣ وسنن أبي داوود ج٣ص٥٩ .

منـه أنّ الـذين فِي قلوبهم مرض في تفسـير القرطبيّ تعني مـا يلي: (١) الْمَرَض عبارة مستعارة للفساد الذي في عقائدهم. وذلك إمّا أن يكون شكّـاً ونفاقا، وإمّا جحدا وتكذيبا. والمعنى: قلوبهم مرضـى لخلوّها عن العصـمة والتـّوفيق والرّعاية والتـّأييد. (٢) (الذين قلوبهم مرض) شكّ ونفاق والمراد ابن أبيّ وأصـحـابـه. (٣) (الـذين فِي قلوبهم مرض): الشـاكّون، وهم دون المنافقين[!]، لأنّهم حديثو عهد بالإسـلام، وفيهم بعض ضـعف نيـّة (٤) (الـذين فِي قلوبهم مرض) هم الـذين في قلوبهم شـكّ و ريـب ونفـاق. (٥) (الذين قلوبهم مرض) هم الذين في قلوبهم شرك ونفاق.(٦) في قلبه مرض في قلبه شـكّ ونِفَاق. (٧) في قلبه مرض: في قلبه تشـوّق الفجور – و هو الفسـق و الغزل.(٨) (الذين فِي قلوبهم مرض): هم الذين في قلوبهم شـكّ ونفـاق.(٩) (الـذين فِي قلوبهم مرض): هم الـذين في قلوبهم نفـاق وشـكّ. (١٠)الـذين في صـدورهم شـكّ ونفـاق من منـافقي أهـل المـدينة، الذين ينجمون في مستقبل الزّمان بعد الهجرة !!

الفصل السادس

الذين في قلوبهم مرض
في
نظر مفسري القرن الثامن

- **أبو حيان التوحيدي الأندلسي**
- **ابن كثير**

قال أبو حيّان الأندلسيّ: "... فمضى عليّ ثمّ رجع فأخبر: أنّهم جنبوا الخيل، وقعدوا على أثقالهم عجالا، فأمن المؤمنون المصدقون رسول الله، وألقى الله تعالى عليهم النّعاس. وبقي المنافقون الذين في قلوبهم مرض لا يصدّقون بل كان ظنّهم أنّ أبا سفيان يؤمّ المدينة، فلم يقع على أحد منهم نوم، وإنّما كان همّهم في أحوالهم الدّنيوية. وثبت في البخاريّ من حديث أبي طلحة قال: غشيَنا النّعاس ونحن في مصافّنا يوم أحد.."[1].

الذين في قلوبهم مرض هم المنافقون.

قال أبو حيان:"(فترى الذين فى قلوبهم مرض يسارعون فيهم يقولون نخشى أن تصيبنا دائرة)الخطاب للرسول(ص) ، والذين فِي قلوبهم مرض عبد الله بن أبيّ ومن تبعه من المنافقين، أو من مؤمني الخزرج متابعة جهالة وعصبية، فهذا الصّنف له حصّة من مرض القلب قاله ابن عطيّة. ومعنى يسارعون فيهم: أي في موالاتهم ويرغبون فيها..." [2].

الذين فِي قلوبهم مرض عبد الله بن أبيّ ومن تبعه من المنافقين، أو من مؤمني الخزرج.

قال أبو حيّان في تفسيره: "والظّاهر أنّ هذا القول هو صادر من المؤمنين عند رؤية الفتح كما قدّمنا. قيل: ويحتمل أن يكون في وقت الذين فِي قلوبهم مرض يقولون:(نخشى أن تصيبنا دائرة) وعندما ظهر سؤالهم في أمر

---

[1] ـ تفسير البحر المحيط ، أبو حيان الأندلسي، ج ٣ ص ٩٢.

[2] – نفس المصدر، ج ٣ ص ٥٢٠.

بني قينقاع وسؤال عبد الله بن أبيّ فيهم، ونزل الرسول إيّاهم له، وإظهار عبد الله أنّ خشية الدوائر هي خوفه على المدينة ومن بها.."[1].

قال أبو حيّان: "والله شـــديد العقاب معطوفا على معمول القول قال: ذلك بســطاً لعذره عندهم وهو متحقّق أنّ عذاب الله شـديد. ويحتمل أن يكون من كلام الله استأنف تهديداً لإبليس ومن تابعه من مشركي قريش.(إذ يقول المنـافقون والذين في قلوبهم مرض غرّ هؤلاء دينهم)، العامل في إذ زيّن أو نكص أو سميع عليم أو اذكروا أقوال، وظاهر العطف التّغاير. فقيل المنافقون هم من الأوس والخزرج لمّا خرج الرســول(ص) قال بعضــهم: نخرج معه وقـال بعضــهم: لا نخرج غرّ هؤلاء أي المؤمنين دينهم فإنّهم يزعمون أنّهم على حقّ وأنّهم لا يغلبون، هـذا معنى قول ابن عبّاس؛ والـذين في قلوبهم مرض قوم أســلموا ومنعهم أقربـاؤهم من الهجرة فـأخرجتهم قريش معهـا كرهـاً، فلمّا نظروا إلى قلّة المســلمين ارتابوا وقالوا غرّ هؤلاء دينهم فقتلوا جميعـاً، منهم قيس بن الوليـد بن المغيرة وأبو قيس بن الفـاكـه بن المغيرة والحرث بن زمعة بن الأســود وعليّ بن أميّة والعاصــي بن منبه بن الحجّاج ولم يذكر أنّ منافقاً شـهد بدراً مع المسلمين إلا معتب بن قشير فإنّه ظهر منه يوم أحُد قولـه لو كـان لنـا من الأمر شــيء مـا قُتلنا ههنا، وقيل والذين في قلوبهم مرض هو من عطف الصّفات وهي لموصـوف واحد وصفوا بالنّفاق وهو إظهـار مـا يخفيـه من المرض كمـا قـال تعـالى في قلوبهم مرض وهم منـافقو المـدينـة، وعن الحســن هم المشــركون ويبعد هذا إذ لا يتّصــف

---

[1] – تفسير البحر المحيط ، أبو حيان الأندلسي، ج ٣ ص ٥٢١.

المشركون بالنّفاق لأنّهم مجاهرون بالعداوة لا منافقون، وقال ابن عطية: قال المفسّرون: إنّ هؤلاء الموصوفين بالنّفاق ومرض القلوب إنّما هم من أهل عسكر الكفّار لما أشرفوا على المسلمين ورأوا قلّة عددهم قالوا مشيرين إلى المسلمين غرّ هؤلاء دينهم أي اغترّوا فأدخلوا أنفسهم فيما لا طاقة لهم به، وكنى بالقلوب عن العقائد، والمرض أعمّ من النّفاق إذ يطلق مرض القلب على الكفر "[1].

المنافقون هم من الأوس والخزرج.

الذين في قلوبهم مرض قوم أسلموا ومنعهم أقرباؤهم من الهجرة فأخرجتهم قريش معها كرْهاً، منهم قيس بن الوليد بن المغيرة و..و..و. وقيل والذين فِي قلوبهم مرض هو من عطف الصّفات وهي لموصوف واحد، وُصفوا بالنّفاق وهو إظهار ما يخفيه من المرض كما قال تعالى في قلوبهم مرض وهم منافقو المدينة. **وهم من أهل عسكر الكفّار !؟**

قال أبو حيان: "وأما الذين في قلوبهم مرض هُم المنافقون، والصحّة والمرض في الأجسام، فنقل إلى الاعتقاد مجازاً والرّجس القذر، والرّجس العذاب، وزيادته عبارة عن تعمّقهم في الكفر وخبطهم في الضّلال. وإذا كفروا بسورة فقد زاد كفرهم واستحكم..

وقال السدّيّ والكلبيّ: شكّاً إلى شكّهم. وقال ابن عبّاس: أراد ما أعدّ لهم من الخزي والعذاب المتجدّد عليهم في كلّ وقت، في الدّنيا والآخرة. وأنتج نزول السورة للمؤمنين شيئين: زيادة الإيمان، والاستبشار بما لهم عند

---

[1] - تفسير البحر المحيط ، ج ٤ ص ٥٠١.

الله. وللـذين في قلوبهم مرض زيـادة رجس، والموافاة على الكفر.. والزّيادة إلى أن مـاتوا على الكفر.(أو لا يرون أنّهم يفتنون فى كل عام مرّة أو مرّتين ثمّ لا يتوبون ولا هم يـذّكّرون): لمـّا ذكر أنّهم بموتهم على الكفر رائحون إلى عـذاب الآخرة، ذكر أنّهم أيضـاً في الـدّنيـا لا يخلصـون من عـذابهـا. والضـّمير في يرون عـائـد على الـذين في قلوبهم مرض، وذلـك على قراءة الجمهور بـالياء. وقرأ حمزة بالتّاء خطابا للمؤمنين. والرّؤية يحتمل أن تكون من رؤية القلب، ومن رؤية البصـر. وقرأ أُبيّ وابن مسـعود، والأعمش: أو لا ترى أي أنت يا محمّد ؟"[1] .

الذين في قلوبهم مرض هم المنافقون.

قـال أبو حيّان: "وقيل: هي لام العاقبة و(ما) في(يلقي) الظّاهر أنّها بمعنى الـذي، وجوّز أن تكون مصـدريـّة. والفتنـة: الابتلاء والاختبـار. والذين في قلوبهم مرض عامّة الكفار. وقال الزّمَخْشَـريّ: المنافقون والشـّاكّون(والقاسية قلوبهم) خواصّ من الكفـّار عتـاة كـأبي جهـل والنّضـر وعتبـة"[2]. وقـال الزّمخشـري:" المشـركون المكـذّبون..... الـذين في قلوبهم مرض عـامّة الكفار"[3].

الذين في قلوبهم مرض: المنافقون والشّاكّون.

قـال أبو حيـّان:"(وإذ يقول المنـافقون): وهم المظهرون للإيمان المبطنون الكفر(والـذين في قلوبهم مرض): هم ضـعفـاء الإيمـان الـذين لم يتمكّن

---

١ – تفسير البحر المحيط ، ج ٥ ص ١١٩.

٢ ـ نفس المصدر السابق ، ج ٦ ص ٣٥٣.

٣ – نفس المصدر ، ج ٥ ص ١١٩.

الإيمـان من قلوبهم، فهم على حرف، والعطف دالّ على التّغـاير، نبّه عليهم على جهـة الـذّمّ. لمّا ضــرب رســول الله(ص) الصــّخرة وبرقـت تلـك البوارق..."[1].

الذين في قلوبهم مرض: هم ضـعفاء الإيمان الذين لم يتمكّن الإيمان من قلوبهم، فهم على حرف.

قال أبو حيّان:" ونصّ على هذين الوصـفين من المنافقين لشـدّة ضـررهما على المؤمنين. قال عكرمة:(الذين فى قلوبهم مرض)، هو الغزل وحُبّ الزّنا، ومنـه فيطمع الـذي في قلبه مرض. وقال السـّديّ: المرض: النّفاق، ومن في قلوبهم مرض. وقال ابن عباس: هم الذين آذوا عُمر! وقال الكلبيّ من آذى المســلمين. وقال ابن عبّاس: (المرجفون): ملتمســو الفتن. وقال قتادة: الذين يؤذون قلوب المؤمنين بإيهام القتل والهزيمة"[2].

قـال أبو حيّان:"(فهل عســيتم) التفات الى الذين في قلوبهم مرض، أقبل بالخطاب عليهم على سـبيل التّوبيخ وتوقيفهم على سـوء مرتكبهم، وعسـى تقدّمَ الخلاف في لغتها. وفي القراءة فيها، إذا اتّصـل بها ضـمير الخطاب في سورة البقرة، واتّصال الضمير بها لُغةُ الحجاز.." [3].

المرض هو الغزل وحـبّ الزنـا، ومنـه فيطمع الذي في قلبه مرض، فالذين في قلوبهم مرض هم الذين في قلوبهم حُبّ الزنا.

---

١ – نفس المصدر، ج ٧ ص ٢١٢.

٢ – نفس المصدر السابق ، ج ٧ ص ٢٤١.

٣ ـ نفس المصدر، ج ٨ ص ٨١

وقال السّديّ: المرض: النّفاق، فالذين في قلوبهم مرض هم الذين في قلوبهم النّفاق.

ويتلخّص ممّا ذكره أبو حيّان الأندلسيّ أنّ الذين فِي قلوبهم مرض تفسّر كما يلي:

(١) هم المنافقون. (٢) الذين في قلوبهم مرض عبد الله بن أبيّ ومن تبعه من المنافقين، أو من مؤمني الخزرج. (٣) المنافقون هم من الأوس والخزرج. (٤) قوم أسلموا ومنعهم أقرباؤهم من الهجرة فأخرجتهم قريش معها كرْهاً.(٥) منهم قيس بن الوليد بن المغيرة وأبو قيس بن الفاكه بن المغيرة والحرث بن زمعة بن الأسود وعلي بن أميّة والعاصي بن منبه بن الحجاج. (٦) وقيل والذين في قلوبهم مرض هو من عطف الصّفات وهي لموصوف واحد وصفوا بالنّفاق وهو إظهار ما يخفيه من المرض كما قال تعالى في قلوبهم مرض وهم منافقو المدينة. (٧) هم من أهل عسكر الكفّار. (٨) الذين في قلوبهم مرض هم المنافقون. (٩) الذين في قلوبهم مرض عامّة الكفّار. (١٠) المنافقون والشّاكُّون.(١١) هم ضعفاء الإيمان الذين لم يتمكّن الإيمان من قلوبهم، فهُمْ على حرْف. (١٢) المرض هو الغزل وحُبّ الزّنا، ومنه فيطمع الذي في قلبه مرض. فالذين في قلوبهم مرض هم الذين في قلوبهم حُبّ الزّنا.

الذين فِي قلوبهم مرض في تفسير ابن كثير

قال ابن كثيرفي تفسيرسورة البقرة:

(في قلوبهم مرض فزادهم الله مرضـا ولهم عـذاب أليم بما كانوا يكذبون) "قال السّديّ عن أبي مالك وعن أبي صالح عن ابن عبّاس وعن مرّة الهمداني عن ابن مسـعود وعن أناس من أصـحاب رسـول الله(ص) في هذه الآية (في قلوبهم مرض) قال شـكٌّ فزادهم الله مرضـا قال شـكّاً. وقال ابن إسـحاق عن محمّد بن أبي محمّد عن عكرِمة أو سعيد بن جبيرعن ابن عبّاس (في قلوبهم مرض) قال شكّ. وكذلك قال مجاهد وعكرمة والحسن البصريّ وأبو العالية والربيع بن أنس وقتادة. وعن عكرمة وطاوس(في قلوبهم مرض)يَعْنِي الرّياء. وقال الضّحاك عن ابن عبّاس(في قلوبهم مرض) قال نِفَاق فزادهم الله مرضا قـال نِفـَاقـاً، وهذا كالأوّل. وقال عبد الرحمن بن زيد بن أسـلم (في قلوبهم مرض) قال هذا مرض في الدّين وليس مرضـاً في الأجسـاد وهم المنافقون والمرض الشـّكّ الذي دخلهم في الإسـلام. فزادهم الله مرضـاً قال زادهم رجسـاً، وقرأ(فأمّا الذين آمنوا فزادتهم إيمانا وهم يستبشرون وأمّا الذين في قلوبهم مرض فزادتهم رجسـا إلى رجسـهم). قال شـرّاً إلى شـرّهم وضـلالةً إلى ضلالتهم"[1].

فالمراد بالْمَرض: الشّكّ والنّفاق، والذين في قلوبهم مرض هم المنافقون.

لكنّه يقول بعد ذلك:" فأمّا غير هؤلاء فقد قال الله تعالى (وممّن حولكم من الأعراب منـافقون ومن أهـل المـدينـة مردوا على النّفـاق لاتَعْلَمُهم نحن

---

[1]- تفسير ابن كثير، ج ١ص ٥١.

نَعْلَمُهم..) الآية وقال تعالى: (لئن لم ينته المنافقون والَّذين في قلوبِهم مرض والمرجفون في المدينة لنغرينّك بهم ثمّ لا يجاورونك فيها إلاّ قليلا ملعونين أينما ثقفوا أخذوا وقتّلوا تقتيلا) ففيها دليل على أنّه لم يغر بهم ولم يدرك على أعيانهم، وإنّما كان تذكر له صفاتهم فيتوسّمها في بعضهم كما قال تعالى(ولو نشاء لأريناكهم فلعرفتهم بسيماهم ولتعرفنّهم في لحن القول) وقد كان من أشهرهم بالنّفاق عبد الله بن أبيّ بن سلول، وقد شهد عليه زيد بن أرقم بذلك الكلام الذي سبق في صفات المنافقين"[1].

فابنُ كثير يعترف أنّ من المنافقين من لم يدرك النّبيّ(ص) أعيانَهم وإنّما كانت تُذكر لَه صفاتُهم.

ثم قال في معرض تفسير آية القبلة:" ..ويحكم ما يريد فَلَهُ أن يُكلّف عبادَه بما شاء، وينسخ ما يشاء، وله الحكمة التّامّة والحُجّة البالغة في جميع ذلك بخلاف (الذين في قلوبهم مرض) فإنّه كلّما حدث أمر أحدث لهم شكّاً كما يحصل للذين آمنوا إيقان وتصديق كما قال الله تعالى (وإذا ما أنزلت سورة فمنهم من يقول أيّكم زادته هذه إيماناً فأمّا الذين آمنوا فزادتهم إيماناً وهم يَسْتَبْشرُون. وأمّاالذين فِي قلوبهم مرض فَزَادَتْهُمْ رجْساً إلى رِجْسِهِمْ) وقال تعالى(قُلْ هُوَ للّذينَ آمَنُوا هُدىً وَشفَاءٌ والذينَ لا يُؤْمنُونَ في آذَانِهِمْ وَقْرٌ وَهُوَ عَلَيْهِمْ عَمى)وقال تعالى(ونُنَزّلُ مِنَ الْقُرْآنِ مَا هُوَ شِفَاءٌ وَرَحْمَةٌ لِلْمُؤْمِنينَ وَلاَ يَزيدُ الظّالِمِينَ إلاّ خَسَارا)"[2]. استَعْمَلَ ابنُ كثير هُنَا عِبَارَةَ (الذين قلوبهم مرض) باعتبارها مرادفة لعبارة

---

[1] – تفسير ابن كثير ، ج ١ ص ٥٢.

[2] – تفسير ابن كثير ، ج ١ص ١٩٧

(المنافقون)والحال أنّها قسيمة لها كما هو واضح في قَوْله تعالى لئن لم ينته المنافقون و(الذين في قلوبهم مرض).

وقال: " كما أخبرنا تعالى عنهم في قوله (فَتَرَى الذينَ قلوبهم مرض يُسَارِعُونَ فِيهِمْ يقولون نخشى) ـــ إلى قوله ـــ (فَيُصْبِحُوا على ما أسرّوا في أنفسهم نادمين). وقد قال الطّبرانيّ: حدّثنا أبو زيد أحمد بن يزيد الحوطيّ حدّثنا أبو اليمان حدّثنا صفوان بن عمر عن عكرمة عن ابن عبّاس قال: كان أبو برزة الأسلميّ كاهناً يقضي بين اليهود فيما يتنافرون فيه فتنافر إليه ناس من المشركين فأنزل الله عزّ وجلّ (ألم تر إلى الذين يزعمون أنّهم آمنوا بما أنزل إليك وَما أنزل من قبلك)إلى قوله (إن أردنا إلاّ إحسانا وتوفيقاً). ثُمّ قال تعالى(أولئك الذين يعلم الله ما في قلوبهم)هذا الضّرب من النّاس هم المنافقون والله يعلم ما في قلوبهم وسَيجْزيهم على ذلك، فإنّه لا تخفى عليه خافية فاكتف به يا محمّد فيهم فإنّه عالم بظواهرهم وبواطنهم. ولهذا قال له (فأعرض عنهم) أي لا تعنّفهم على ما في قلوبهم (وعظهم) أي وانههم عمّا في قلوبهم من النّفاق وسرائر الشّرّ (وقل لهم في أنفسهم قولا بليغا)أي وانصحهم فيما بَينَك وبَيْنَهم بكلام بليغ رادِعٍ لهُم "[1].

انظرْ ـــ وأمعن النّظر ـــ إلى التّهافت العجيب ! يقول: تنافر إليه ناس من المشركين، والآية تقول: الذين يزعمون أنّهم آمنوا بما أنزل إليك وما أنزل من قبلك! فمتى زَعَم المشركون أنّهم آمنوا بما أُنزل إلى رسول الله(ص) وما أُنزل من قبْله ؟! ثمّ قال: هذا الضّرب من النّاس هم المنافقون ! فهم من جهة

---

[1] ـ تفسير ابن كثير، ج١ص٥٣١ .

يزعمون أنّهم آمنوا بما أنزل إلى رسول الله، وهم مشركون أيضاً، وهم منافقون.....فهُم في نفس الوقت طائفة واحدة متّحدة وطوائف متغايرة متمايزة!

قال ابن كثير:" وقَوْله تعالى (فترى الذين قلوبهم مرض)أي شكٌّ ورَيْبٌ ونفاق (يسارعون فيهم)أي يبادرون إلى موالاتهم ومودّتهم في الباطن والظّاهر (يقولون نخشى أن تصيبنا دائرة) أي يتأوّلون في مودّتهم وموالاتهم أنّهم يخشون أن يقع أمر من ظفر الكافرين بالمسلمين فتكون لهم أياد عند اليهود والنّصارى فينفعهم ذلك؛ عند ذلك قال الله تعالى(فعسى الله أن يأتي بالفتح)قال السّديّ يعني فتح مكّة وقال غيره يعني القضاء والفصل(أو أمر من عنده)قال السّدّيّ يعني ضرب الجزية على اليهود والنّصارى(فيصبحوا) يعني الذين والوا اليهود والنّصارى من المنافقين(علي ما أسرّوا في أنفسهم) من الموالاة (نادمين)"[1].

فالمرض هنا: الشّكّ والرّيب والنّفاق.

قال ابن كثير:" وقوله (إذ يقول المنافقون والذين قلوبهم مرض غرّ هؤلاء دينهم) قال عليّ بن أبي طلحة عن ابن عبّاس في هذه الآية لمّا دنا القوم بعضهم من بعض قلّل الله المسلمين في أعين المشركين، وقلّل المشْركين في أعين المسلمين، فقال المشركون غرّ هؤلاء دينهم. وإنّما قالوا ذلك من قلّتهم في أعينهم، فظنّوا أنّهم سيهزمونهم لا يشكّون في ذلك فقال الله (ومن يتوكّل على الله فإنّ الله عزيز حكيم) وقال قتادة: رأوا عصابة من

---

[1] ـ نفس المصدر السابق ، ج٢ ص٧١ .

المؤمنين تشـدّدت لأمر الله؛ وذكر لنا أنّ أبا جهل عدوّ الله لمّا أشـرف على محمّد(ص) وأصحابه قال: والله لا يعبد الله بعد اليوم ـ قسوة وعتوّا ـ وقال ابن جريج في قولـه " إذ يقول المنـافقون والـذين في قلوبِهِم مرض هم قوم كانوا من المنافقين بِمكّة قالوه يوم بدر وقال عامر الشّعبيّ كان ناس من أهل مكّـة قـد تكلّموا بـالإسـلام فخرجوا مع المشـركين يوم بدر فلمّا رأوا قلّة المسـلمين قـالوا غرّ هؤلاء دينهم. وقال مجاهد في قوله عزّ وجلّ (إذ يقول المنـافقون والـذين في قلوبهم مرض غرّ هؤلاء دينهم) قـال فئـة من قريش قيس بن الوليد بن المغيرة وأبو قيس بن الفاكه بن المغيرة والحارث بن زمعة بن الأسـود بن المطّلب وعليّ بن أُميّة بن خلف والعاص بن منبه بن الحجاج خرجوا مع قريش من مكّة وهم على الارْتِيَاب، فحبسـهم ارتيابهم، فلمّا رأوا قلّة أصحاب رسول الله(ص) قالوا غرّ هؤلاء دينُهم حتّى قدموا على ما قدموا عليه مع قلّة عددهم وكثرة عدوّهم؛ وكذا قال محمّد بن إسـحق بن يسـار سواء. وقال ابن جرير: حدّثنا محمّد بن عبد الأعلى حدّثنا محمّد بن ثور عن معمر عن الحسـن في هـذه الآيـة قال: هم قوْم لم يشـهدوا القتال يوم بدر فسُمّوا منافقين! قال معمر: وقال بعضـهم هم قوم كانوا أقرّوا بالإسـلام وهم بِمكّة فخرجوا مع المشركين يوم بدر، فلمّا رأوا قلّة المسلمين قالوا غرّ هؤلاء دينهم) "[1] .

إذاً هُم:

(١) المشـركون(٢) قوم كـانوا من المنـافقين بِمكّـة(٣) نـاس تكلّموا

---

[1] ـ تفسير ابن كثير ،ج٢ ص ٣٣١.

بالإسلام بِمكّة(٤) فئة من قريش(٥) قوم لم يشهدوا القتال يوم بدر.

ومع أنّه لا ذكْر لعبارة المنافقين من الآية١١٨ (يا أيها الذين آمنوا اتقوا الله وكونوا مع الصادقين) إلى الآية ١٢٤(وأمّا الذين في قلوبهم مرض فزادتهم رجسا إلى رجسهم وماتوا وهم كافرون)، فإنّ ابن كثير يقول:"(وإذا ما أنزلت سورة فمنهم من يقول أيّكم زادته هذه إيمانا فأمّا الذين آمنوا فزادتهم إيماناً وهم يستبشرون وأمّا الذين قلوبهم مرض فزادتهم رجسا إلى رجسهم وماتوا وهم كافرون) يقول تعالى (وإذا ما انزلت سورة) فمن المنافقين (من يقول أيّكم زادته هذه إيماناً) أي يقول بعضهم لبعض أيّكم زادته هذه السّورة إيمانا قال الله تعالى (فأمّا الذين آمنوا فزادتهم إيمانا وهم يستبشرون) وهذه الآية من أكبر الدّلائل على أنّ الإيمان يزيد وينقص كما هو مذهب أكثر السّلف والخلف من أئمّة العلماء. بل قد حكى غير واحد الإجماع على ذلك. وقد بسطت الكلام على هذه المسألة في أوّل شرح البخاريّ رحمه الله. (وأمّا الذين فِي قلوبِهِم مرض فزادتهم رجسا إلى رجسهم)أي زادتهم شكّا إلى شكّهم وريبا إلى ريبهم كما قال تعالى(وننزّل من القرآن ما هو شفاء) الآية وقوله (قل هو للذين آمنوا هدى وشفاء والذين لا يؤمنون في آذانهم وقر وهو عليهم عمى أولئك ينادون من مكان بعيد) وهذا من جملة شقائهم أنّ ما يهدي القلوب يكون سببا لضلالهم ودمارهم، كما أن سيّء المزاج لو غذي بما غذي به لا يزيده إلاّ خبالا ونقصا"[1].

و هكذا أصبح الْمَرض والرّجس والشّكّ و الرّيب بمعنى واحد.

---

[1] ـ تفسير ابن كثير، ج ٢ ص ٤١٧.

قال ابن كثير:" قال الضّحاك: نسخ جبريل بأمرالله ما ألقى الشّيطان وأحكم الله آياته. وقوله (والله عليم) أي بما يكون من الأمور والحوادث لا تخفى عليه خافية، (حكيم)أي في تقديره وخلقه وأمره له الحكمة التّامة والحُجّة البالغة، ولهذا قال (ليجعل ما يلقي الشّيطان فتنة للذين في قلوبهم مرض)أي شكّ وشرك وكفر ونفاق كالمشركين حين فرحوا بذلك واعتقدوا أنّه صحيح من عند الله، وإنّما كان من الشّيطان. قال ابن جريج (الذين فِي قلوبهم مرض) هم المنافقون(والقاسية قلوبهم)هم المشركون. وقال مقاتل بن حيان هم اليهود (وإن الظالمين لفي شقاق بعيد) أي في ضلال ومخالفة وعناد بعيد أي من الحقّ والصّواب"[1].

فـ(الذين قلوبهم مرض): هم الذين في قلوبهم شكّ، وشرك، وكفر، ونِفَاق. وحسم المسألة ابن جريج حيث قال: الذين في قلوبهم مرض هم المنافقون.

وقال: "قال تعالى(أفي قلوبهم مرض) الآية يعني لا يخرج أمرهم عن أن يكون في القلوب مرض لازم لها، أو قد عرض لها شكّ في الدين، أو يخافون أن يجور الله ورسوله عليهم في الحكم. وأيّاً مّا كان **فهو كُفرٌ محض** [!] والله عليم بكلٍّ منهم وما هو منطوٍ عليه من هذه الصّفات. وقَوْله تعالى (بل أولئك هم الظالمون) أي بل هم الظّالمون الفاجرون، والله ورسوله مبرّآن مما يظنّون ويتوهّمون من الحيف والجور تعالى الله ورسوله عن ذلك"[2] .

---

[1] ـ نفس المصدر السابق، ج ٣ص ٢٤١.

[2] ـ نفس المصدر ، ج ٣ ص ٣١٠.

ومعنى الْمَرض هنا غير بيّن بالحدّ الدّقيق، لكنّه لازم أو قد عرض منه للقلوب شكّ في الدّين، وهو مع ذلك كفر محض.

وقال في تفسير قوله تعالى إلاّ من أتى الله بقلب سليم:" ولهذا قال (إلاّ من أتى الله بقلب سليم) أي سالم من الدّنَس والشّرك. قال ابن سيرين: القلب السّليم أن يعلم أنّ الله حقّ، وأنّ السّاعة آتية لا ريب فيها، وأنّ الله يبعث من في القبور. وقال ابن عبّاس:(إلاّ من أتى الله بقلب سليم) القلب السّليم أن يشهد أن لا إله إلا الله، وقال مجاهد ، والحسن، وغيرهما: (بقلب سليم) يَعْنِي من الشّرك؛ وقال سعيد بن المسيّب القلب السّليم هو القلب الصّحيح وهو قلب المؤمن، لأنّ قلب الكافر والمنافق مريض قال الله تعالى(في قلوبهم مرض). قال أبو عثمان النّيسابوريّ هو القلب السّالم من البدعة المطمئنّ إلى السّنة "[1].

و لم يعلق ابن كثير على كلام النيسابوريّ، وعليه يكون القلب المطمئنّ إلى غير ما يراه الأخير سنّة قلبا مريضا، وقد يبقى تفسير الْمَرض بالكفر والشّرك والشّهوة والفجور....

و قال:"تكلّم الذين قلوبهم مرض بما في أنفسهم. وإذ يقول المنافقون و(الذين قلوبهم مرض) ما وعدنا الله ورسوله إلاّ غرورا. أمّا المنافق فنجم نفاقه، والذي في قلبه شبهة أو حسكة لضعف حاله فتنفّس بما يجده من الوسواس في نفسه لضعف إيمانه وشدّة ما هو فيه من ضيق الحال. وقوم آخرون قالوا كما قال الله تعالى (وإذ قالت طائفة منهم يا أهل يثرب) يعني

---

[1]- نفس المصدر السابق، ج ٣ ص ٣٥٢.

المدينة [1].

وهُنا فرّق ابن كثير بين المنافق ومن في قلبه مرض. فابتدأ بـــ (أمّا) التّفصيلية وجاء بالفاء في جوابها، وهو تفصيل لا ريب فيه.

و إذا هناك صنفان تحت عنوان الذين في قلوبهم مرض:

* المنافق فنجم نفاقه.

* الذي في قلبه شبهة أوحسكة لضعف حاله.

قال الجوهري في صحاحه (مادّة حسك ١٤٠٥)... قولهم في صدره عليّ حساكة و حسيكة أي ضغن وعداوة.

وإذاً، فهو ليس مجرّد ضعف حال ووسواسٍ يجده في نفسه لضعف الإيمان وشدّة ما هو فيه من ضيق الحال، بل هو ضغن وعداوة. فيصبح الضّغن والعداوة أيضا من مصاديق الْمَرض الذي سكن تلك القلوب. وسيأتي لاحقا كلام في معنى قوله تعالى (أم حسب الذين في قوبهم مرض أن لن يخرج الله أضغانهم).

قال ابن كثير:" (فيطمع الذي في قلبه مرض) أي دَغَل (وقُلْنَ قولا معروفا) قال ابن زيد: قولاً حسناً جميلاً معروفاً في الخير، ومعنى هذا أنّها تخاطب الأجانب بكلام ليس فيه ترْخيم؛ أي لا تخاطب المرأة الأجانب كما تخاطب زوجها"[2].

وهُنا يكون الْمَرَض هو الدّغَلُ.

وفي سورة محمّد(ص) مرّ ابنُ كثير ولم يتوقّف عند العبارة، وإنّما ذكر

١- نفس المصدر، ج ٣ ص ٤٨١.

٢ - نفس المصدر السابق، ج ٣ ص ٤٩١.

سـبب نظرهم إلى النّبيّ(ص) نظر المغشـيّ عليه من الموت. وبما أنّ العبارة واردة في السّورة أكثر من مرّة فقد قال في التّالية:" يقول تعالى (أم حسـب الذين قلوبهم مرض أن لن يخرج الله أضغانـهم) أي أيعتقد المنافقون أنّ الله لا يكشـف أمرهم لعباده المؤمنين، بل سيوضّح أمرهم ويجلّيه حتى يفهمهم ذوو البصـائر. وقد أنزل الله تعالى في ذلك سـورة براءة فبيّن فيها فضـائحهم وما يعتمدونه من الأفعال الدّالة على نفاقهم، ولهذا كانت تسـمّى الفاضـحة. والأضـغان جمع ضغن وهو ما في النّفوس من الحسد والحقد للإسلام وأهله والقائمين بنصره"[1].

وقال في تفسير سورة المدّثّر:"(ولا يرتاب الذين أوتوا الكتاب والمؤمنون وليقول الـذين في قلوبهم مرض) أي من المنـافقين(والكـافرون ماذا أراد الله بِهـذا مثلا)أي يقولون مـا الحكمـة في ذكرهذا ههنا؟ قال الله تعالى(كذلك يضلّ الله من يشاء ويهدي من يشاء) أي من مثل هذا وأشباهه يتأكّد الإيمان فـي قـلوب أقوام ويتزلزل عنـد آخرين، ولـه الحكمـة البـالغـة والحجّة الدّامغة"[2].

ولايخفى موضـع (من) في قولـه "من المنـافقين"، فـإنّـه لا يعني كلّ المنـافقين، وإنّمـا قسـماً منهم. فهـل يكون معنى ذلك أنّ هناك منافقين في قلوبهم مرض ومنافقين ليس في قلوبهم مرض؟!

هـذا مـا كـان من ابن كثير بخصـوص الـذين في قلوبهم مرض. فـإذا ضمَمْنا بعضها إلى بعضٍ تكون كالتالي:

---

[1]- نفس المصدر السابق، ج ٤ ص ١٩٤.

[2]- نفس المصدر، ج ٤ ص ٤٧٤.

(١) (في قلوبهم مرض) قال شكّ أي في قلوبهم شكّ. (٢) (في قلوبهم مرض) يَعْنِي الرّياء أي في قلوبهم الرّياء. (٣) (في قلوبهم مرض) نِفَاق أي في قلوبهم النّفاق. (٤) (في قلوبهم مرض) هذا مرض في الدّين وليس مرضا في الأجساد وهم المنافقون.(٥) " هذا الضّرب من النّاس هم المنافقون. (٦) (الذين قلوبهم مرض) " أي شكّ وريب. (٧) (الذين فِي قلوبهم مرض): المشركون. (٨) هم قوم كانوا من المنافقين بِمكّة قالوه يوم بدر. (٩) ناس من أهل مكّة قد تكلّموا بالإسلام فخرجوا مع المشركين يوم بدر. (١٠) فئة من قريش قيس بن الوليد بن المغيرة، وأبو قيس بن الفاكه بن المغيرة، والحارث بن زمعة بن الأسود بن المطّلب، وعليّ بن أُميّة بن خلف، والعاص بن منبه بن الحجاج؛ خرجوا مع قريش من مكّة وهم على الارتياب. (١١) هم قوم لم يشهدوا القتال يوم بدر فسمّوا منافقين. (١٢) الذين في قلوبهم مرض أي شكّ وشرك وكفر ونفاق. (١٣) أن يكون في القلوب مرض لازم لها أو قد عرض لها شكّ في الدين. (١٤) والذي في قلبه شبهة أو حسكة لضعف حاله فتنفّس بما يجده من الوسواس في نفسه لضعف إيمانه وشدّة ما هو فيه من ضيق الحال.

الفصل السابع

الذين في قلوبهم مرض
في
نظر مفسري القرن التاسع

- **تفسير الجلالين**
- **الثعالبي**

باعتبار الجلال الأول من علماء القرن التاسع

الذين فِي قلوبهم مرض في تفسير الجلالين

قوْله تعالى في سورة التوبة:"(وأمّاالذين فِي قلوبهم مرض) ضعف اعتقاد (فرادتْهم رجسا إلى رجسهم) كفرا إلى كفرِهم لكفرهم بها(وماتوا وهم كافرون)"[1].

ثمّ يقول:"(ليجعل ما يُلقي الشيطان فتنة) محنة(للذين في قلوبهم مرض) شقاق ونفاق"[2].

ويقول :":(أفي قلوبهم مرض)كفْر(أم ارتابوا)أيْ شكّوا في نُبوّته(أم يخافون أن يحيف الله عليهم ورسوله) في الحكمِ أي فيظلموا فيه؟ لا (بل أولئك هم الظالمون)بالإعراض عنه"[3].

ثمّ هو يقول:"(فيطمع الذي في قلبه مرض) نِفَاق(وقلن قولاً معروفا) مِن غيرخضوعٍ"[4].

ثمّ يقول : (لئن) لامُ قَسمٍ(لم ينته المنافقون) عن نفاقهم (والذين في قلوبهم مرض) بالزّنا (والمرجفون في المدينة) المؤمنين بقولهم قد أتاكم العدوّ وسراياكم قتلوا أوهزموا(لنغرينّك بهم) لنسلّطنّك عليهم(ثمّ لا يجاورونك) يساكِنونك(فيها إلاّ قليلا) ثمّ يخرجون"[5].

و يقول :" (فإذا أُنزلتْ سورةٌ محكمةٌ) أيْ لمْ يُنسخْ منها شيءٌ (وذكر

---

١ – تفسير الجلالين ، ص٢٦٤.

٢ ـ تفسير الجلالين ،ص٤٤١ .

٣ ـ تفسير الجلالين ص٤٦٦.

٤ ـ نفس المصدر ص٥٥٤ .

٥ ـ نفس المصدر ص ٥٦٠ .

فيها القتال)أي طلبه(رأيت الذين في قلوبهم مرض)أي شك وهم المنافقون"[1].

و قال:" (ويزداد الذين آمنوا) من أهل الكتابِ (إيمانا) تصديقا لموافقتِه ما أتي به النّبيّ(ص) لما في كتابِهم (ولا يرتاب الذين أوتوا الكتاب والمؤمنون) من غيرهم في عدد الملائكة (وليقول الذين في قلوبِهم مرض) شكّ بالمدينة(والكافرون) بمكّة (ماذا أراد الله بهذا مثلا...)"[2].

أقول: أضاف عبارة "بالمدينة "ولا وجود لها، ولا لقرينة تدلّ علي ذلك!! لكنّه في تفسير قوله تعالى(أم حسب الذين في قلوبهم مرض أن لن يخرج الله أضغانهم)[3] لم يشر إليهم لا بنفاق ولا بكفرٍ ولاشكّ ولا ضعف اعتقاد، بل اكتفى بقولِه: يُظهِر أحقادَهم على النّبيّ(ص) والمؤمنين. لكنْ منْ همْ؟

---

[1] ـ تفسير الجلالين ص٦٧٥.

[2] نفس المصدر السابق ص ٧٧٧.

[3] ـ نفس المصدر ص٦٧٦.

قال الثّعالبيّ: "قَوْله تعالى (في قلوبهم مرض) أي في عقائدهم فساد، وهم المنافقون. وذلك إمّا أن يكون **شكّا** وإمّا **جحدا** بسبب حسدهم مع علمهم بصحّة ما يجحدون. وقال قوم المرض غمّهم بظهوره صلّى الله عليه وسلّم فزادهم الله مرضا قيل هو دعاء عليهم، وقيل هو خبر أنّ الله قد فعل بهم ذلك؛ وهذه الزّيادة هي بما ينزل من الوحي ويظهر من البراهين"[1].

القول الأوّل: الذين في قلوبهم مرض هم الذين في عقائدهم فساد وهم المنافقون. والْمَرض إمّا أن يكون شكّا وإمّا جحدا بسبب حسدهم.

وقول آخر: الْمَرض غمّهم بظهوره(ص) .

قال الثّعالبيّ:" وقوله سبحانه (الذين في قلوبهم)، المعنى: فترى يا محمّد (الذين قلوبهم مرض) إشارة إلى عبد الله بن أبيّ ومن تبعه من المنافقين على مذهبه في حماية بني قينقاع "[2].

ويفهم من هذا أنّهم المنافقون لا غير، لأنّ المنافقين هم عبد الله بن أبيّ و أتباعه.

قال الثّعالبيّ :" يقول المنافقون والذين في قلوبهم مرض..الآية قال المفسّرون إنّ هؤلاء الموصوفين بالنّفاق إنّما هم من أهل عسكر الكفّار ممّن كان الإسلام داخل قلوبهم، خرجوا مع المشركين إلى بدر منهم مكره وغير مكره، فلمّا أشرفوا على المسلمين ورأوا قلّتهم ارتابوا وقالوا مشيرين إلى

---

[1] ـ تفسير الثعالبي ، ج ١ ص ١٨٨.

[2] ـ نفس المصدر ، ج٢ ص ٣٩٣.

المسلمين: غرّ هؤلاء دينهم؛ قال ولم يذكر أحد ممّن شهد بدرا بنفاق إلاّ ما ظهر بعد ذلك من معتب بن قشير فإنّه القائل يوم أحد لوكان لنا من الأمر شيء ما قتلنا هاهنا. وقد يحتمل أن يكون منافقو المدينة لمّا وصلهم خروج قريش في قوّة عظيمة قالوا هذه المقالة. ثمّ أخبر الله سبحانه بأنّ من توكّل عليه وفوّض أمره إليه فإنّ عزّته سبحانه وحكمته كفيلة بنصره "[1].

والذي يفهم من كلامه أنّهم من أهل عسكرالكفّار، ممّن كان الإسلام داخل قلوبهم، وأنّهم كانوا بمكّة قبل معركة بدر، وأنّهم ارتابوا....

ويحتمل أيضا أن يكون منافقو المدينة مقصودين بذلك.

فهناك تفسيران اثنان لا تفسيرواحد، ولم يرجّح الثّعالبيّ واحدا منهما على الآخر، كما أنّه لم يشر إلى من تبنّى الاحتمال الثاني، ولا يبعد أن يكون له، لكنّه ذكر أنّ الأوّل عليه المفسّرون[قال المفسّرون إنّ هؤلاء الموصوفين بالنّفاق..] والواقع أنّ هناك موصوفين بالنّفاق وأنّ هناك أيضا موصوفين بـ(في قلوبهم مرض)، وكأنّ الإفصاح عن مرضى القلوب أمر ممنوع!

قال الثّعالبيّ :" فإذا نزلت السّورة زادت في أدلّته، ووجه آخر من وجوه الزّيادة أنّ الإنسان ربّما عرضه شكّ يسير، أو لاحت له شبهة مشغبة، فإذا نزلت السّورة ارتفعت تلك الشّبهة وقوي إيمانه ارتقى اعتقاده عن معارضة الشّبهات. والذين في قلوبهم مرض هم المنافقون ،والرّجس في اللّغة يجيء بمعنى القذر ويجيء بمعنى العذاب؛ وحال هؤلاء المنافقين هي قذر وهي عذاب عاجل كفيل بآجل. وإذا تجدّد كفرهم بسورة فقد زاد كفرهم فذلك

---

[1] ـ نفس المصدر ، ج٣ ص ١٤٤.

زيادة رجس إلى رجسهم.."[1].

والمقصود بـ(الذين قلوبهم مرض) حسب كلامه هُم المنافقون.

وقال في تفسير قوله تعالى ليجعل ما يلقي الشيطان فتنة:" وقوله سبحانه (ليجعل ما يلقي الشيطان فتنة) الفتنة الامتحان والاختبار، والذين قلوبهم مرض عامّة الكفّار، والقاسية قلوبهم خواصّ منهم عتاة كأبي جهل وغيره، والشّقاق البعد عن الخير والكون في شقّ غير شقّ الصّلاح، والذين أوتو العلم هم أصحاب نبيّنا محمّد(ص) [2]والضّمير في "أنّه " عائد على القرآن، (فتخبت له قلوبهم) معناه تتطامن وتخضع وهو مأخوذ من الخبت وهو المطمئن من الأرض"[3].

فالمقصود بـ(الذين في قلوبهم مرض) هذه المرّة عامّة الكفّار. والقاسية قلوبهم أيضاً مشمولون وزيادة!

قال الثّعالبيّ: "وقوله سبحانه والذين في قلوبهم مرض الْمَرض هُنا هو الغزل وحبّ الزّنا! قاله عكرِمة؛ والمرجفون في المدينة هم قوم كانوا يتحدّثون بغزو العرب المدينة ونحو هذا ممّا يرجفون به نفوس المؤمنين. فيحتمل أن تكون هذه الفرق داخلة في جملة المنافقين، ويحتمل أن تكون متباينة. ونغرينّك بيّن معناه نحضّك عليهم بعد تعيينهم لك، وفي البخاريّ: وقال ابن عبّاس لنغرينّك لنسلّطنّك. وقوله تعالى ثمّ لا يجاورونك أي بعد

---

[1]- نفس المصدر السابق ، ج٣ ص٢٣١.

[2] - هذا لا يستقيم لأنّ الله تعالى يقول (يرفع الله الذين أمنوا والذين أوتوا العلم منكم درجات..) فلو كان أصحاب النبي كلّهم آمنوا وأوتوا العلم لقال يرفعكم ولم يقل يرفع منكم.ومثل هذا في القرآن كثير، وهو لوحده كاف لإبطال نظرية عدالة جميع الصّحابة.

[3] - نفس المصدر السابق، ج٤ ص١٣٣- ١٣٤.

الإغراء، لأنّك تنفيهم بالإخافة والقتل.."[1].

أقول: المعارضون للرّسالة طوائف، منهم منافقون ومنهم كفّار مشركون، ومنهم أهل الكتاب، ومنهم الذين فِي قلوبهم مرض، وكلّ طائفة تحتفظ بمميّزاتها إلاّ(الذين في قلوبهم مرض) فإنّهم تارة يكونون من المسلمين، وتارة من المشركين، وطورا من المنافقين.... فهل يكون كلام ربّ العالمين بهذا النحو؟!

وقال :" اعلم أنّ ذكر الله سبب لحصول النّور والهداية، وزيادة الاطمئنان في النّفوس الطّاهرة الرّوحانية. وقد يوجب القسوة والبعد عن الحقّ في النّفوس الخبيثة الشّيطانية. فإذا عرفت هذا فنقول إنّ رأس الأدوية التي تفيد الصّحة الرّوحانيّة ورتبتها هو ذكر الله. فإذا اتّفق لبعض النّفوس أن صار ذكر الله سببا لازدياد مرضها كان مرض تلك النّفوس مرضا لا يرجى زواله، ولا يتوقّع علاجُه، وكانت في نهاية الشّرّ والرّداءة. فلهذا المعنى قال تعالى فويل للقاسية قلوبهم من ذكر الله أولئك في ضلال مبين. وهذا كلام كامل محقّق"[2] .

وعجيبٌ أن يشهد بقوله هذا كلام كامل محقّق، ثمّ لا يتوجّه إلى التّحقيق في حال الذين نعتهم القرآن بأنّ في قلوبهم مرضا منذ بداية الرّسالة، ولذلك أيضا تراهم مع اعترافهم بأنّ السّورة مكّيّة، وأنّه لم يكن بِمكّة نفاق، يحاولون أن يثبتوا أنّ الآية مدنيّة، ولايخفى ما في ذلك من زرع الشّبهات في ذهن القارئ!!

---

[1]- نفس المصدر السابق ، ج٤ ص٣٦٠.

[2]- نفس المصدر السابق ، ج٥ ص٨٧.

قال في تفسير سورة محمد(ص) :" وقوله سبحانـــه فهل عسيتم مخاطبة هؤلاء (الذين قلوبهم مرض) والمعنى فهل عسى أن تفعلوا إن تولّيتم غير أن تفســدوا في الأرض وتقطّعوا أرحامكم. ومعنى إن تولّيتم أي إن أعرضــتم عن الحقّ. وقيـل المعنى إن تولّيتم أمور النّاس من الولايـة، وعلى هـذا قيل إنّـــها نزلت في بني هاشــم وبني أميّة ذكره الثّعلبيّ، وهوعندي بعيد لقوله أولئك الذين لعنهم الله فتعيّن التّأويل الأوّل والله أعلم"[1].

يقول الثّعـالبيّ: وهوعنـدي بعيـد، ولايذكر للاســتبعاد دليلا غير توجّه اللّعن إلى المخـاطبين، ولذلك تراه خالف بقيّة المفسّـرين في تفســير قوله تعالى والشّـجرة الملعونة في القرآن في سـورة الإسـراء، و زعم أنّها شـجرة الزّقـــّوم. والله تعالى أجلّ من أن يلعن من لا يســتحقّ اللّعن[2]، وأيّ ذنب لشجرة الزّقّوم تستحقّ لأجله اللّعن؟

قال الثّعالبيّ:" وقوله سبحانـه أم حسب(الذين قلوبهم مرض) الآية توبيخ للمنافقين وفضـح لسـرائرهم، والضّـغن الحقد. وقال البخاريّ قال ابن عبّاس أضغانـهم حسدهم"[3].

(الذين في قلوبهم مرض) هنا هم المنافقون.[كما جرت العادة].

قال: "وقوله ســبحانـــــه (الذين قلوبهم مرض) الآية نوع من الفتنة لهذا الصنف المنافق أو الكافر، أي حاروا ولم يهتدوا لمقصد الحقّ فجعل بعضهم يستفهم بعضا عن مراد الله ِبهذا المثل استبعادا أن يكون هذا من عند الله. قال

---

[1]- نفس المصدر، ج٥ ص٢٣٨.

[2]- اللعن هو الطرد والإبعاد من رحمة الله تعالى، ولا يتوجّه إلاّ إلى مكلّف معاند أو ما في حكمه.

[3]- تفسير الثعالبي، ج٥ ص٢٤١.

الحسين بن الفضل: السّورة مكّيـــّة ولم يكن بمكّة نفاق وإنّما الْمَرض في هذه الآية الاضطراب وضعف الإيمان. ثمّ قال تعالى: و ما يعلم جنود ربّك إلاّ هو إعلاما بأنّ الأمر فوق ما يتوهّم"[1].

الذين في قلوبهم مرض هنا: الصنف المنافق أو الكافر، والْمَرض في هذه الآية الاضطراب وضعف الإيمان.

ويتلخّص ممّا سبق أنّ (الذين فِي قلوبهم مرض)في تفسير الثّعالبيّ تعني ما يلي:

(١) (في قلوبهم مرض) أي في عقائدهم فساد وهم المنافقون.

(٢) الْمَرَض غمّهم بظهوره(ص) . (٣) (الذين قلوبهم مرض) إشارة إلى عبد الله بن أبيّ ومن تبعه من المنافقين على مذهبه في حماية بني قينقاع. (٤) هم من أهل عسكر الكُفّار ممّن كان الإسلام داخل قلوبهم خرجوا مع المشركين إلى بدر، منهم مكره وغير مكره، فلما أشرفوا على المسلمين ورأوا قلّتهم ارتابوا وقالوا مشيرين إلى المسلمين غرّ هؤلاء دينهم.(٥) يحتمل أن يكون منافقو المدينة لمّا وصلهم خروج قريش في قوّة عظيمة قالوا...(٦) الذين فِي قلوبهم مرض هم المنافقون. (٧) (الذين قلوبهم مرض) عامـّة الكفـّار.(٨) الْمَرض هنا هو الغزل وحبّ الزّنا. (٩) (الذين فِي قلوبهم مرض) هم المنافقون. (١٠) الذين فِي قلوبهم مرض هنا: الصـّنف المنافق أوالكافر، والْمَرض الاضطراب وضعف الإيمان.

---

[1]- نفس المصدر ، ج٥ص ٥١٤.

الفصل الثامن

الذين في قلوبهم مرض
في
نظر مفسري القرن العاشر

- جلال الدين السيوطي
- أبو السعود

الذين في قلوبهم مرض في الدرّ المنثور

قال السيّوطيّ في تفسير ذلك في سورة البقرة:

"وأخرج ابن جرير وابن أبي حاتم عن ابن عبّاس في قوله في قلوبهم مرض قال: النّفاق. ولهم عذاب أليم قال: نكال موجع. بما كانوا يكذبون قال: يبدّلون ويُحرّفون. وأخرج الطستيّ عن ابن عبّاس أنّ نافعَ بن الأزْرقِ قال له: أخبِرْني عن قَوْله تعالى في قلوبهم مرض قال: النّفاق قال: وهل تعرف العرب ذلك؟ قال: نعَم أمّا سمعْتَ قول الشاعر:

أُجامِلُ أقواماً حياءً وقدْ أرَى   صُدُورَهُمُ تَغْلِي عَليَّ مِرَاضُهَا

قال: فأخبِرْني عن قوله ولهم عذابٌ أليم. قال: الأليمُ المُوجِع. قال وهل تعرفُ العربُ ذلك؟ قال: نعم، أمَا سمعتَ قول الشاعر:

نامَ مَنْ كانَ خَلياًّ مِنْ أَلَمٍ   وبَقيتُ اللّيلَ طُولاً لَمْ أَنَمْ

وأخرج ابن أبي حاتم عن ابن عبّاس قال: كلّ شيء في القرآن أليم فهو المُوجع. وأخرج ابن أبي حاتم عن أبي العالية قال: الأليم الموجع في القرآن كلّه. وأخرج عبد بن حميد وابن جرير عن قتادة في قوله مرض قال ريبة وشكّ في أمر الله فزادهم الله مرضاً قال ريبة وشكّا. ولهم عذاب أليم بما كانوا يكذبون قال إيّاكم والكذب فإنّه من بابِ النّفاق وإنّا والله ما رأينا عملا قطّ أسرع في فساد قلبِ عبد من كبر أو كذبٍ. وأخرج ابن جرير عن ابن زيد في قوله في قلوبهم مرض قال هذا مرض في الدّين وليس مرضا في الأجساد وهم المنافقون والْمَرَض الشّكّ الذي دخل في الإسلامِ. وأخرج ابن جرير عن الرّبيع في قوله في قلوبهم مرض قال هؤلاء أهل النّفاق والْمَرَض

الذي في قلوبهم الشّكّ في أمرالله عزّوجلّ(فزادهم الله مرضا) قال شكّا "[1].

وقال في الدّرّ المنثور: "قوله فترى الذين فِي قلوبهم مرَض يسارعون فيهم يعني عبد الله بن أبيّ "[2].

وهو كما ترى، فكأنّما أصبحت (في قلوبهم مرض) لقبا لعبد الله بن أبيّ. ولا شكّ أنّ في قلبِه أمراضا كثيرة، وقد هلك في سنة تسعٍ في حياة النّبي(ص) بلا خلاف، وصلّي عليه؛ لكنّه لم يكن في مكّة في بداية الدّعوة حين نزول سورة المدّثّر.

وقال في الدّرّ المنثور:"(في قلوبهم مرض) الآية أخرج ابن جريرٍ وابنُ المنذر وابن أبي حاتم عن عطيّة فترى الذين في قلوبهم مرض كعبد اللهِ بن أبيّ يسارعون فيهم في ولايتهم"[3].

وقال: "فترى الذين في قلوبهم مرض يسارعون فيهم قال هم المنافقون في مصانعة اليهود وملاحاتهم واسترضاعهم أولادهم إيّاهم يقولون نخشى أن تكون الدّائرة لليهود بالفتحِ حينئذ فعسى الله أن يأتي بالفتح على النّاس عامّة أو أمرٍ من عنده خاصّة للمنافقين فيصبحوا (المنافقون) على ما أسرّوا في أنفسهم من شأن يهود نادمين.

وقال أيضا:"عن قتادة في قوله (فترى الذين في قلوبهم مرض) قال أناس من المنافقين كانوا يوادّون اليهود ويناصحونهم دون المؤمنين قال الله تعالى فعسى الله أن يأتي بالفتح أي بالقضاء أو أمرٍ من عنده فيصبِحوا على ما أسرّوا

---

١ – الدّرّ المنثور ، السيوطي ، ج١ ص٣٠.

٢ – الدر المنثور ، السيوطي ، ج ٢ ص ٢٩١.

٣– نفس المصدر ، ج ٢ ص٢٩١ ـ ٢٩٢.

في أنفسهم نادمين"[1].

وقال في الدّرّ المنثور:" وأخرج ابن أبي حاتم عن ابن إسحاق رضي الله عنه في قوله إذ يقول المنافقون والّذين في قلوبِهِم مرَض قال هم الفئة الذين خرجوا مع قريشٍ احتبَسَهم آباؤُهم فخرَجوا وهمْ على الارتياب؛ فلمّا رأوا قلّة أصحابِ رسول الله(ص) قالوا غرّ هؤلاء دينهم حين قدموا على ما قدموا عليه من قلّة عددهم وكثرة عدوّهم، وهم فئة من قريشٍ مسمّون خمسة قيس بن الوليد بن المغيرة وأبو قيس بن الفاكه بن المغيرة المخزوميّان والحارث بن زمعة وعليّ بن أميّة بن خلف والعاصي بن منبه"[2].

إذا، فهم فئة من قريشٍ في مكّة و ليسوا المنافقين ولا اليهود.

قال:" وأخرج ابن المنذر عن ابن جريج (ليجعل ما يلقي الشّيطان فتنة للذين في قلوبهم مرض) قال المنافقون، والقاسية قلوبهم يعني المشركين. (وليعلم الذين أوتوا العلم أنّه الحقّ) قال القرآن. (ولا يزال الذين كفروا في مرية منه) قال من القرآن. عذاب يومٍ عقيم قال ليس معه ليلة.."[3].

والقضيّة ههنا واضِحة، فالذين فِي قلوبهم مرض هم المنافقون !

وقال:" فلا تخضعن بالقول فيطمع الذي في قلبِه مرض يقول فجور"[4].

قال السيوطي: "وأخرج ابن سعد عن محمّد بن كعب رضي الله عنه في قوله لئِن لم ينته المنافقون قال يعني المنافقين بأعيانِهم و(الذين قلوبهم

---

١ – الدّر المنثور، ج ٢ص ٢٩٢.

٢ – نفس المصدر ، ج ٣ ص١٩١.

٣ – نفس المصدر، ج ٤ ص٣٦٨.

٤ – الدر المنثور ، جلال الدين السيوطي، ج٥ ص١٩٤.

مرض) شــكّ يعني المنافقين أيضــا !! وأخرج ابن ســعد عن عبيد بن حنين رضـــي الله عنـه في قولـه لئن لم ينته المنافقون قال عرّف المنافقين باعيانهم و(الـذين قلوبهم مرض) والمرجفون في المـدينـة هم المنـافقون جميعـا [!!]"[1].

وقال:" عن مالك بن دينار رضي الله عنه قال سألت عكرِمة رضي الله عنه عن قول الله لئن لم ينتـه المنـافقون والذين في قلوبهم مرض قال أصـــحاب الفواحش. وأخرج ابن أبي حـاتم عن عطاء رضـــي الله عنه في قوله والذين في قلوبهم مرض قال أصـــحاب الفواحش. وأخرج ابن أبي حاتم عن عطاء رضـي الله عنه في قوله والذين في قلوبهم مرض قال كانوا مؤمنين وكان في أنفسـهم أن يزنوا. وأخرج ابن أبي حاتم عن السّديّ رضـي الله عنه في قوله لئن لم ينته المنافقون قال: كان النّفاق على ثلاثة وجوه، نفاق مثل نفاق عبد الله بن أبيّ بن ســلول، ونفـاق مثـل نفـاق عبـد الله بن نبتل ومالك بن داعس فكان هؤلاء وجوه الأنصـار فكانوا يسـتحيون أن يأتوا الزّنا يصـونون بذلك أنفسهم. والذين في قلوبهم مرض قال الزّنا إن وجدوه عملوه وإن لم يجدوه لم يبتغوه. ونفـاق يكابِرون النّســاء مكابرة وهم هؤلاء الذين كانوا يكابِرون النساء"[2].

إذاً، يكون الذين في قلوبهم مرض هم الذين في قلوبهم الزّنا!

قـال:" وأخرج عبد بن حميد وابن المنذرعن قتادة ليســتيقن الذين أوتوا الكتاب ويزداد الذين آمنوا إيمانا قال صــدّق القرآن الكتب التي خلت قبله

---

[1]- نفس المصدر، ج ٥ ص ٢٢٢.

[2] - نفس المصدر ، ج ٥ ص ٢٢٢-٢٢٣).

التّوراة والانجيل أنّ خزنة جهنّم تسعة عشر. وليقول الّذين في قلوبهم مرض قال الذين في قلوبهم النّفاق والله أعلم"[1].

الذين في قلوبهم مرض ــ مرّة أخرى ــ هم(المنافقون) لأنّ المرض هو النّفاق، مع أنّ السورة مكيّة بِلا خلاف، فمتى كان النّفاق في مكّة في بداية الدّعوة والنّبيّ ومن معه من المؤمنين مستضعفون في الأرض إلى درجة أن يمرّ بهم(ص) وهم يُعذّبون، ولا يملك إلاّ أن يبشّرهم بحسن العاقبة. وكانت هجرة قسم منهم إلى الحبشة من شدّة ما لقوا من الأذى. وقد اتّضحَ على كلّ حال أنّه إذا ضمّت عبارات السّيوطيّ بعضها إلى بعْض فإنّ فئة الذين في قلوبهم مرض تعني:

(١) المنافقين (٢) الذين في قلوبهم رِيبةٌ وشكٌّ في أمرِ الله (٣) هذا مرضٌ في الدّين وليس مرضا في الأجساد (٤)هم المنافقون والْمَرض الشّكّ (٥) عبد الله بن أبيّ (٦) أناس من المنافقين كانوا يوادّون اليهود ويناصحونهم دون المؤمنين (٧) الفئة الذين خرجوا مع قريشٍ احتبسهم آباؤهم فخرجوا وهم على الارتياب وهم فئة من قريشٍ مسمّون خمسة قيس بن الوليد بن المغيرة وأبو قيس بن الفاكه بن المغيرة المخزوميّان والحارث بن زمعة وعليّ بن أميّة بن خلف والعاصي بن منبه(٨) الذي في قلبِه مرض يقول فجور (٩)أصحاب الفواحش (١٠) كانوا مؤمنين وكان في أنفسهم أن يزنوا (١١) الزّنا إن وجدوه عملوه وإن لم يجدوه لم يبتغوه.

---

[1] – الدر المنثور، جلال الدين السيوطي، ج ١ ص ٢٨٤.

الذين فِي قلوبهم مرض) في تفسير أبي السعود

قال أبو السعود في تفسيره :

" فترى (الذين قلوبهم مرض) بيان لكيفية تولّيهم، وإشعار بسببه وبما يؤول إليه أمرهم. والفاء للإيذان بترتّبه على عدم الهداية. والخطاب إمّا للرّسول بطريق التّلوين، وإمّا لكلّ أحد ممّن له أهليّة له. وفيه مزيد تشنيع للتّشنيع أي لا يهديهم بل يذرهم وشأنهم فتراهم... الخ. وإنّما وضع موضع الضّمير الموصول ليشار بما في حيّز صلته إلى أنّ ما ارتكبوه من التّولّي بسبب ما في قلوبهم من مرض النّفاق ورخاوة العقد في الدّين. وقوله تعالى يسارعون فيهم حال من الموصول والرّؤية بصريّة؛ وقيل مفعول ثان والرّؤية قلبيّة، والأوّل هو الأنسب بظهور نفاقهم أي تراهم مسارعين في موالاتهم، وإنّما قيل فيهم مبالغة في بيان رغبتهم فيها وتهالكهم عليها وإيثار كلمة (في) على كلمة (إلى) للدّلالة على أنّهم مستقرّون في الموالاة، وإنّما مسارعتهم من بعض مراتبها إلى بعض آخر منها كما في قَوْله تعالى أولئك يسارعون في الخيرات لا أنّهم خارجون عنها متوجّهون إليها كما في قَوْله تعالى وسارعوا إلى مغفرة من ربّكم وجنّة. وقُرئ فيرى بياء الغيبة على أنّ الضّمير لله سبحانه وقيل لمن تصحّ منه الرّؤية، وقيل الفاعل هو الموصول والمفعول هو الجملة على حذف أن المصدريّة، والرّؤية قلبيّة. ويرى القوم (الذين قلوبهم مرض) أن يسارعوا فيهم فلما حذفت أن انقلب الفعل مرفوعاً كما في قول من قال[1] ألا أيّهذا الزّاجري أحضُر الوغَى، والمراد بهم عبد الله بن أبيّ

---

[1]- القائل هو الشاعر الجاهلي طرفة بن العبد.

وأضرابه الذين كانوا يسارعون في موادّة اليهود ونصارى نجران، وكانوا يعتذرون إلى المؤمنين بأنّهم لا يأمنون أن تصيبهم صروف الزّمان، وذلك قوله تعالى يقولون نخشى أن تصيبنا دائرة، وهو حال من ضمير يسارعون والدّائرة من الصّفات الغالبة التي لا يذكر معها موصوفها أي تدور علينا دائرة من دوائر الدّهر ودولة من دوله بأن ينقلب الأمر وتكون الدّولة للكفّار. وقيل نخشى أنْ يصيبنا مكروه من مكاره الدّهر كالجدب والقحط فلا يعطونا الميرة والقرض. روي أنّ عبادة بن الصّامت رضي الله تعالى عنه قال لرسول الله: إنّ لي موالي من اليهود كثيرا عددهم واني أبرأ إلى الله ورسوله من ولايتهم وأوالي الله ورسوله. فقال عبد الله بن أبيّ: إنّي رجل أخاف الدّوائر لا أبرأ من ولاية مواليّ وهم يهود بني قينقاع؛ ولعلّه يظهر للمؤمنين أنّه يريد بالدّوائر المعنى الأخير ويضمر في نفسه المعنى الأوّل. وقَوْله تعالى فعسى الله أن يأتي بالفتح ردّ من جهة الله تعالى لعللهِم الباطلة وقطع أطماعهم الفارغة وتبشير للمؤمنين بالظّفر فإنّ عسى منه سبحانه وعد محتوم لما أنّ الكريم إذا أطمع أطعم لا محالة، فما ظنّك بأكرم الأكرمين. وأن يأتي في محلّ النّصب على أنّه خبر عسى وهو رأي الأخفش أو على أنّه مفعول به، وهو رأي سيبويه لئلاّ يلزم الإخبار عن الجثّة بالحدث كما في قولك عسى زيد أنْ يقوم. والمراد بالفتح فتح مكّة قاله الكلبيّ والسّديّ. وقال الضّحّاك: فتح قرى اليَهُود من خيبر وفدك. وقال قتادة ومقاتل: هو القضاء الفصل بنصره على من خالفه وإعزاز الدين، أو أمر من عنده بقطع شأفة اليهود من القتل والإجْلاء فيصبحوا أي أولئك المنافقون المتعلّلون بما ذكر، وهو عطف على يأتي داخل معه في حيز خبر عسى، وإن لم يكن فيه ضمير يعود إلى اسمها، فإنّ فاء السببية مغنية عن ذلك، فإنّها تجعل الجملتين

جملة واحدة(على ما أسـرّوا في أنفسـهم نادمين)وهو ما كانوا يكتمونه في أنفسـهم من الكفر والشـّكّ في أمره، وتعليق النّدامة به لا بما كانوا يظهرونه من موالاة الكفر لمـا أنّه الـذي كـان يحملهم على الموالاة ويغريهم عليهـا. فدلّ ذلك على ندامتهم عليها بأصلها وسببها. ويقول الذين آمنوا كلام مبتدأ مسـوق لبيـان كمال سـوء حال الطائفة المذكورة، وقُرئ بغير واو على أنّه جواب سؤال نشأ ممّا سبق كأنـّه قيل: فماذا يقول المؤمنون حينئذ؟ و قُرئ ويقول بالنّصـب عطفاً على يصبحوا. وقيل على يأتي باعتبار المعنى كأنّه قيل فعسـى أن يأتي الله بالفتح ويقول الذين آمنوا، والأوّل أوجه لأنّ هذا القول إنّما يصدر عن المؤمنين عند ظهور ندامة المنافقين لا عند إتيان الفتح فقط.

والمعنى ويقول الـذين آمنوا مخـاطبين لليهود، مشـيرين إلى المنـافقين الـذين كـانوا يوالونهم ويرجون دولتهم ويظهرون لهم غـايـة المحبّة وعـدم المفارقة عنهم في السـّرّاء والضـّرّاء عند مشـاهدتهم لخيبة رجائهم وانعكاس تقـديرهم بوقوع ضـدّ مـا كـانوا يترقّبونـه ويتعلّلون به تعجّباً للمخاطبين من حالهم، وتعريضا بهم أهؤلاء الذين"[1].

يقول أبو السـعود: والمرادُ بهم عبد الله بن أبيّ وأضـرا بُه الذين كانوا يسارعون في موادّة اليَهُود ونصارى نجران و.....

إذاً فـ(الذين في قلوبهم مرض): عبد الله بن أبيّ وأضرا به.

قـال أبو السـعود :" وأمّـا (الـذين قلوبهم مرض) أي كفر وسـوء عقيدة فزادتهم رجساً إلى رجسهم، أي كفراً بها مضموماً إلى الكُفْر بغَيْرها، وعقائد

---

[1] ـ تفسير أبي السعود، ج٣ص ٤٨ـ٤٩.

باطلة وأخلاقا ذميمة كذلك وماتوا وهم وكافرون. واستحكم ذلك إلى أن يموتوا عليه"[1].

(الذين في قلوبهم مرض): الذين في قلوبهم كفر وسوء عقيدة.

قال أبو السّعود: "وقرئ وذكر على إسناد الفعل إلى ضميره تعالى ونصب القتال(رأيت الذين قلوبهم مرض)أي ضعف في الدّين، وقيل نفاق، وهو الأظهر الأوفق لسياق النّظم الكريم(ينظرون إليك نظر المغشيّ عليه من الموت) أي تشخص أبصارهم جبنا وهلعا، كدأب من أصابته غشية الموت (فأولى لهم) أي فويل لهم، وهو أفعل من الولى وهو القرب. وقيل من آل ومعناه الدّعاء بأن يليهم المكروه أو يؤول إليه أمرهم. وقيل هو مشتقّ من الويل، وأصله أويل نقلت العين إلى ما بعد اللاّم فوزنه أفعل (طاعة وقول معروف) كلام مستأنف أي أمرهم...الخ، أو طاعة وقول معروف خير لهم أو حكاية لقولهم، ويؤيّده قراءة أبيّ يقولون طاعة وقول معروف أي أمرنا ذلك فإذا عزم الأمر أسند العزم وهو الجدّ إلى الأمر وهو لأصحابه مجازاً كما في قَوْله تعالى أنّ ذلك من عزم الأمور. وعامل الظرف محذوف أي خالفوا وتخلّفوا، وقيل ناقضوا، وقيل كرهوا، وقيل هو قَوْله تعالى(فلو صدقوا الله) على طريقة قولك إذا حضرني طعام فلو جئتني لأطمعتك. أي فلو صدقوه تعالى فيما قالوا من الكلام المبنيّ عن الحرص على الجهاد بالجري على موجبه لكان أي الصّدق خيراً لهم. وفيه دلالة على اشتراك الكلّ فيما حكى عنهم من قَوْله تعالى لولا نزلت سورة، وقيل فلو صدقوه في

---

[1] ـ نفس المصدر، ج٤ ص١١٣.

الإيمـان وواطأت قلوبهم في ذلك ألســنتهم وأيّاً ما كان فالمراد بهم (الذين قلوبهم مرض) وهم المخـاطبون بقَوْلـه تعـالى فهـل عســيتم...الخ بطريق الالتفات لتأكيد التوبيخ وتشديد التقريع، أي هل يتوقّع منكم إن تولّيتم أمور النّاس وتأمّرتم عليهم أن تفسدوا في الأرض وتقطّعوا أرحامكم تناحرا على الملك وتهالكا على الدّنيا، فإنّ من شـاهد أحوالكم الدّالة على الضّعف في الـدّين والحرص على الـدّنيـا حين أمرتم بـالجهاد الذي هو عبارة عن إحراز كلّ خير وصلاح ودفع كل شرّ وفساد، وانتم مأمورون شأنكم الطّاعة والقول المعروف، يتوقّع منكم إذا أطلقـت أعنّتكم وصــرتم آمرين مـا ذكر من الإفســاد وقطع الأرحام. وقيل إن أعرضــتم عن الإســلام أنْ ترجعوا إلى ما كنتم عليـه في الجـاهليـة من الإفســاد في الأرض بـالتّغاور والتّناهب، وقطع الأرحـام بمقاتلة بعض الأقارب بعضــا، ووأد البنات. وفيه أنّ الواقع في حيز الشــّرط في مثل هذا المقام لابدّ أنْ تكون محذوريّته باعتبار ما يســتتبعه من المفاسد لا باعتبار ذاته، ولا ريب في أنّ الإعراض عن الإسلام رأس كلّ شرّ وفســاد، فحقّـه أن يجعـل عمدة في التّوبيخ لا وســيلة للتّوبيخ بما دونه من المفاسـد. وقرىء وليتم على البناء للمفعول أي جعلتم ولاة وقرئ تولّيتم أي تولاّكم ولاة جور خرجتم معهم وسـاعدتموهم في الإفسـاد وقطيعة الرحم. وقرىء وتقطّعوا من التّقطع بحذف إحدى التاءين فانتصاب أرحامكم حينئذ على نزع الجارّ أي في أرحامكم وقرىء وتقطعوا من القطع وإلحاق الضـمير بعسى لغة أهل الحجاز.."[1].

---

[1] ـ تفسير أبي السعود ، ج٨ص٩٨ .

(الذين قلوبهم مرض): الذين في قلوبهم ضعف في الدين.

وقيل نفاق وهو الأظهر !!

قال أبو السّعود: "(أم حسب الذين قلوبهم مرض) هم المنافقون الذين فصّلت أحوالهم الشّنيعة وصفوا بوصفهم السّابق لكونه مدارا لما نعى عليهم بقوله تعالى أن لن يخرج الله أضغانهم. فأم منقطعة، وأن مخففة من أنّ، وضمير الشّأن الذي هو اسمها محذوف، ولن بما في حيزها خبرها. والأضغان جمع ضغن وهو الحقد، أي بل أحسب الذين في قلوبهم حقد وعداوة للمؤمنين أنّه لن يخرج الله أحقادهم "[1].

(الذين قلوبهم مرض): هم المنافقون الذين فُصّلت أحوالهم الشّنيعة.

وقال:" (وليقول الذين قلوبهم مرض) شكّ أو نفاق فيكون إخبارا بما سيكون في المدينة بعد الهجرة [!] والكافرون المصرّون على التّكذيب (ماذا أراد الله بِهذا مثلا) أي أيّ شيء أراد بِهذا العدد المستغرب استغراب المثل، وقيل لما استبعدوه حسبوا أنّه مثل مضروب وإفراد قولهم هذا بالتّعليل مع كونه من باب فتنتهم للإشعار باستقلاله في الشّناعة. (كذلك يضلّ الله من يشاء) ذلك، إشارة إلى ما قبله من معنى الإضلال والهداية. ومحلّ الكاف في الأصل النّصب على أنّها صفة لمصدر محذوف، وأصل التقدير يضلّ الله من يشاء ويهدي من يشاء إضلالا وهداية كائنين مثل ما ذكر من الإضلال والهداية، فحذف المصدر وأقيم وصفه مقامه، ثمّ قدّم على الفعل لإفادة القصر، فصار النّظم مثل ذلك الإضلال وتلك الهداية يضلّ الله من يشاء

---

[1] ـ تفسير أبي السعود، ج٨ص١٠٠.

إضـلاله لصرف اختياره إلى جانب الضّلال عند مشاهدته الآيات إلى جانب الهدى لا إضلالا وهداية أدنى منهما "[1].

(الذين قلوبهم مرض): الذين في قلوبهم شكّ أو نفاق.

تارة شـــكّ ونفاق، وتارة شـــكّ أو نفاق، وتارة لا شـــكّ ولا نفاق ولكن ضعف في الدّين، وتارة عبد الله بن أبيّ وأصحابه. !!

ويتلخّص ممّا سبق أنّ الذين في قلوبهم مرض في تفسير أبي السّعود يقصد بها:

(١) عبـد الله بن أبيّ وأضـــرا به الذين كانوا يســـارعون في موادّة اليهود ونصـاري نجران و..و..(٢): الذين في قلوبهم كفر وسـوء عقيدة. (٣) الذين في قلوبهم ضـــعف في الـدين وقيـل نفاق وهو الأظهر !! (٤): هم المنافقون الذين فصّلت أحوالهم الشّنيعة. (٥): الذين في قلوبهم شكّ أو نفاق.

---

[1] ـ نفس المصدر السابق، ج٩ص٦٠.

الفصل التاسع

الذين في قلوبهم مرض
في
نظر متأخري المفسرين

- الآلوسي
- ابن عاشور
- الشنقيطي

(الذين في قلوبهم مرض) في تفسير الآلوسيّ (روح المعاني)

قال الآلوسي:

" في قلوبهمْ مرضٌ فزادهمُ الله مرَضـــاً ولهمْ عـذابٌ أليمٌ بمـا كـانوا يكذبونَ. الْمَرض بفتح الرّاء كما قرأ الجمهور وبسكونها كما قرأ الأصمعيّ عن أبي عمرو، وعلى ما ذهب إليه أهل اللّغة، حالة خارجة عن الطّبع ضـارّة بالفعل. وعند الأطبّاء يقابل الصـّحّة، وهي الحالة التي تصـدر عنها الأفعال سليمة. والمراد من الأفعال ما هو متعارف وهي إمّا طبيعية كالنّموّ أو حيوانيّة كـالنّفس أو نفسـانيـّة كجودة الفكر. فـالحول والحدب مثلا مرض عندهم دون أهل اللّغة. وقد يطلق الْمَرض لـغة علي أثره وهو الألم كما قالـه جمع ممّن يوثق بهم وعلى الظّلمة كما في قوله: **في ليلةٍ مرِضـت مِن كلّ ناحيةٍ* فما يحسّ بِها نجم ولا قمر**. وعلى ضعف القلب وفتوره كما قالـه غير واحد. ويطلق مجازا على ما يعرض المرء ممّا يخلّ بكمال نفسه كالبغضاء، والغفـلة، وسوء العقيدة، والحسـد وغير ذلك من موانع الكمالات المشـابهة لاختلال البدن المانع عن الملاذّ والمؤدّية إلى الهلاك الروحانيّ الذي هو أعظم من الهلاك الجسـمانيّ. والمنقول عن ابن مسـعود وابن عباس ومجاهد وقتادة وسـائر السّلف الصـّالح حمل الْمَرض في الآية على المعنى المجازيّ. ولا شـكّ أنّ قلوب المنـافقين كـانـت ملأى من تلـك الخبـائـث التي منعتهم ممـّا منعتهم وأوصـلتهم إلى الدّرك الأسـفل من النّار، ولا مانع عند بعضـهِم أن يحمل الْمرض أيضـا على حقيقته الذي هو الظّلمة، ومن لم يجعل الله له نورا فما له مِن نورٍ . والـذين كفروا أوليـاؤهم الطـّاغوت يخرجونهم من النّور إلى

الظّلمات. وكذا على الألم فإنّ في قلوبِ أولئك ألما عظيما بواسطة شوكة الإسلام وانتظام أموره غاية الانتظام. فالآية على هذا محتملة للمعنيين، ونصب القرينة المانعة في المجاز إنّما يشترط في تعيينه دون احتماله[!] فإذا تضمّن نكتة ساوى الحقيقة فيمكن الحمل عليهما نظرا إلى الأصالة والنكتة، إلاّ أنّه يرد هنا أنّ الألم مطلقا ليس حقيقة الْمَرض بل حقيقته الألم لسوء المزاج وهو مفقود في المنافِقين. والقول بأنّ حالهم التي هم عليها تفضي إليه في غاية الرّكاكة؛ على أنّ قلوب أولئك لو كانت مريضة لكانت أجسامهم كذلك أو لكان الحمام عاجلهم، ويشهد لذلك الحديث النبويّ والقانون الطّبيّ؛ أمّا الأوّل فلِقولِه إنّ في الجسد مضغة..الحديث. وأمّا الثّاني فلأنّ الحكماء بعد أن بيّنوا تشريح القلبِ قالوا إذا حصلت فيه مادة غليظة فإن تمكّنت منه ومن غلافه أو من أحدهما عاجلت المنيّة صاحبه؛ وإن لم تتمكّن تأخّرت الحياة مدّة يسيرة ولا سبيل إلى بقائها مع مرض القلبِ. فالأولى دراية ورواية حمله على المعْنى المجَازيّ ومنّه الجبن والخور، وقد دخل ذلك قلوب المنافقين حين شاهدوا من رسول الله والمؤمنين ما شاهدوا. والتّنوين للدّلالة علي أنّه نوع غير ما يتعارفه النّاس من الأمراض. ولم يجمع كما جمع القلوب لأنّ تعداد المحالِّ يدلّ على تعداد الحالّ عقْلا فاكتفى بجمعها عن جمعه. والجملة الأولى إمّا مستأنفة لبيان الموجبِ لخداعهم وما هم فيه من النّفاق، أو مقرّرة لما يفيده. وما هم بمؤمنين من استمرار عدمِ إيمانهم أو تعليل له كأنّه قيل ما بالهم لا يؤمنون فقال في قلوبهم مرض يمنعه، أو مقرّرة لعدمِ الشّعور وإن كان سبيل قوله وما يشعرون سبيل الاعتراض على ما قيل. وجملة فزادهم الله مرضا إمّا دعائيّة معترضة

بين المعطوف والمعطوف عليه والمعترضة قد تقترن بالفاء كما في قوله: (وأعلم فعلم المرء ينفعه * أن سوف يأتي كلّ ما قدرا) كما صرح في التّلويح وغيره نقلا عن النّحاةِ، أو إخباريّة معطوفة على الأولى وعطف الماضي على الاسميّة لنكتة أن أريد في الأولى أنّ ذلك لم يزل غضّا طريّا إلى زمن الإخبار. وفي الثّانية أنّ ذلك سبب لازدياد مرضهم المحقّق، إذ لولا تدنّس فطرتهم لازدادوا بما منّ الله تعالى به على المؤمنين شفاء. ولا يتكرّر هذا مع قوله تعالى يمدّهمْ في طغيانهم للفرق بين زيادة الْمرَض وزيادة الطّغيان. علي أنّه لا مانع مِن زيادةِ التّوكيد مع بعد المسافة؛ وأيضا الدّعاء إنْ لم يكن جاريا على لسان العباد أو مرادا به مجرّد السّبّ والتّنقيص يكون إيجابا منه سبحانه، فيؤول إلى ما آل إليه الإخبار. وزيادة الله تعالى مرضهم إمّا بتضعيف حسدهم بزيادة نعمِ الله تعالى على رسوله صلى الله تعالى عليه وسلّم والمؤمنين أو ظلمة قلوبهم بتجدّد كفرهم بما ينزّله سبحانه شيئا فشيئا من الآيات والذّكرِ الحكيمِ. فهم في ظلمات بعضها فوق بعضٍ، أو بتكثير خوفهم ورعبِهم المترتّبِ عليه ترك مجاهرتهم بالكفر بسببِ إمداد الله تعالى الإسلام ورفعِ أعلامه على أعلامِ الإعزاز والاحترامِ، أو بإعظامِ الألمِ بزيادة الغمومِ وإيقاد نيران الهمومِ (والغمّ يخترم النّفوس نحافة * ويشيب ناصية الصّبِيّ ويهرم). ويكون ذلك بتكاليف الله تعالى لهم المتجددة، وفعلهم لها مع كفرهم بها، وبتكليف النّبيّ لهم ببعض الأمور وتخلّفهم عنه الجالبِ لما يكرهونه من لومهِم وسوء الظّنّ بهم، فيغتمّون إن فعلوا وإن تركوا. ونسبة الزيادة إلى الله تعالى حقيقة ولو فسّرت بالطّبعِ فإنّه سبحانه الفاعل الحقيقيّ بالأسبابِ وبغيرها، ولايقبح منه شيء. وبعضهم

جعل الإسناد مجازا في بعض الوجوه ولعلّه نزعة اعتزاليّة. وأغرب بعضهم فقال الإسناد مجازيّ كيفما كان الْمرَض وحمل على أنّ المراد أنّه ليس هنا من يزيدهم مرضا حقيقة على رأي الشّيخ عبد القاهر في أنّه لا يلزم في الإسناد المجازيّ أن يكون للفعل فاعل يكون الإسناد إليه حقيقة مثل (يزيدك وجهه حسنا إذا ما زدته نظرا) فتدبّر. وإنّما عدّى سبحانه الزيادة إليهم لا إلى القلوب فلم يقل فزادها إمّا ارتكابا لحذف المضاف أي فزاد الله قلوبهم مرضا، أو إشارة إلى أنّ مرض القلب مرض لسائر الجسد، أو رمزا إلى أنّ القلب هو النّفس النّاطقة ولولاها ما كان الإنسان إنسانا. وإعادة مرض مُنكّرا لكونه مغايرا للأوّل ضرورة أنّ المزيد يغاير المزيد عليه. وتوهّم من زعم أنّه من وضع المظهر موضع المضمر والتّنكير للتّفخيم"[1].

قلت: قوله (ولا شكّ أنّ قلوب المنافقين كانت ملأى من تلك الخبائث) يدلّ على أنّه يفهم من الذين في قلوبهم مرض المنافقين لا غير.

وقال :" و(الذين قلوبهم مرض) أي الذين لم تطمئن قلوبهم بالإيمان بعد وبقي فيها شبهة. قيل وهم فتية من قريش أسلموا بِمكّة وحبسهم آباؤهم حتى خرجوا معهم إلى بدر؛ منهم قيس بن الوليد بن المغيرة والعاص بن منبه بن الحجّاج، والحرث بن زمعة، وأبو قيس بن الفاكه. فالمرض على هذا مجاز عن الشّبهة. وقيل المراد بهم المنافقون سواء جعل العطف تفسيرا أو فسّر مرض القلوب بالإِحن والعداوات والشّكّ ممّا هو غير النّفاق. والمعنى إذ يقول الجامعون بين النّفاق ومرض القلوب. وقيل يجوز أن يكون

---

[1] ـ تفسيرالآلوسي (روح المعاني)، ج١ ص١٤٨ و ما بعدها .

الموصـول صـفة المنافقين وتوسّطت الواو لتأكيد لصوق الصّفة بالموصوف لأنّ هذه صـفة للمنافقين ولا تنفكّ عنهم أو تكون الواو داخلة بين المفسّر والمفسّر نحو أعجبني زيـد وكرمه. وزعم بعضـهم أنّ ذلك وهم وهو من التّحامل بمكان، إذ لا مانع من ذلك صناعة ولا معنى. والقول بأنّ وجه الوهم فيه أنّ المنافقين جار على موصـوف مقدّر أي القوم المنافقون فلا يوصـف ليس بوجيه إذ للقائل أن يقول إنّه أجري(المنافقون) هُنا مجرى الأسـماء مع أن الصّـفة لا مانع من أن توصـف وقيام العرض بالعرض دون إثبات امتناعه خرط القتاد. ومن فسّر الذين في قلوبهم مرض بأولئك الفئة الذين أسـلموا بِمكّة قال إنّهم لما رأوا قلّة المسـلمين قالوا غرّ هؤلاء يعنون المؤمنين الذين مع رسـول الله صـلّى الله تعالى عليه وسلم دينُهم حتى تعرّضوا لمن لا يدين لهم به فخرجوا وهم ثلاثمائة وبضـعة عشـر إلى زهاء الألف. وعلى احتمال جعله صفة للمنافقين يشعر كلام البعض أنّ القول لَمْ يَكُنْ عند التّلاقي، فقد روي عن الحسـن أنّ هؤلاء المنافقين لم يشهدوا القتال يوم بدر. وأخرج ابن أبي حـاتم عن ابن عبـاس رضـي الله تعـالى عنهمـا أنّـه قـال هم يومئـذ في المسـلمين. وفي القلب من هذا شـيء، فإنّ الذي تشـهد الآثار أنّ أهل بدر كانوا خلاصة المؤمنين "[1].

أقول: لا بأس أن يكون في قلب الآلوسي من هذا وغيره شيء، فإنّ الله تعالى لن يحتجّ على المسـلمين بقلب الآلوسـيّ، والآلوسـيّ ملزم بأن يكون قلبـه على مـا يرتضـيه الدّين الحنيف لا على المزاج؛ فليته بيّن سـبب هذا

---

[1] ـ نفس المصدر السابق، ج١٠ص١٦.

الشـــيء الـذي في قلبـه، لأنّ قولـه (أهـل بـدر كانوا خلاصـــة المؤمنين) منقوض بما ورد في كتب الحديث والسـّيرة حول معتّب بن قشـــير الذي كـانت حاله في النّفاق معلومة فيما بعد، إضـــافة إلى حاطب بن بلتعة الذي شهد عليه عمر بن الخطّاب قبيل فتح مكة بالنّفاق.

وقد جنح الآلوسيّ إلى إيراد إشكالات لغوية، يقول في بعضها " توسّطت الواو لتأكيد لصـوق الصـّفة بالموصـوف لأنّ هذه صـفة للمنافقين ولا تنفكّ عنهم"، وهو حقّا عجيـب من مثلـه. فـإنّ الإلصـــاق إنّمـا يكون بين لاصـــق والملصـق به، وهو قد زعم أنّ مرضـى القلوب هم المنافقون، بلا تغاير!و لا يلصـق الشـيء بنفسـه، لأنّه يلزم منه الوحدة والمغايرة في موضوع واحد في وقـت واحـد. فـإذا كـان الـذين في قلوبهم مرض هم المنافقين فأين الحاجة إلى الإلصاق، وإذا كانت تلك الصفة لاصقةً بهم لا تفارقهم فما الحاجة إلى الإلصاق؟! ومن جهة أخرى فإنّ النّبي(ص) له صفات لا تنفكّ عنه، فلو كان الأمر كما يقول الآلوســـيّ لكان وصـــف النبيّ كذلك أولى، ولكانت هذه الواو ملازمة له حلاّ وترحالا، وليس في القرآن ولا في الحديث شـــيء من ذلك.

أورد الآلوسـيّ بعدها إشـكال بعضٍ لم يسـمّه فقال: (وزعم بعضهم أنّ ذلك وهم، وهو من التّحامل بمكان، إذ لا مانع من ذلك صـــناعة ولا معنى)؛ وردّ على الإشـكال بما لا يرتضـيه هو لنفسـه لو أشـكل به عليه غيره، لأنّ كونـه لا مـانع من ذلك صـــناعة ولا معنى لا يرفعه إلى نفس مســـتوى بيان القرآن الكريم. فإنّ الإعجاز البيانيّ في القرآن الكريم أرقى من أن يستعمل ما لا مانع منه، لأنّ ما لا مانع منه يشـمل الضـّعيف المرجوح، وإنّما يحتجّ

بما لا مانع منه لتقوية كلامِ المخلوقين، وأمّا القرآن الكريم فإنّما يحتجّ ِبه لا له، وإلاّ لزم كون غير القرآن أقوى من القرآن، والنّحاة واللّغويّون يرجعون إلى القرآن الكريمِ بالدّرجة الأولى باعتباره قطعيّ الصّدور وبلسان عربيّ مبين. وغير سديد أن يقدّم مسلم يتمتّع بكامل قواه العقليّة كلام شاعرٍ من الأعرابِ الجاهليّين على كلامِ المولى سبحانه وتعال الذي خلق الإنسان علّمه البيان.

على أنّ الآلوسيّ يورد في تفسيره بخصوص قصّة الغرانيق أقوالاً للكُورانيّ المدنيّ ومن بينها: "وبيانه أنّه إن أراد أنّه يحتمله عند الفرق الأربع المذكورة في الآيات وهم الذين في قلوبهم مرض والقاسية قلوبهم والذين أوتوا العلم والذين آمنوا ممنوع لدلالة قوله تعالى وليعلم.. إلخ على انتفاء الاحتمال عند فريقين من الفرق الأربع بعد النّسخ والإحكام. وإن أراد أنّه يحتمله في الجملة أي عند بعض دون بعض فهو مسلّم وغير مضرّ لعدم إخلاله بالوثوق بالقرآن عند الذين أوتوا العلم والذين آمنوا، وأما إخلاله بالنسبة إلى الفريقين الآخرين فهو مراد الله عزّ وجلّ" . ولا يُعقّب الآلوسيّ على هذا القول الذي فيه تصريح بأنّ الذين في قلوبهم مرض فرقة مستقلّة في قبال الذين آمنوا والقاسية قلوبهم. ولو كانت قضيّة الإلصاق صحيحة، وأنّ الواو جيء بها ــ كما يقول ــ لزيادة إلصاق الصّفة بالموصوف لأنّها لا تنفكّ عنه للزم ذكر عبارة (المنافقون) هنا أيضا. فالآلوسيّ بكلامه هذا نسف قصّة إلصاق الصّفة بالموصوف وتركها قاعا صفصفا.

قال الآلوسيّ: " وأمّا الذين قلوبهم مرض.. الخ ،تفصيل لهذين القسمين. وجعل ذلك الطّيبيّ تفصيلا لمحذوف وبيّنه بما لا يميل القلب إليه. وأيّا ما

كـان فجواب إذا جملـة فمنهم..الخ، وليس هذا وما بعده عطفا عليه، أي فأمّا الذين آمنوا بالله سـبحانه وبما جاء من عنده فزادتهم إيمانا أي تصـديقا لأنّ ذلـك هو المتبـادر من الإيمان كما قرّر في محلّه، وقبول التّصـديق نفسـه الزيادة والنّقص والشـّدّة والضـّعف مما قال به جمع من المحقّقين وبه أقول لظواهر الآيات والأخبار. ولو كشف لي الغطاء ما ازددت يقينا. ومن لم يقبل قبولـه للزّيـادة ولم يـدخـل الأعمـال في الإيمان قال إنّ زيادته بزيادة متعلّقه والمؤمن به، وإليه يشـير كلام ابن عباس رضـي الله تعالى عنهما. قيل ويلزمه أن لايزيد اليوم لإكمال الدّين وعد متجدّد متعلّق وفيه نظر وإن قالـــه من تعقد عليه الخناصـر، وتعتقد بكلامه الضـمائر، ومن لم يقبل وأدخل الأعمال فالزّيادة وكذا مقابلها ظاهرة عنده. وهم يسـتبشرون بنزولها لأنّه سبب لزيادة كمالهم ورفع درجاتهم، بل هو لعمري أجدى من تفاريق العصا. وأمّا الذين في قلوبهم مرض أي نفاق فزادتهم رجسا إلى رجسهم أي نفاقا مضموما إلى نفاقهم. فالزيادة متضـمّنة معنى الضـمّ ولذا عدّيت بإلى وقيل إلى بمعنى مع ولاحاجة إليه. وماتوا وهم كافرون واستحكم ذلك فيهم إلى أن يموتوا عليه ".[1]

يقول الآلوسـيّ: (وجعل ذلك الطّيبيّ تفصيلا لمحذوف وبيّنه بما لا يميل القلب إليه)، ولم يـذكر مـا بيّنـه بـه الطّيبيّ مع أنـّه من الأمـانـة العلميّة أن يـذكره، لأنـّه من حقّ القـارئ أن يعلم ذلـك، وهـذا الحقّ ثـابـت، بـل يعدّ تصرّف الآلوسيّ بهذه الطريقة من قبيل الرّقابة. فهلاّ بسط قول الطّيّبيّ بيْن

---

[1] ـ روح المعاني، ج١١ص٥٠ ـ٥١.

يدي القرّاء وترك لهم الحكم!

وليس يخفى على المتتبّع أنّ الآلوسيّ يعطي لقلبه الحرّيّة التّامّة في الميل وعدم الميل، والقبول وعدم القبول، وكأنه يتجاهل قلوب الآخرين؛ ولا بأس لو كان قلبه قلب معصوم، غير أنّه لا سبيل إلى هناك .فهل يتصوّر الآلوسيّ لقلبه وصاية على قلوب الآخرين؟

قال الآلوسيّ بعد ذلك: " وأيّاً ما كان " ولم يعقّب على القول الذي لا يميل إليه قلبه، وهذا إن لم يكن من التّحكّم، فهو على الأقلّ بعيد من الإنصاف، ودليل ذلك أنّ قلوب الكفّار لا تميل إلى الإسلام، وقلوب النّساء لا تميل إلى تعدّد الزّوجات، فهل يكون ذلك مبرّرا لمواقفهم مصحّحا لما يذهبون إليه؟ نعم، القلب السّليم الذي لا يستهويه المزاج لايميل ولا يستمال لأنّه على هدى من الله تعالى، وذلك للمخلصين من عباد الرحمن. فالآلوسيّ يريد أن يجعل من ميل قلبِه دليلا في مقابلة أدلّة الآخرين، وليس له ذلك، خصوصا أنّه قال فيما بعد " وفيه نظر وإن قاله من تعقد عليه الخناصر وتعتقد بكلامه الضّمائر " وعلى هذا، عملا بحكمِ الأمثال في ما يجوز وما لا يجوز، يكون كلام الآلوسيّ محلّ نظرٍ حتّى لو كان هو الذي تعقد عليه الخناصر وتعتقد بكلامه الضمائر.

الذين في قلوبهم مرض أي نفاق.

قال الآلوسيّ:" ليجعل ما يلقي الشيطان أي الذي يلقيه وقيل إلقاؤه فتنة أي عذابا وفي (البحر)[1] ابتلاء واختبارا للذين في قلوبهم مرض أي شكّ

---

١ – البحر المحيط هو عنوان تفسير أبي حيان.

ونفـاق، وهو المنـاســـب لقولـه تعـالى في المنـافقين في قلوبهم مرض. وتخصـــيص الْمَرض بـالقلـب مؤيّد لـه لعـدمِ إظهار كفرِهم بخلاف الكافرِ المجـاهرِ . والقـاســـية قلوبهم أي الكفّار المجاهرين وقيل المراد من الأوّلين عـامّة الكفار ومن الأخيرين خواصـــّهم كأبي جهلٍ والنّضـــرِ وعتبة. وحمل الأوّلين على الكفّـار مطلقـا والأخيرين على المنـافقين لأنّهم أحقّ بوصـــف القســوة لعدمِ انجلاء صـدإ قلوبِهم بصـقيلِ المخالطة للمؤمنين ليس بشـيء. وإنّ الظـالمين أي الفريقين المذكورين فوضـــع الظاهر موضـــع ضـــميرهم تسـجيلا عليهم بالظّلمِ مع ما وصـفوا به من الْمَرض والقسـوة لفيِ شقاق بعيد أي عداوة شديدة ومخالفة تامّة"[1].

يقول الآلوســـيّ: "وهو المنـاســـب لقوله تعالى في المنافقين في قلوبهم مرض"، والحـال أنّهـا محـلّ نزاع، وليس هناك دليل قطعيّ على ما ذهب إليه المفســّرون قبله، إن هي إلاّ ظنون، وإنّ الظنّ لا يغني من الحقّ شـــيئا؛ لكن حينمـا يتكرّر هـذا الزّعم منـه ينتهي إلى تســـريب الفكرة إلى القارئ تلقينا، حتّى إذا أنســـت به النّفس ركنت إليه وتحوّل إلى مســـلّم به لا يحتاج إلى دليل. وهذا المنحى طالما سـلكه أتباع مدرسة الخلفاء ولا تخفى آثاره على المتتبّعين.

الذين في قلوبهم مرض أي شكّ ونفاق.

قـال الآلوســـيّ:" التزام أحـد الأمرين علي تقـدير صـــحّة الخبر لمكان العصـــمة. والنّكتة في التّعبير كذلك إيهام الذين في قلوبهم مرض والقاســـية

---

[1] ـ روح المعاني، ج١٧ص١٧٤ .

قلوبهم أنّه عليه الصلاة والسلام مدح آلهتهم. ويحصل ذلك مراد الله تعالى المشار إليه بقوله سبحانه ليجعل..الخ. وأمّا عن الرّابع، فبأنّا نختار الشّقّ الثّاني بناء على أنّه استفهام حذف منه الهمزة، أوحكاية بحذف القول. وعلى التّقديرين يكون عليه الصلاة والسلام معتقدا لمعنى مخالف لما اعتقدوه. ولا يلزم منه التّقرير على الباطل لأنّه بيّن بطلان معتقدهم بقوله تعالى بعد إن هي إلاّ أسماء سمّيتموها أنتم وآباؤكم ما أنزل الله بها من سلطان، فإنّ ما لم ينزل الله تعالى به سلطانا لا ترجي شفاعته إذ لا شفاعة إلاّ من بعد إذن إلهيّ لقوله تعالى بعد وكم من ملك في السماوات لا تغني شفاعتهم شيئا إلاّ من بعد أن يأذن الله لمن يشاء ويرضى "[1].

لم يشر الآلوسيّ إلى المقصود من الذين في قلوبهم مرض، لكنّه قال: (أنّه مدح آلهتهم) وهذا لايصلح للمنافقين، لأنّ المنافقين يظهرون الإيمان ويبطنون الكفر، فظاهرهم التّوحيد لا تعدّد الآلهة؛ والذي يتبادر إلى الذّهن عند ذكر الآلهة لا يتعدّى المشركين.

قال الآلوسيّ :" وقَوْله تعالى أفي قلوبهم مرض أم ارتابوا أم يخافون أن يحيف الله عليهم ورسوله ترديد لسبب الإعراض المذكور، فمدار الاستفهام ما يفهم من الكلام كأنّه قيل أسبب إعراضهم عن المحاكمة إليه(ص) أنّهم مرضى القلوب لكفرهم ونفاقهم أم أنّهم ارتابوا وشكّوا في أمر نبوّته عليه الصلاة والسلام مع ظهور حقيقتها أم سببه أنّهم يخافون أن يحيف ويجور الله تعالى شأنه عليهم ورسوله صلى الله تعالى عليه وسلم؟ وهذا نظير قولك

---

[1] - روح المعاني ج١٧ ص١٧٩.

أفيه مرض أم غاب عن البلد أم يخاف من الواشي بعد قول هجر الحبيب مثلا، فإنّ كون المعنى أسبب هجره أنّ فيه مرضا أم سببه أنّه غاب عن البلد أم سببه أنّه يخاف من الواشي ظاهر جدّا، وهو كثير في المحاورات إلا أنّ الاستفهام في الآية إنكاريّ وهو لإنكار السّببية. وقوله تعالى بل أولئك هم الظّالمون تعيين للسّبب بعد إبطال سببيّة جميع ما تقدّم. ففيه تأكيد لما يفيده الاستفهام كأنّه قيل ليس شيء ممّا ذكر سببا لذلك الإعراض. أمّا الأوّلان فلأنّه لو كان شيء منهما سببا له لأعرضوا عن المحاكمة إليه صلى الله تعالى عليه وسلم عند كون الحقّ لهم، ولما أتوا إليه عليه الصلاة والسلام مذعنين لحكمه لتحقّق نفاقهم وارتيابهم حينئذ أيضا. وأمّا الثّالث فلانتفائه رأسا حيث كانوا لا يخافون الحيف أصلا لمعرفتهم بتفاصيل أحواله عليه الصّلاة والسّلام في الأمانة والثّبات على الحقّ، بل سبب ذلك أنّهم هم الظالمون يريدون أن يظلموا من الحقّ له عليهم، ولا يتأتّى مرامهم مع الانقياد إلى المحاكمة إليه عليه الصلاة والسلام فيعرضون عنها لأنّه صلى الله تعالى عليه وسلم يقضي بالحقّ عليهم. فمناط النّفي المستفاد من الاستفهام الإنكاريّ والإضراب الإبطاليّ في الأوّلين هو وصف سببيّتهما للإعراض فقط مع تحقّقهما في نفسهما؛ وفي الثالث هو الأصل والوصف جميعا. وإذا خصّ الارتياب بما له جهة مصحّحة لعروضه لهم في الجملة كما فعل البعض حيث جعل المعنى أم ارتابوا بأن رأوا منه صلى الله تعالى عليه وسلم تهمة فزالت ثقتهم ويقينهم به عليه الصلاة والسلام كان مناط النّفي في الثّاني كما في الثّالث. كذا قرّره بعض الأجلّة. وأم عليه متّصلة. وقد ذهب إلى أنّها كذلك الزّمخشريّ والبيضاويّ حيث جعلا ما تقدّم تقسيما لسبب الإعراض

إلا أنّ الأوّل جعل الإضراب عن الأخيرين من الأمور الثلاثة، ووجّه بأنّه أدلّ علي ما كانوا عليه وأدخل في الإنكار من حيث أنّه يناقض تسرّعهم إليه صلّى الله تعالى عليه وسلّم إذا كان الحقّ لهم على الغير. والثّاني جعله إضرابا عن الأخيرين منهما لتحقيق القسم الأوّل، وقال وجه التّقسيم أنّ امتناعهم عن المحاكمة إليه صلى الله تعالى عليه وسلّم إمّا أن يكون لخلل فيهم أو في الحاكم والثّاني إمّا أن يكون محقّقا أو متوقّعا . وفسّر الارتياب برؤية مثل تهمة تزيل يقينهم. ثمّ قال وكلاهما باطلان فتعيّن الأوّل. أمّا الأوّل فظاهر وأمّا الثّاني فلأنّ منصب النّبوّة وفرط أمانته عليه الصّلاة والسّلام يمنعه وظلمهم يعمّ خلل عقيدتهم وميل نفوسهم إلى الحيف. وقال العلاّمة الطيّبيّ: الحقّ أنّ (بل) إضراب عن نفس التّقسيم وهو إضراب انتقاليّ كأنّه قيل دع التّقسيم فإنّهم هم الكاملون في الظّلم الجامعون لتلك الأوصاف، فلذلك صدّوا عن حكومتك. يدلّ عليه الإتيان باسم الإشارة والخطاب وتعريف الخبر بلام الجنس وتوسيط ضمير الفصل. ونقل عن الإمام ما يدلّ علي أنّ (أم) منقطعة؛ قال أثبتهم على كل واحد من هذه الأوصاف فكان في قلوبهم مرض وهو النّفاق، فكان فيها ارتياب فكانوا يخافون الحيف. ووجه الإضراب أنّ كلاّ مسبّب عن الآخر علم علي وجوده وزيادة. واعترض بأنّه لا يجب التّسبّب إلاّ أن يدّعي في هذه المادّة خصوصا. وصرّح أبو حيّان بأنّها منقطعة، وبأنّ الاستفهام للتّوقيف والتّوبيخ ليقرّوا بأحد هذه الأوجه التي عليهم في الإقرار بها ما عليهم. ويستعمل في الذّمّ والمدح كما في قوله ألست من القوم الذين تعاهدوا على اللّؤم والفحشاء في سالف الدّهر؟ وقوله ألستم خير من ركب المطايا *وأندى العالمين بطونَ راح؟ ولا يخفى أنّ

الأظهر أنّها متّصلة والتّلازم بين الأمور الثلاثة ممنوع؛ على أنّه لا يضرّ وأنّ معنى الآية ما ذكرناه أوّلاً وتقديم عليهم على الرّسول لتأكيد أنّ حكمه عليه الصلاة والسّلام هو حكم الله تعالى ووجه اختلاف أساليب الجمل يظهر بأدنى تأمّل "[1].

قال الآلوسيّ:" و(الذين قلوبهم مرض) ظاهر العطف أنّهم **قوم لم يكونوا** منافقين فقيل هم قوم كان المنافقون يستميلونهم بإدخال الشبهة عليهم. وقيل قوم كانوا ضعفاء الاعتقاد لقرب عهدهم بالإسلام. وجوّز أن يكون المراد بهم المنافقين أنفسهم والعطف لتغاير الوصف كقوله إلى الملك القرم وابن الهمام"[2].

وهذا الكلام من الآلوسيّ محلّ نظر، فإنّ قوله " قوم لم يكونوا منافقين" يُلقي ظلالاً من الشّكّ على عباراته السابقة، إذ أنّه دافع فيها جميعا عن ثبوت عنوان النّفاق للذين في قلوبهم مرض. ثمّ إنّه أورد أقوالاً ثلاثة بالبناء للمجهول، ولا ريب أنّ مجهول القائل ضعيف لا يُحتجّ به. ووُرُود ثلاثة احتمالات يقطع الطّريق على الآلوسيّ فلا يسوغ له بعد ذلك أن يعتبر(الذين في قلوبهم مرض) المنافقين وأن يرسل ذ لك إرسال المسلّمات. وفي قوله"والعطف لتغاير الوصف" مغالطة لا تنطلي على الحصيف، لأنّ الحديث عن الموصوف لا عن الوصف؛ لأنّ المنافقين مصطلح قرآنيّ معلوم لايدفعه أحد، وكذلك الشّأن بالنّسبة لأهل الكتاب والذين كفروا والذين آمنوا. ولو صحّ ما يذهب إليه الآلوسيّ من تصرّف في السّياق لجاز

---

[1]- روح المعاني، ج١٨ص١٩٦-١٩٧.

[2]- روح المعاني، ج٢١ص١٥٨.

أن يكون العطف لتغاير الوصف في قوله تعالى (إنّ الذين آمنوا والذين هادوا والنصارى والصّابين...) فيكون الذين آمنوا هم اليهود وهم النصارى وهم الصابين..!

على أنّ العطف في ما استشهد به من الشّعر لا يقوّي حجّته، فإنّ ابن الهمام معطوف على القرم، وقد جنح إليه الشاعر ضرورة كي لايقع اختلال في الوزن، والبيت من المتقارب، ولا يستشهد بموضع الضّرورة، إذ ضرورة الشّعر هي عين تجاوز قواعد اللّغة للمحافظة على الوزن. والقرآن الكريم يراعي قواعد اللّغة على أعلى وأكمل مستوى.

قال الآلوسيّ:" لئن لم ينته المنافقون عمّا هم عليه من النّفاق وأحكامه الموجبة للايذاء، والذين في قلوبهم مرض وهم قوم كان فيهم ضعف إيمان وقلّة ثبات عليه، عمّا هم عليه من التّزلزل وما يستتبعه ممّا لا خير فيه، والمرجفون في المدينة من اليهود المجاورين لها عمّا هم عليه من نشر أخبار السّوء عن سرايا المسلمين وغير ذلك من الأراجيف الملفّقة المستتبعة للأذيّة، وأصل الإرجاف التّحريك من الرّجفة التي هي الزّلزلة وصفت به الأخبار الكاذبة لكونها في نفسها متزلزلة غير ثابتة أو لتزلزل قلوب المؤمنين واضطرابها منها. والتّغاير بين المتعاطفات على ما ذكرنا بالذّات، وهو الذي يقتضيه ظاهر العطف. وأخرج ابن المنذر وغيره عن مالك بن دينار قال سألت عكرِمة عن الذين في قلوبهم مرض فقال هم أصحاب الفواحش. وعن عطاء أنّه فسّرهم بذلك أيضا. وفي رواية أخري عنه أنّه قال: هم قوم مؤمنون كان في أنفسهم أنْ يزنوا فالْمَرض حبّ الزنى. وإذا فسّر المرجفون على ذلك بما سمعت يكون التّغاير بين المتعاطفات بالذّات أيضا. وأخرج

ابن سعد عن محمّد بن كعب أنّ الذين في قلوبهم مرض هم المنافقون، وهو المعروف في وصفهم. وأخرج هو أيضا عن عبيد بن حنين أنّ الذين في قلوبهم مرض والمرجفون جميعا هم المنافقون؛ فيكون العطف مع الاتّحاد بالذّات لتغاير الصّفات علي حدّ هو الملك القرم وابن الهمام. فكأنّه قيل لئن لم ينته الجامعون"[1].

وقد فرّق الآلوسيّ ههنا بين المنافقين والذين في قلوبهم مرض فقال عن الذين في قلوبهم مرض أنّهم قوم كان فيهم ضعف إيمان وقلّة ثبات عليه... لكنّه أضاف إلى ذلك أقوالاً تُبطله أو على أقلّ تقدير تُخالفه بما يُضعف ما يذهب إليه، وإن كان يريد من ورائه توحيد المنافقين والذين في قلوبهم مرض.

قال الآلوسيّ:" أخرج ابن أبي حاتم عنّه أنّه قال فيها: كان النّفاق على ثلاثة أوجه، نفاق مثل نفاق عبد الله بن سلول ونظائره، كانوا وجوها من وجوه الأنصار فكانوا يستحيون أن يأتوا الزّنا، يصونون بذلك نفسهم؛ وهم المنافقون في الآية. ونفاق الذين في قلوبهم مرض وهم منافقون إن تيسّر لهم الزّنا عملوه وإن لم يتيسّر لم يتبعوه ويهتمّوا بأمره. ونفاق المرجفين وهم منافقون يكابرون النّساء يقتصّون أثرهنّ فيغلبوهنّ على أنفسهنّ فيفجرون بهنّ، وهؤلاء الذين يكابرون النّساء لنغرينّك بهم يقول سبحانه لنعلمنّك بهم. ثمّ قال تعالى ملعونين ثمّ فصّلت الآية أينما ثقفوا يعملون هذا العمل مكابرة النّساء أخذوا وقتلوا تقتيلا. قال السّديّ هذا حكم في القرآن ليس

---

[1] - روح المعاني، ج٢٢ ص٩٠.

يعمل به. لو أنّ رجلا وما فوقه اقتصّوا أثر امرأة فغلبوها على نفسها ففجروا بها كان الحكم فيها غير الجلد والرّجم وهو أن يؤخذوا فتضرب أعناقهم. سنّة الله في الذين خلوا من قبل كذلك كان يفعل بمن مضى من الأمم ولن تجد لسنّة الله تبديلا. فمن كابر امرأة على نفسها فغلبها فقتل فليس على قاتله دية لأنّه يكابر (انتهى كلام السّدّيّ). والظاهر أنّه قد وقع الانتهاء من المنافقين والذين في قلوبهم مرض عمّا هو المقصود بالنّهْي وهو ما يستتبعه حالهم من الإيذاء ولم يقع من المرجفين أعني اليهود فوقع القتال والإجلاء لهم"[1].

والمعنى الذي يذهب إليه الآلوسيّ هو أنّ النّفاق ثلاثة أقسام، ولم يُشر المتقدّمون إلى شيء بهذا المعنى، لأنّ النّفاق عندهم يتعلّق بالاعتقاد، فالرّجل الذي يُبطن الكُفْرَ ويظهر الإيمان هو المنافق، وأمّا الزّنا فقضيّة أخلاقية؛ وقد وقع الزّنا في زمن النّبي(ص) وأقيمت الحدود على مرتكبيه، ولم يقل عنهم إنّهم منافقون، والذي عليه جمهور المسلمين أنّ المعصية لا تخرج من الإيمان، وقد ثبتت في كتب الحديث والفقه والأصول الصلاة على أموات أقيمَ عليهم حدُّ الرّجْم في زمن النبي(ص) ، وأُثرت عبارات من بينها " لقد تابت توبة لو قُسمتْ على أهل المدينة لوَسعتْهم".

قال الآلوسيّ في تفسيره :" رأيت الذين في قلوبهم مرض أي نفاق وقيل ضعف في الدّين ينظرون إليك نظر المغشيّ عليه من الموت، أي نظر المحتضر الذي لا يطرف بصره. والمراد تشخص أبصارهم جبنا وهلعا، وقيل يفعلون ذلك من شدّة العداوة له عليه الصّلاة والسّلام، وقيل من خشية

---

[1] - روح المعاني، ج٢٢ ص٩١ - ٩٢.

الفضيحة فإنّهم إن تخلّوا عن القتال افتضحوا وبان نفاقهم. وقال الزّمخشريّ كانوا يدّعون الحرص على الجهاد ويتمنّونه بألسنتهم ويقولون لولا أنزلت سورة في معنى الجهاد، فإذا أنزلت وأمر فيها بما تمنّوا وحرصوا عليه كاعوا وشقّ عليهم وسقط في أيديهم، كقوله تعالى فلما كتب عليهم القتال إذا فريق منهم يخشون النّاس. والظّاهر ما ذكرناه أوّلاً من أنّ القائلين هم الذين أخلصوا في إيمانهم وإنّما عرا المنافقين ما عرا عند نزول أمر المؤمنين بالجهاد لدخولهم فيهم بحسب ظاهر حالهم. وقد جوّز هو أيضا إرادة الخلّص من الذين آمنوا لكن كلامه ظاهر في ترجّح ما ذكره أوّلا عنده. والظّاهر أنّ في الكلام عليه إقامة الظاهر مقام المضمر. وجوّز أن يكون المطلوب في قوله تعالى لولا أنزلت سورة إنزال سورة مطلقا حيث كانوا يستأنسون بالوحي ويستوحشون إذا أبطأ. وروي نحوه عن ابن جريج؛ أخرج ابن المنذر عنه أنّه قال في الآية: كان المؤمنون يشتاقون إلى كتاب الله تعالى وإلى بيان ما ينزل عليهم فيه، فإذا نزلت السّورة يذكر فيها القتال رأيت يا محمّد المنافقين ينظرون إليك الخ.. فأوْلى لهم"[1].

يقول الآلوسيّ " نفاق وقيل ضعف دين "، والفرق بينهما كبير؛ فإنّ المنافق لا دين له وإن كان في الظّاهر معدودا من المسلمين، وقد أخبر القرآن الكريم أنّ المنافقين في الدّرك الأسفل من النّار. لكنّه[2] في الأخير رجّح المنافقين " رأيت يا محمد المنافقين ينظرون إليك" مع أنّ الآية تقول صريحاً (رأيت الذين في قلوبهم مرض)، ومن عادة القرآن الكريم

---

[1] - روح المعاني، ج٢٦ ص٦٧.

[2] - الضمير يعود على الآلوسي.

الدّقة في التّعبير؛ وقد ذكر المنافقين في مواضع كثيرة ولا مانع من ذلك هُنا إن كانوا هم المقصودين، فلماذا يجنح إلى التّعبير بمفردة لا تدلّ بشكل قطعيّ على المنافقين؟ وللتّذكير فإنّ عبارة الذين في قلوبهم مرض ذكرت في مكّة في بداية الدّعوة، وهو ما يقدح في الاستشهاد بها بمعنى المنافقين إذ لا نفاق في مكّة.

قال :"وأيّاً ما كان، فالمراد فلو صدقوا الله فيما زعموا من الحرص على الجهاد ولعلّهم أظهروا الحرص عليه كالمؤمنين الصّادقين. وقيل في قولهم طاعة وقول معروف. وقيل في إيمانهم. لكان أي الصّدق خيرا لهم ممّا ارتكبوه، وهذا مبنيّ على ما في زعمهم من أنّ فيه خيرا وإلاّ فهو في نفس الأمر لا خير فيه. فهل عسيتم خطاب لأولئك (الذين قلوبهم مرض) بطريق الالتفات لتأكيد التّوبيخ وتشديد التّقريع. وهل للاستفهام والأصل فيه أن يدخل الخبر للسّؤال عن مضمونه والإنشاء الموضوع له عسى ما دلّ عليه بالخبر، أي فهل يتوقّع منكم ويُنتظر إن تولّيتم أمور الناس وتأمّرتم عليهم فهو من الولاية والمفعول به محذوف. وروي ذلك عن محمّد بن كعب وأبي العالية والكلبيّ. أن تفسدوا في الأرض وتقطّعوا أرحامكم تناحرا على الولاية، وتكالبا على جيفة الدّنيا. والمتوقّع كلّ من يقف على حالهم إلا الله عز وجلّ إذ لا يصحّ منه سبحانه ذلك. والاستفهام أيضا بالنّسبة إلى غيره جلّ وعلا. فالمعنى أنّكم لما عهد منكم من الأحوال الدّالّة على الحرص على الدّنيا حيث أمرتهم بالجهاد الذي هو وسيلة إلى ثواب الله تعالى العظيم فكرهتموه، وظهر عليكم ما ظهر أحقّاء بأن يقول لكم كلّ من ذاقكم

وعرف حالكم ياهؤلاء ما ترون هل يتوقّع منكم إنْ تولّيتم أن[1]تفسدوا في الأرض "[2].

لم يفسّر الآلوسيّ هنا المقصود بالذين في قلوبهم مرض بالمعنى المعهود لديه، لكنّه ذكر أوصافهم، فهم أهل تناحر على الولاية[3] وتكالب على جيفة الدّنيا وأحوالهم دالّة على الحرص على الدّنيا وكرْه الجهاد.

قال الآلوسيّ :" أم حسب الذين في قلوبهم مرض هم المنافقون الذين فصّلت أحوالهم الشنيعة وصفوا بوصفهم السّابق لكونه مدارا لما نعي عليهم بقوله تعالى أن لن يخرج الله أضغانهم. فأم منقطعة وأن مخفّفة من أنّ واسمها ضمير الشّأن، والجملة بعدها خبرها والأضغان جمع ضغن وهو الحقد، وقيّده الرّاغب بالشّديد. وقد ضغن بالكسر وتضاغن القوم واضطغنوا أبطنوا الأحقاد. ويقال أضطغنت الصبيّ إذا أخذته تحت حضنك "[4].

إذا، يكون الذين في قلوبهم مرض"هم المنافقون الذين فصّلت أحوالهم الشّنيعة وصفوا بوصفهم السّابق".

قال الآلوسيّ :" وحمل الذين أوتوا الكتاب على أهل الكتابين ممّا ذهب إليه جمع. وقيل المراد بهم اليهود، فقد أخرج ابن أبي حاتم وابن مردويه والبيهقيّ في البعث عن البراء أنّ رهطا من اليهود سألوا رجلا من أصحاب النّبيّ صلى الله تعالى عليه وسلم عن خزنة جهنّم فقال: الله تعالى ورسوله

---

١ - الصواب: هل يتوقّع منكم سوى أن تفسدوا في الأرض .

٢ - روح المعاني، ج٢٦ ص٦٨ .

٣ - بناء على هذا القول لا يبعد أن يكون التناحر الذي جرى يوم السقيفة من مصاديق ذلك .

٤ - روح المعاني ج٢٦ ص٧٦.

أعلم. فجاء فأخبر النّبيّ صلّى الله تعالى عليه وسلم فنزل عليه ساعتئذ عليها تسعة عشر. وأخرج الترمذيّ وابن مردويه عن جابر قال: قال ناس من اليهود لأناسٍ من أصحاب النّبيّ صلى الله تعالى عليه وسلم هل يعلم نبيّكم عدد خزنة جهنّم؟ فأخبروا رسول الله صلى الله تعالى عليه وسلم فقال هكذا وهكذا في مرّة عشرة وفي مرّة تسعة. واستشعر من هذا أنّ الآية مدنيّة لأنّ اليَهُود إنّما كانوا فيها وهو استشعار ضعيف لأنّ السؤال لصحابيّ فلعلّه كان مسافراً فاحتجّ بيهوديّ حيث كان، وأيضا لا مانع إذ ذاك من إتيان اليهود نحو مكّة المكرّمة. ثمّ إنّ الخبرين لا يعينان حمل الموصوف على اليهود كما لا يخفى، فالأولى إبقاء التعريف على الجنس وشمول الموصوف للفريقين. أي ليستيقن أهل الكتاب من اليهود والنّصارى، ويزداد الذين آمنوا إيمانا أي يزداد إيمانهم كيفيّة بما رأوا من تسليمهم أهل الكتاب وتصديقهم أنّه كذلك، أو كمّيّة بانضمام إيمانهم بذلك إلى إيمانهم بسائر ما أنزل. ولا يرتاب الذين أوتوا الكتاب والمؤمنون تأكيد لما قبله من الاستيقان وازدياد الإيمان ونفي لما قد يعتل أي المستيقن من شبهة ما للغفلة عن بعض المقدّمات أوطريان ما توّهم كونه معارضا في أوّل وهلة، ولما فيه من هذه الزّيادة جاز عطفه على المؤكّد بالواو لتغايرهما في الجملة. وإنّما لم ينظم المؤمن ونفى سلك أهل الكتاب في نفي الارتياب حيث لم يقل ولا يرتابوا للتّنبيه على تباين النّفيين حالا، فإنّ انتفاء الارتياب من أهل الكتاب مقارن لما ينافيه من الجحود، ومن المؤمنين مقارن لما يقتضيه من الإيمان وكم بينهما. وقيل إنّما لم يقل ولا يرتابوا بل قيل ولا يرتاب الخ للتّنصيص على تأكيد الأمْرين لاحتمال عود الضمير في ذلك على المؤمنين فقط،

والتعبير عن المؤمنين باسم الفاعل بعد ذكرهم بالموصول والصّلة الفعليّة المنبئة عن الحدوث للإيذان بثباتهم على الإيمان بعد ازديادهم ورسوخهم في ذلك. وليقول الذين في قلوبهم مرض أي شكّ أو نفاق فيكون بناء على أنّ السّورة بتمامها مكّيّة، والنّفاق إنّما حدث بالمدينة إخبارا عمّا سيحدث من المغيّبات بعد الهجرة، والكافرون المصرّون على التّكذيب، ماذا أراد الله بِهذا مثلا أي شيء أراد تعالى أو ما الذي أراده الله تعالى بِهذا العدد المستغرب استغراب المثل.."[1].

مرّة يقول الآلوسيّ: "واستشعر من هذا أنّ الآية مدنيّة لأنّ اليهود إنّما كانوا فيها وهو استشعار ضعيف لأنّ السؤال لصحابيّ فلعلّه كان مسافرا فاحتجّ بيهوديّ حيث كان؛ وأيضا لا مانع إذ ذاك من إتيان اليهود نحو مكّة المكرّمة".

ومرّة أخرى يقول:" وليقول الذين في قلوبهم مرض أي شكّ أو نفاق، فيكون بناء على أنّ السّورة بتمامها مكّيّة والنّفاق إنّما حدث بالمدينة إخبارا عمّا سيحدث من المغيّبات بعد الهجرة ". ولا يخفى ما بين القولين من الاضطراب، فكان من المفروض ألاّ يأتي الآلوسيّ بما جاء به من قوله " إخبارا عما سيحدث من المغيبات بعد الهجرة " بعد أن حكم هو نفسه على الاستشعار بالضّعف، إضافة إلى أنّ حمل ذلك على ما يحدث في المدينة يحتاج إلى قرينة، وما من قرينة في نفس العبارة، فلماذا جاء الآلوسيّ بهذا القول بعد أن اعتبره ضعيفا ؟

---

[1]- روح المعاني ج٢٩ص١٢٧.

ويبقى القارئ في حيرة لأنّه لا يرى للآلوسيّ بتّا في المسألة، وربّما توهّم أنّه يتبنّى الرأي الثّاني لقوله " فيكون بناء على أنّ السّورة بتمامها مكّيّة". ومعنى ذلك أنّه سواء كانت السّورة مكّيّة أم مدنيّة فإنّ (الذين فِي قلوبهم مرض) لا تعدو المنافقين. وهو تهافت عجيب من مثل الآلوسيّ، لكنّه ليس أوّل متهافت في القضيّة ومتعلّقُها على درجة من الخطورة، فلا بأس بالمناورة من باب ما لايتمّ الواجب إلاّ به فهو واجب، وقد أوجب مفسّرو الجمهور على أنفسهم وأتْباعهم الدّفاع عن عدالة جميع الصّحابة برّهم وفاجرهم، ولا يتمّ تصحيح ذلك وتصويبه إلاّ بدفع وإبطال كل ما من شأنه أن يشكّك فيه ويجعله محلّ نظر ولو كان في القرآن الكريم!

تبيّن ممّا سبق أن عبارة الذين في قلوبهم مرض عند الآلوسيّ يُراد بها:

(١) المنافقون (باعتبار قوله ولا شكّ أنّ قلوب المنافقين كانت ملأى من تلك الخبائث) فإنّه يدلّ على أنّه يفهم من الذين في قلوبهم مرض المنافقين لا غير.(٢) الذين لم تطمئنّ قلوبهم بالإيمان بعد وبقي فيها شبهة.(٣) هم فتية من قريش أسلموا بِمكّة وحبسهم آباؤهم حتّى خرجوا معهم إلى بدر منهم قيس بن الوليد بن المغيرة والعاص بن منبه بن الحجاج والحرث بن زمعة وأبو قيس بن الفاكه. (٤) المراد بهم المنافقون سواء جعل العطف تفسيراً أو فسّر مرض القلوب بالإحن والعداوات والشّكّ مما هو غير النّفاق. (٥) الجامعون بين النّفاق ومرض القلوب وقيل يجوز أن يكون الموصول صفة المنافقين. (٦) روي عن الحسن أنّ هؤلاء المنافقين لم يشهدوا القتال يوم بدر. (٧) وأمّا الذين في قلوبهم مرض أي نفاق. (٨) الذين في قلوبهم مرض أي نفاق. (٩) الذين في قلوبهم مرض أي شك ونفاق. (١٠) قيل المراد من

الأوّلين (الذين في قلوبهم مرض) عامّة الكفّار. (١١) ظاهر العطف أنّهم قوم لم يكونوا منافقين. (١٢) هم قوم كان المنافقون يستميلونهم بإدخال الشّبهة عليهم. (١٣) قيل قوم كانوا ضعفاء الاعتقاد لقرب عهدهم بالإسلام. (١٤) هم قوم كان فيهم ضعف إيمان وقلّة ثبات عليه. (١٥) هم أصحاب الفواحش. (١٦) هم قوم مؤمنون كان في أنفسهم أن يزنوا فالْمَرض حبّ الزنى. (١٧) الذين في قلوبهم مرض هم المنافقون وهو المعروف في وصفهم. (١٨) الذين في قلوبهم مرض والمرجفون جميعا هم المنافقون. (١٩) هم منافقون إن تيسّر لهم الزّنا عملوه وإن لم يتيسر لم يتبعوه ويهتمّوا بأمره. (٢٠) في قلوبهم مرض أي نفاق وقيل ضعف في الدّين.

الذين فِي قلوبهم مرض في كتاب " التّحرير و التّنوير

قال ابن عاشور في تفسير الآية من سورة البقرة[1]:

والمراد بالمرض في هاته الآية هو معناه المجازيّ لا محالة، لأنّه هو الذي اتّصف به المنافقون وهو المقصود من مذمّتهم وبيان منشإ مساوي أعمالهم.

ومعنى(فزادهم الله مرضاً) أنّ تلك الأخلاق الذّميمة النّاشئة عن النّفاق والملازمة له كانت تتزايد فيهم بتزايد الأيّام، لأنّ من شأن الأخلاق إذا تمكّنت أن تتزايد بتزايد الأيّام حتى تصير ملكات.

وقال في تفسير الآية من سورة المائدة [2]: وقوله:(فترى الذين في قلوبهم مرض يسارعون فيهم) تفريع لحالة من موالاتهم أريد وصفها للنّبيّ(ص) لأنّها وقعت في حضرته. والمرض هنا أطلق على النّفاق كما تقدّم في قوله تعالى(في قلوبهم مرض) في سورة البقرة(١٠). أطلق عليه مرض لأنّه كفر مفسد للإيمان، والمسارعة تقدّم شرحها في قوله تعالى(لايحزنك الذين يسارعون في الكفر) (المائدة٤١).....

قال: ويحتمل أن يكون قولهم:(نخشى أن تصيبنا دائرة) قولا نفسيّا، أيي يقولون في أنفسهم. فالدّائرة المخشيّة هي خشية انتقاض المسلمين على المنافقين، فيكون هذا القول من المرض الّذي في قلوبهم، وعن السّديّ: أنّه لمّا وقع انهزام يوم أحد فزع المسلمون وقال بعضهم: نأخذ من اليهود حلفا

---

[1] ـ التحرير والتنوير، محمد الطاهر بن عاشور، ج١ص٢٧٥.

[2] ـ نفس المصدر، ج٥ ص١٣١ ـ ١٣٢.

ليعاضدونا إن ألمّت بنا قاصمة من قريش. وقال رجل: إنّي ذاهب إلي اليهوديّ فلان فآوي إليه وأتهوّد معه. وقال آخر: إنّي ذاهب إلى فلان النّصرانيّ بالشّام فآوي إليه وأتنصّر معه، فنزلت الآية. فيكون المرض هنا ضعف الإيمان وقلّة الثّقة بنصر الله، وعلى هذا فهذه الآية تقدّم نزولها قبل نزول هذه السّورة، فإمّا أعيد نزولها، وإمّا أمر بوضعها في هذا الموضع.

وقال في تفسير الآية من سورة الأنفال[1]: و(القول) هنا مستعمل في حقيقته ومجازه الشّامل لحديث النّفس، لأنّ المنافقين يقولون ذلك بألسنتهم، وأمّا الذين في قلوبهم مرض وهم طائفة غير المنافقين[2]، بل هم من لم يتمكّن الإيمان من قلوبهم، فيقولونه في أنفسهم لما لهم من الشّكّ في صدق وعد النّبيّ(ص) لأنّهم غير موالين للمنافقين ويجوز أن يتحدّثوا به في جماعتهم. و(المرض) هنا مجاز في اختلال الاعتقاد، شبّه بالمرض بوجه سوء عاقبته عليهم. وقد تقدّم في قوله تعالى(في قلوبهم مرض) في أول البقرة[١٠].

قال ابن عاشور:" فالقسم الأوّل المؤمنون زادتهم إيمانا وأكسبتهم بشرى فحصل من السّورة لهم نفعان عظيمان، والقسم الثّاني الذين في قلوبهم مرض زادتهم رجسا إلى رجسهم وماتوا وهم كافرون"[3].

وقال ــ في تفسير الآية من سورة الحجّ ــ: "و(الذين في قلوبهم مرض) هم المتردّدون في قبول الإيمان. و(القاسية قلوبهم) هم الكافرون

---

١ – نفس المصدر السابق، ج٩ ص١٢٩.

٢ – هذا اعتراف صريح منه بأنّ المنافقين شيء والذين في قلوبهم شيء آخر، وحدّدهم بقوله **بَلْ هُمْ مَنْ لَمْ يَتَمَكَّن الإيمانُ من قلوبهم**، لكنّه لن يثبت عليه كما سترى لاحقاً.

٣ – التحرير والتنوير، ج١٠ص٢٣٣.

المصـمّمون على الكُفر. والفريقان هم المراد بـــ(الظّالمين) في قوله (وإنّ الظّالمين لفي شقاق بعيد)"[1].

قال ابن عاشـور في تفسـير الآية من سـورة النّور: "والقلوب: العقول. والمرض مسـتعار للفسـاد أو للكفر قال تعالى:(في قلوبهم مرض فزادهم الله مرضـا) (البقرة ١٠) أو للنّفـاق. وأتى في جـانـب هـذا الاسـتفهام بالجملة الاسميّة للدّلالة على ثبات المرض في قلوبهم وتأصّله فيها بحيث لم يدخل الإيمان في قلوبهم. والارتياب: الشّكّ. والمراد ارتابوا في حقّيّة الإسلام، أي حدث لهم ارتياب بعد أن آمنوا إيمانا غير راسخ "[2].

قال ابن عاشـور في تفسـير قوله تعالى(إذ يقول المنافقون..) من سـورة الأحزاب: وقول المنـافقين هذا يحتمل أن يكونوا قالوه علنا بين المسـلمين قصدوا به إدخال الشّكّ في قلوب المؤمنين لعلّهم يردّونهم عن دينهم... إلى أن قـال : و(الـذين في قلوبهم مرض) هم الـذين كانوا متردّدين بين الإيمان والكفر فأخلصوا يومئذ النّفاق وصمّموا عليه".

قال:" والمرض حقيقته اختلال نظام المزاج البدنيّ من ضعف القوّة، وهو هنا مسـتعار لاختلال الوازع الدّينيّ مثل المنافقين ومن كان في أوّل الإيمان من الأعراب ممّن لم ترسخ فيهم أخلاق الإسلام، وكذلك من تخلّقوا بسوء الظّنّ فيرمون المحصـنـات الغـافلات المؤمنات، وقضـيّة إفك المنافقين على

---

١ – نفس المصدر السابق، ج١٧ص٢١٨.

٢ – نفس المصدر، ج١٨ ص٢١٧.

عائشـــة رضي الله عنها شـــاهد لذلك. وتقدّم في قوله تعالى﴿في قلوبهم مرض﴾ [البقرة ١٠]"[١].

قـال:" فـالمرجفون قوم يتلقّون الأخبـار فيحـدّثون بهـا في مجالسَ وَنَوَاد ويخبرون بها من يســأل ومن لا يســأل. ومعنى الإرجاف هنا: أنّهم يرجفون بمـا يؤذي النّبيّ(ص) ، والمســلمين والمســلمات، ويتحدّثون عن ســرايا المســلمين فيقولون: هزموا أو أســرع فيهم القتل أو نحو ذلك لإيقاع الشّكّ في نفوس النّاس والخوف وســوء ظنّ بعضــهم ببعض. وهم من المنافقين والـذين في قلوبهم مرض وأتبـاعهم وهم الذين قال الله فيهم (وإذا جاءهم أمر من الأمن أو الخوف أذاعوا به) [النسـاء ٨٣]. فهذه الأوصـاف لأصـناف من النّاس. وكان أكثر المرجفين من اليهود وليســوا من المؤمنين لأنّ قوله عقبه (لنغرينّك بِهِم) لا يساعد أنّ فيهم مؤمنين"[٢].

قـال ابن عـاشـــور: "و(الـذين في قلوبهم مرض) هم المبطنون للكفر[٣] فجعـل الكفر الخفيّ كـالمرض الـذي مقرّه القلـب لا يبدو منه شـــيء على ظاهر الجســد، أي رأيت المنافقين على طريق الاســتعارة. وقد غلب إطلاق هذه الصّلة على المنافقين، وأنّ النّفاق مرض نفسـانيّ معضل لأنّه يتفرّع منه فروع بيّنّاها في قوله تعالى(فِي قلوبهم مرض) في سورة البقرة [١٠] "[٤].

---

١ – نفس المصدر السابق، ج٢١ ص٢٤١.

٢ – نفس المصدر، ج٢١ ص٣٣٠.

٣ – أليس قـد قـال في تفســير الآية من ســورة الأنفال:هم طائفة غير المنافقين؟! وهو الآن يقول هم المُبطنون للكُفر، ويؤكّد بقوله وقد غلب إطلاق هذه الصّلة على المنافقين.

٤ – نفس المصدر السابق، ج٢٦ ص٩١.

قال ابن عاشور في تفسير قوله تعالى (أَمْ حَسِبَ الذينَ فِي قُلُوبِهِمْ مَرَضٌ أَن لّن يخرج الله أضغانهم):" انتقال من التّهديد والوعيد إلى الإنذار بأنّ الله مطلع رسوله(ص) على ما يضمره المنافقون من الكفر والمكر والكيد، ليعلموا أنّ أسرارهم غير خافية فيوقنوا أنّهم يكدّون عقولهم في ترتيب المكائد بلا طائل وذلك خيبة لآمالهم"[1].

قال ابن عاشور في تفسير الآية من سورة المدثر(وَليقول الذين في قلوبهم مرض والْكافرون ماذا أراد الله بِهذا مثلا كذلك يضلّ الله من يشاء ويهدي من يشاء وما يعلم جنود ربّك إلاّ هو وما هي إلاّ ذكرى للبشر): "أي ليقولوا هذا القول إعرابا عمّا في نفوسهم من الطّعن في القرآن غير عالمين بتصديق الذين أوتوا الكتاب. واللاّم لام العاقبة مثل التي في قوله تعالى(فالتقطه آل فرعون ليكون لهم عدوّا وحزنا) [القصص٨]. والمرض في القلوب: هو سوء النيّة في القرآن والرسول(ص) ، وهؤلاء هم الذين لم يزالوا في تردّد بين أن يسلموا وأن يبقوا على الشّرك مثل الأخنس بن شريق والوليد بن المغيرة، وليس المراد بالذين في قلوبهم مرض " المنافقين " لأنّ المنافقين ما ظهروا إلاّ في المدينة بعد الهجرة والآية مكّيّة"[2].

يقول ابن عاشور في تفسير المرض في سورة البقرة "والمراد بالمرض في هاته الآية هو معناه المجازيّ لا محالة، لأنّه هو الذي اتّصف به المنافقون"وعليه يكون الذين في قلوبهم مرض ـ هم ـ المنافقين، لكنّه يغيّر رأيه فيما بعد ويقول "هم طائفة غير المنافقين"، ثُمّ يعود ثانية فيقول"وقد

---

[1] – نفس المصدر، ج٢٦ ص١٠١.

[2] – نفس المصدر، ج٢٩ ص٢٩٤.

غلب إطلاق هذه الصّلة[1] على المنافقين"، ثمّ يعود بعدها فيقول: "وليس المراد بالذين في قلوبهم مرض (المنافقون) ، لأنّ المنافقين ما ظهروا إلاّ في المدينة بعد الهجرة والآية مكّيّة "! أربعة أقوال يضرب بعضها بعضا، فسبحان مقلّب الأحوال!

وبناء على ما سبق يكون معنى الذين في قلوبهم مرض عند ابن عاشور :

(١)أصحاب تلك الأخلاق الذّميمة النّاشئة عن النّفاق والملازمة له.

(٢)المرض أطلق على النّفاق كما تقدّمَ في قوله تعالى(في قلوبهم مرض) في سورة البقرة ١٠ .(٣) الذين في قلوبهم مرض وهم طائفة غير المنافقينن، بل هم من لم يتمكّن الإيمان من قلوبهم، فيقولونه في أنفسهم لما لهم من الشّكّ في صدق وعد النّبيّ(ص) لأنّهم غير موالين للمنافقين ويجوز أن يتحدّثوا به في جماعتهم. (٤) (الذين في قلوبهم مرض) هم المُتردّدُون في قَبول الإيمان .(٥)(الذين فِي قلوبهم مرض) هم الذين كانوا متردّدين بين الإيمان والكفر فأخلصوا يومئذ النّفاق وصمّموا عليه". (٦) (الذين فِي قلوبهم مرض) هم المُبطنون للكفر .(٧) والمرض في القلوب: هو سوء النيّة في القرآن والرسول(ص) ، وهؤلاء هم الذين لم يزالوا في تردّد بين أن يسلموا وأن يبقوا على الشّرك مثل الأخنس بن شريق والوليد بن المغيرة، وليس المراد بالذين في قلوبهم مرض " المنافقين " لأنّ المنافقين ما ظهروا إلاّ في المدينة بعد الهجرة والآية مكّيّة .

١- أي الذين في قلوبهم مرض.

الذين في قلوبهم مرض في تفسير (أضواء البيان)

قال الشّنقيطيّ في أضواء البيان في تفسير (في قلوبهم مرض):

"(وَمنَ ٱلنَّاسِ مَن يَقُولُ ءَامَنَّا بالله وباليَوْمِ الآخرِ وَمَا هُم بِمُؤْمِنِينَ) لم يذكر هنا بيانا عن هؤلاء المنافقين، وصرّح بذكر بعضهم بقوله: (وممّن حولكم مّن ٱلأعرابِ منافقون ومن أهل ٱلمدينة مردوا على ٱلنّفاق) "[1].

ومعنى هذا أنّه يعتبر الذين قلوبهم مرض ـ هم ـ المنافقين ويؤكّده التّصريح المزعوم، لأنّ العبارة لاتصرّح كما يقول، وإنّما تشير إلى وجود منافقين من الأعراب، وعليه فهي تتضمّن علما إجماليّا لا أكثر.

و العلم المنفيّ في الآية هو العلم التّفصيليّ، أي معرفتهم بأعيانهم لا مجرّد العلم بوجودهم. وكيف يجتمع التّصريح مع قوله تعالى في نفس السّياق " لا تعلمهم نحن نعلمهم " ؟! فإنّ الذي لا يُعلم غير مصرّح به، إذ التّصريح منتهى البيان، ولا بيان مع عدم العلم. ومع ذلك فهو يقصد بالذين في قلوبهم مرض المنافقين.

الذين في قلوبهم مرض: تعني المنافقين.

وقال: " قوله تعالى:(يحذر المنافقون أن تنزّل عليهم سورة) إلى قوله:(ما تحذرون).صرّح في هذه الآية الكريمة بأنّ المنافقين يحذرون أن ينزل الله سورة تفضحهم وتبيّن ما تنطوي عليه ضمائرهم من الخبث. ثمّ بيّن أنّه مخرج ما كانوا يحذرونه، وذكر في موضع آخر أنّه فاعل ذلك، وهو قوله تعالى (أم حسب ٱلّذين فى قلوبهم مرض أن لّن يخرج الله أضغانهم) إلى

---

[1] ـ أضواء البيان في تفسير القرآن ج١ص٥٣ .

قوله (ولتعرفنّهم في لحن ٱلقول)وبيّن في موضع آخر شدّة خوفهم، وهو قوله (يحسبون كلّ صيحة عليهم)"[1]. وهذا معناه أنّه يسلّم بكون المنافقين هم الذين في قلوبهم مرض وهو غير مسلّم لمكان العطف المقتضي التّغاير، فإنّ عطف الشّيء على نفسه قبيح في لغة العرب، والقرآن أفصح وأبلغ ما تكلّم به العرب.

وقال :" في تفسير قوله تعالى"(فترى الذين في قلوبهم مرض يسارِعون فيهِم يقولون نخشىٰ أن تصيبنا دآئرة فعسى الله أن يأتي بالفتح أو أمرٍ من عنده فيصبِحواْ علىٰ مآ أسرّواْ في أنفسهِم نَـٰدمين): ذكر في هذه الآية الكريمة أن الذين في قلوبهم مرض وهم المنافقون، يعتذرون عن موالاة الكفّار من اليهود بأنّهم يخشون أن تدور عليهم الدّوائر، أي دول الدّهر الدّائرة من قوم إلى قوم، كما قال الشّاعر:

إذا ما الدّهر جرّ على أناس كَلاكلَهُ أناخ بآخرينا

يعنون إمّا بقحْط فلا يميروننا، ولا يتفضّلوا علينا، وإمّا بظفر الكفّار بالمسلمين فلا يدوم الأمر للنّبيّ(ص) ، وأصحابه، زعما منهم أنّهم عند تقلّب الدّهر بنحو ما ذكر يكون لهم أصدقاء كانوا محافظين على صداقتهم، فينالون منهم ما يؤمّل الصّديق من صديقه، وأنّ المسلمين يتعجّبون من كذبهم في إقسامهم بالله جهد أيمانهم، إنّهم لمع المسلمين: وبيّن في هذه الآية أنّ تلك الدّوائر التي حافظوا من أجلها على صداقة اليهود، أنّها لا تدور إلاّ على اليهود والكفّار، ولا تدور على المسلمين، بقوله:(فعسى الله أن يأتي بالفتح أو أمرٍ

---

[1] ـ أضواء البيان، ج٢ ص٤٨٦ .

من عنده) وعسى من الله نافذة، لأنّه الكريم العظيم الذي لا يُطمع إلاّ فيما يعطي. والفتح المذكور قيل: هو فتح المسلمين لبلاد المشركين، وقيل: الفتح الحكم، كقوله (ربّنا ٱفتح بيننا وبين قومنا بالحقّ وأنت خير ٱلْفـٰتحين)، وعليه فهو حكم الله بقتل مقاتلة بني قريظة، وسبي ذراريهم، وإجلاء بني النّضير، وقيل: هوفتح مكّة، وهو راجع إلى الأوّل. وبيَّن تعالى في موضع آخر أنّ سبب حلفهم بالكذب للمسلمين أنّهم منهم، إنّما هو الفرق أي الخوف وأنّهم لو وجدوا محلاّ يستترون فيه عن المسلمين لسارعوا إليه لشدّة بغضهم للمسلمين، وهو قوله:(ويحلفون بالله إنّهم لمنكم وما هم منكم ولـٰكنهم قوم يفرقون. لو يجدون ملجئا أو مغـٰرات أو مدّخلا لّولّواْ إليه وهم يجمحون) ففي هذه الآية بيان سبب أيمان المنافقين"[1].

وقال:"قوله تعالى:(فإذآ أنزلت سورة محكمة وذُكر فيها ٱلْقتال رأيت ٱلّذين فِى قلوبهم مرض ينظرون إليك نظر ٱلْمَغشيّ عليه من ٱلْموت). ذكر جلّ وعلا في هذه الآية الكريمة أنّه إذا أنزل سورة محكمة، أي متقنة الألفاظ والمعاني، واضحة الدّلالة لا نسخَ فيها وذكر فيها وجوب قتال الكفّار، تسبّب عن ذلك كون الذين في قلوبهم مرض أي شكّ ونفاق، ينظرون كنظر الإنسان الذي يغشى عليه لأنّه في سياق الموت، لأنّ نظر من كان كذلك تدور فيه عينه ويزيغ بصره. وهذا إنّما وقع لهم من شدّة الخوف من بأس الكفّار المأمور بقتالهم"[2].

---

[1] ـ أضواء البيان ـ الشنقيطي، ج٢ ص٣١٣.

[2] ـ أضواء البيان، ج٧ ص١٥٤.

هذه المرّة لم يعودوا المنافقين الذين في قلوبهم النّفاق وإنّما هم الذين في قلوبهم (شكّ ونفاق)، فهل هو النّفاق وحده أم النّفاق مع الشّكّ ؟!

الذين في قلوبهم مرض: الذين في قلوبهم شكّ ونفاق.

الذين في قلوبهم مرض يعني المنافقين.

****

الحصيلة

هذا ما جاء في تفاسير جمهور المفسرين بخصوص الذين في قلوبهم مرض، ويصعب على المتتبّع أن يجد له مبنىً عقلائيّا أو لغويّا معتبرا. وما ذهب إليه بعضهم من الاستشهاد بالشّعر لإثبات المعنى المراد أوهن من بيت العنكبوت؛ وخير دليل على ذلك ما أورده بعضهم بخصوص الواو الواقعة بين (المنافقون) و(الذين في قلوبهم مرض) ليجعل ذلك معنى واحدا فسمّى الواو مقحمة، ولا وجود للواو المقحمة في كتب اللّغة والنّحو المعتبرة. وقول قائلهم (المنافقون) و(الذين في قلوبهم مرض) و(المرجفون في المدينة) شيء واحد، ممّا يبعث على الاستغراب. ولا شكّ أنّ هذه التّضاربات ممّا يشكّك في مباني هؤلاء المفسّرين، ويدعو إلى إعادة النّظر في مصداقيّتهم من حيث الموضوعيّة، وإلى إخضاع تفاسيرهم للتّحقيق العلميّ النّزيه البعيد عن الانتماء المذهبيّ، للوصول إلى ما يعذر صاحبه. ولأنّ القرآن الكريم ذكر للّذين في قلوبهم مرض أعمالا وصفات لم ينفع معها وعظ الرّسول إيّاهم، ولا وجوده الشّريف بين أظهرهم، فإنّه ينبغي تتبّع تلك الصّفات بعين الدّراسة والبحث لتمييز المتّصفين بها، ووضعهم حيث وضعهم القرآن؛ إذ لا ينبغي أن يغيب عنّا أنّ خاتمتهم كانت سيّئة بدليل قوله تعالى(وَأَمَّا الذين فِي

قلوبهم مرض فزادتهم رجسا إلى رجسهم وماتواْ وهم كافرون)(التوبة ١٢٥). فالذين في قلوبهم مرض ماتوا على الكفر، وهذا بشهادة صريح القرآن في سورة التّوبة، وهي آخر أو من آخر ما نزل من القرآن كما سبق بيانه.

وبناء على ما سبق، يكون معنى الذين في قلوبهم مرض عند المفسرين كما يلي:

عند الصنعانيّ:

(١) قوم لم يشهدوا القتال يوم بدر فسُمّوا منافقين. (٢) هم قوم كانوا أقرّوا بالإسلام بمكّة ثمّ خرجوا مع المشركين يوم بدر فلمّا رأوا المسلمين قالوا غرّ هؤلاء دينهم (٣) الذين فِي قلوبهم مرض قال الزّناة.

وعند الطبريّ:

(١) في قلوبهم شكّ في الإيمان، وضعف في اعتقادهم إيّاه. (٢) معتب بن قشير، إذ قال ما قال يوم الخندق(٣) الذي في قلبه ضعف فهو لضعف إيمانه في قلبه، إمّا شاكّ في الإسلام منافق، فهو لذلك من أمره يستخفّ بحدود الله، وإمّا متهاون بإتيان الفواحش. (٤) وصفه بأنّ في قلبه مرضا، لأنّه منافق.(٥) عن قتادة فيطمع الذي في قلبه مرض قال: نفاق. (٦)وقال آخرون: بل وصفه بذلك لأنّهم يشتهون إتيان الفواحش. (٧) عن قتادة فيطمع الذي في قلبه مرض قال قال عكرِمة: شهوة الزّنا (٨) الذين في قلوبهم شكّ في دين الله وضعف هم أهل النّفاق. (٩) هؤلاء المنافقون. (١٠) المشركون الذين جاءوا لمحاربة النّبيّ في بدر. (١١) الذين في قلوبهم ريبة من شهوة الزّنا وحبّ الفجور. (١٢) الذين في قلوبهم مرض: هم المنافقون !

وهم عند النّحّاس:

(١) الذين في قلوبهم الشّكّ والرّياء والنّفاق. (٢) (الذين قلوبهم مرض) أي نفاق. (٣) قال قوم من المنافقين. (٤)الذي في قلبه شهوة الزّنى. (٥)الذين في قلوبهم ريب وشكّ.

وهم عند الثعلبي:

(١) في قلوبهم مرض: شكّ ونفاق. (٢) يعني عبد اللّه بن أبيّ وصحبه من المنافقين الذين كانوا يوالون اليهود ويصانعونهم ويناصحونهم. (٣) مرض شكّ ونفاق.(٤) في قلوبهم مرض شكّ وضعف اعتقاد. (٥) يعني المنافقين.(٦) الذين فِي قلوبهم مرض فجور، يعني الزّناة. (٧) الذين في قلوبهم مرض شكّ ونفاق قاله أكثر المفسّرين.

وهم عند الواحديّ:

(١) أهل الشّكّ والنّفاق. (٢) هم عبد الله بن أبيّ وأصحابه. (٣) هم قوم أسلموا بِمكّة ولم يهاجروا فلما خرجت قريش لحرب رسول الله خرجوا معهم وقالوا: نكون مع أكثر الفئتين. فلمّا رأوا قلّة المسلمين قالوا غرّ هؤلاء دينهم إذ خرجوا مع قلّتهم يقاتلون الجمع الكثير. ثمّ قتلوا جميعا مع المشركين. (٤)الذين في قلوبهم مرض شك ونفاق. (٥) هم الذين في قلوبهم شكّ ونفاق. (٦) هم أهل النّفاق. (٧) الذين في قلوبهم شكّ ونفاق. (٨)الذين في قلوبهم مرض: يعني الزّناة. (٩) المنافقون (١٠) الذين في قلوبهم شكّ..

وهم عند البغويّ:

(١)الذين فِي قلوبهم مرض شك ونفاق. (٢)يعني عبد الله بن أبيّ وأصحابه من المنافقين الذين يوالون اليهود. (٣) الذين في قلوبهم شكّ ونفاق. (٤) (الذين في قلوبهم مرض) يعني المنافقين.

وهم عند ابن الجوزيّ:

(١) الذين في قلوبهم مرض هم:الْمَرض هنا هو الشّكّ.إذاً هم الشّاكّون. (٢) هم المنافقون(٣) قوم كانوا قد تكلّموا بالإسلام بِمكّة فأخرجهم المشركون

معهم يوم بدر كرها، فلمّا رأوا قلّة المسلمين وكثرة المشركين ارتابوا ونافقوا وقالوا غرّ هؤلاء دينهم؛ وعدّهم مقاتل فقال: كانوا سبعة قيس بن الوليد بن المغيرة، وأبو قيس بن الفاكه بن المغيرة، والحارث بن زمعة، وعليّ بن أميّة بن خلف، والعاص بن منية بن الحجّاج، والوليد بن الوليد بن المغيرة والوليد بن عتبة ابن ربيعة. رأوا قلّة المسلمين وكثرة المشركين ارتابوا ونافقوا وقالوا غرّ هؤلاء دينهم؛ وعدّهم مقاتل فقال: كانوا سبعة قيس بن الوليد بن المغيرة، وأبو قيس بن الفاكه بن المغيرة، والحارث بن زمعة، وعليّ بن أميّة بن خلف، والعاص بن منية بن الحجّاج، والوليد بن الوليد بن المغيرة، والوليد بن عتبة بن ربيعة.(٤) المشركون لمّا رأوا قلّة المسلمين قالوا غرّ هؤلاء دينهم(٥) قوم مرتابون لم يظهروا عداوة النّبيّ(ص) ذكره الماورديّ(٦) الذين في قلوبهم شكّ ونفاق(٧) هم الذين في قلوبهم شك ونفاق(٨) الذين في قلوبهم كفر(٩) فيه قولان أحدهما أنّه الشّرْك قاله الحسن والثاني النّفاق قاله قتادة. إذاً فالذين فِي قلوبهم مرض هم المشركون. الذين في قلوبهم مرض هم المنافقون. (١٠) الذي في قلبه مرض أي فجور.(١١) الذين فِي قلوبهم مرض أي فجور وهم الزّناة. (١٢) فالذين في قلوبهم مرض هم الذين في قلوبهم النّفاق (المنافقون).(١٣) والذين فِي قلوبهم مرض هم الذين في قلوبهم شكّ. (١٤)الذين فِي قلوبهم مرض هم الذين في قلوبهم نفاق..(١٥) الذين في قلوبهم النّفاق. (١٦) الذين في قلوبهم الشّكّ. (١٧) الذين في قلوبهم الخلاف.

وهم عند النسفيّ:

(١) الذين فِي قلوبهم مرض نفاق (٢) الذين في قلوبهم نفاق.

وهم عند الرّازيّ:

(١) إشارة إلى المنافقين. (٢) جمهور المفسّرين قالوا في تفسير قوله: (الذين فِى قلوبهم مرض)أنّهم الكافرون. (٣) يكون الذين فِي قلوبهم مرض هم المنافقين. (٤) (وأمّا الذين في قلوبهم مرض)يعني المنافقين. (٥) الذين في قلوبهم مرض هم قوم من قريش أسلموا وما قوي إسلامهم في قلوبهم ولم يهاجروا. (٦) الذين في قلوبهم مرض هم الذين في قلوبهم الشّكّ والشّبهة وهم المنافقون (٧) الذين فِي قلوبهم مرض هم المنافقون. (٨) السّؤال الثّاني: ما مرض القلب؟ الجواب أنّه الشّكّ والشّبهة وهم المنافقون. (٩) الذين في قلوبهم مرض: هم المنافقون مثل عبدالله بن أبيّ وأصحابه. (١٠) الذين في قلوبهم مرض هم الذين في قلوبهم الشّكّ والكفر.

وهم عند القرطبيّ:

(١) المرض عبارة مستعارة للفساد الذي في عقائدهم. وذلك أمّا أن يكون شكّاً ونفاقا، وأمّا جحدا وتكذيبا. والمعنى: قلوبهم مرضى لخلوّها عن العصمة والتّوفيق والرّعاية والتّأييد. (٢) (الذين قلوبهم مرض) شكّ ونفاق والمراد ابن أبيّ وأصحابه. (٣) الشاكّون، وهم دون المنافقين، لأنّهم حديثو عهد بالإسلام، وفيهم بعض ضعف نيّة (٤) هم الذين في قلوبهم شكّ و ريب ونفاق. (٥) هم الذين في قلوبهم شرك ونفاق[١]. (٦) في قلبه مرض: في قلبه شكّ ونفاق (٧) في قلبه مرض: في قلبه تشوّق الفجور – و هو الفسق و الغزل (٨) (الذين فِي قلوبهم مرض): هم الذين في قلوبهم شكّ ونفاق. (٩) هم الذين في قلوبهم نفاق وشكّ. (١٠) الذين في صدورهم شكّ ونفاق من منافقي أهل المدينة، الذين ينجمون في مستقبل الزّمان بعد الهجرة [!!].

---

١ – كيف يجتمع الشّرك والنّفاق والمنافق معدود في ظاهره من المسلمين والمشرك ليس معدوداً منهم ؟!

وهم عند أبي حيّان:

(١) الذين في قلوبهم هم المنافقون. (٢) الذين في قلوبهم مرض عبد الله بن أبيّ ومن تبعه من المنافقين، أو من مؤمني الخزرج. (٣) المنافقون هم من الأوس والخزرج. (٤) الذين في قلوبهم مرض قوم أسلموا ومنعهم أقرباؤهم من الهجرة فأخرجتهم قريش معها كرها.(٥) منهم قيس بن الوليد بن المغيرة وأبو قيس بن الفاكه بن المغيرة والحرث بن زمعة بن الأسود وعليّ بن أمية والعاصي بن منبه بن الحجّاج. (٦) وقيل والذين فِي قلوبهم مرض هو من عطف الصفات وهي لموصوف واحد وصفوا بالنّفاق وهو إظهار ما يخفيه من المرض كما قال تعالى في قلوبهم مرض وهم منافقو المدينة. (٧) هم من أهل عسكر الكفّار. (٨) الذين في قلوبهم مرض هم المنافقون. (٩) الذين في قلوبهم مرض عامّة الكفار. (١٠) الذين في قلوبهم المنافقون والشّاكّون.(١١) الذين في قلوبهم مرض: هم ضعفاء الإيمان الذين لم يتمكن الإيمان من قلوبهم، فهم على حرف(١٢)المرض هو العزل وحبّ الزّنا، ومنه فيطمع الذي في قلبه مرض. فالذين في قلوبهم مرض هم الذين في قلوبهم حبّ الزنا.

و عند ابن كثير:

(١) (في قلوبهم مرض) قال شكّ أي في قلوبهم شكّ. (٢) (في قلوبهم مرض) يعني الرّياء أي في قلوبهم الرّياء.(٣)(في قلوبهم مرض) نفاق أي في قلوبهم النّفاق(٤) (في قلوبهم مرض) هذا مرض في الدّين وليس مرضاً في الأجساد وهم المنافقون. (٥) هذا الضّرب من النّاس هم المنافقون. (٦) (الذين في قلوبهم مرض) أي شكّ وريب. (٧) (الذين فِي قلوبهم مرض): المشركون. (٨) هم قوم كانوا من المنافقين بِمكّة قالوه يوم بدر.(٩) ناس من أهل مكّة قد تكلّموا بالإسلام فخرجوا مع المشركين يوم بدر. (١٠) فئة من

قريش قيس بن الوليد بن المغيرة وأبو قيس بن الفاكه بن المغيرة والحارث بن زمعة بن الأسود بن المطّلب وعليّ بن أُميّة بن خلف والعاص بن منبه بن الحجّاج خرجوا مع قريش من مكّة وهم على الارتياب(١١)هم قوم لم يشهدوا القتال يوم بدر فسُمّوا منافقين(١٢) الذين في قلوبهم مرض " أي شكّ وشرك وكفر ونفاق[1]. (١٣) أن يكون في القلوب مرض لازم لها أو قد عرض لها شكّ في الدين (١٤) والذي في قلبه شبهة أو حسكة لضعف حاله فتنفّس بما يجده من الوسواس في نفسه لضعف إيمانه وشدّة ما هو فيه من ضيق الحال..

وهم عند الثعالبيّ:

(١) (في قلوبهم مرض) أي في عقائدهم فساد وهم المنافقون(٢) المرض غمّهم بظهوره(ص) (٣) (الذين في قلوبهم مرض) إشارة إلى عبد الله بن أبيّ ومن تبعه من المنافقين على مذهبه في حماية بني قينقاع.(٤) هم من أهل عسكر الكفّار ممّن كان الإسلام داخل قلوبهم خرجوا مع المشركين إلى بدر، منهم مكره وغير مكره، فلمّا أشرفوا على المسلمين ورأوا قلّتهم ارتابوا وقالوا مشيرين إلى المسلمين غرّ هؤلاء دينهم. (٥) يحتمل أن يكون منافقو المدينة لمّا وصلهم خروج قريش في قوّة عظيمة (٦) الذين فِي قلوبهم مرض هم المنافقون (٧) هم عامّة الكفّار (٨) المرض هنا هو الغزل وحبّ الزّنا (٩) (الذين في قلوبهم مرض) هم المنافقون(١٠) الذين في قلوبهم مرض هنا: الصّنف المنافق أوالكافر، والمرض الاضطراب وضعف الإيمان.

---

[1] – هذا من أعجب ما يصادفه الباحث، فإنّ العبارة الواحدة هنا فُسّرت بإربع مفردات متباينة غير مترادفة، إذ الشكّ غير الشرك والشرك غير النفاق...

وعند السيوطيّ:

(١) يعني المنافقين (٢) الذين في قلوبهم رِيبة وشكّ في أمرِ الله(٣) هذا مرض في الدّين وليس مرضا في الأجساد (٤) هم المنافقون والمرض الشّكّ (٥) عبد الله بن أبيّ (٦) أناس من المنافقين كانوا يوادّون اليهود ويناصحونهم دون المؤمنين (٧) الفئة الذين خرجوا مع قريشٍ احتبسهم آباؤهم فخرجوا وهم على الارتياب وهم فئة من قريشٍ مسمّون خمسة قيس بن الوليد بن المغيرة وأبو قيس بن الفاكه بن المغيرة المخزوميّان والحارث بن زمعة وعليّ بن أميّة بن خلف والعاصي بن منبه (٨) الذي في قلبِه مرض يقول فجور (٩) أصحاب الفواحش (١٠) كانوا مؤمنين وكان في أنفسهم أن يزنوا (١١) الزّنا إن وجدوه عملوه وإن لم يجِدوه لم يبتغوه.

وهم عند أبي السّعود:

(١)المراد بهم عبد الله بن أبيّ وأضرابه الذين كانوا يسارعون في موادّة اليَهُود ونصارى نجران (٢) (الذين فِي قلوبهم مرض): الذين في قلوبهم كفر وسوء عقيدة. (٣) (الذين في قلوبهم مرض): الذين في قلوبهم ضعف في الدّين وقيل نفاق وهو الأظهر !! (٤) (الذين قلوبهم مرض): هم المنافقون الذين فصّلت أحوالهم الشّنيعة. (٥) (الذين في قلوبهم مرض): الذين في قلوبهم شكّ أو نفاق.

وهم عند الآلوسيّ:

(١) المنافقون (باعتبار قوله ولا شكَّ أنّ قلوبَ المنافقينَ كانتْ مَلأى منْ تلك الخبائث) فإنّه يدلّ على أنّه يفهم من الذين في قلوبهم مرض المنافقين لا غير.(٢) الذين لم تطمئن قلوبهم بالإيمان بعد وبقي فيها شبهة.(٣) هم فتية من قريش أسلموا بِمكّة وحبسهم آباؤهم حتّى خرجوا معهم إلى بدر منهم

قيس بن الوليد بن المغيرة والعاص بن منبه بن الحجاج والحرث بن زمعة وأبو قيس بن الفاكه. (٤) المراد بهم المنافقون سواء جعل العطف تفسيرا أو فسّر مرض القلوب بالإحن والعداوات والشّكّ مما هو غير النّفاق. (٥) الجامعون بين النّفاق ومرض القلوب وقيل يجوز أن يكون الموصول صفة المنافقين. (٦) روي عن الحسن أنّ هؤلاء المنافقين لم يشهدوا القتال يوم بدر. (٧) وأمّا الذين فِي قلوبهم مرض أي نفاق. (٨) الذين في قلوبهم مرض أي نفاق. (٩) الذين في قلوبهم مرض أي شكّ ونفاق. (١٠) قيل المراد من الأوّلين (الذين في قلوبهم مرض) عامّة الكفّار. (١١) ظاهر العطف أنّهم قوم لم يكونوا منافقين.(١٢) هم قوم كان المنافقون يستميلونهم بإدخال الشّبهة عليهم. (١٣)قيل قوم كانوا ضعفاء الاعتقاد لقرب عهدهم بالإسلام. (١٤) هم قوم كان فيهم ضعف إيمان وقلّة ثبات عليه. (١٥) هم أصحاب الفواحش. (١٦) هم قوم مؤمنون كان في أنفسهم أن يزنوا فالمرض حبّ الزنى. (١٧) الذين في قلوبهم مرض هم المنافقون وهو المعروف في وصفهم. (١٨) الذين في قلوبهم مرض والمرجفون جميعا هم المنافقون. (١٩) هم منافقون إن تيسّر لهم الزّنا عملوه وإن لم يتيسّر لم يتبعوه ويهتمّوا بأمره. (٢٠) في قلوبهم مرض أي نفاق وقيل ضعف في الدّين.

وهم عند الشّنقيطيّ:

(١)الذين في قلوبهم شكّ ونفاق. (٢) الذين في قلوبهم مرض: يعني المنافقين.

وهم عند ابن عاشور:

(١) أصحاب تلك الأخلاق الذّميمة النّاشئة عن النّفاق والملازمة له.

(٢) المرض أطلق على النّفاق كما تقدّم في قوله تعالى(في قلوبهم مرض) في سورة البقرة [١٠].(٣) الذين في قلوبهم مرض وهم طائفة غير المنافقينن، بل هم من لم يتمكّن الإيمان من قلوبهم، فيقولونه في أنفسهم لما لهم من الشّكّ في صدق وعد النّبيّ(ص) لأنهم غير موالين للمنافقين ويجوز أن يتحدّثوا به في جماعتهم. (٤) (الذين في قلوبهم مرض) هم المتردّدون في قبول الإيمان .(٥)(الذين في قلوبهم مرض) هم الذين كانوا متردّدين بين الإيمان والكفر فأخلصوا يومئذ النّفاق وصمّموا عليه". (٦) (الذين في قلوبهم مرض) هم المبطنون للكفر .(٧) والمرض في القلوب: هو سوء النيّة في القرآن والرسول(ص) ، وهؤلاء هم الذين لم يزالوا في تردّد بين أن يسلموا وأن يبقوا على الشّرك مثل الأخنس بن شريق والوليد بن المغيرة، وليس المراد بالذين في قلوبهم مرض " المنافقين " لأنّ المنافقين ما ظهروا إلاّ في المدينة بعد الهجرة والآية مكّيّة .

وبِجَمْع هذه التعابير وحذف المكرّر منها يكون معنى الذين في قلوبهم مرض ما يلي:

(١)المنافقون ـ (٢) في قلوبهم رِيبةٌ وشكٌّ في أمر الله ـ (٣) عبد الله بن أبي وأصحابه ـ (٤) في قلوبهم شك..في قلوبهم نفاق ـ (٥) في قلوبهم مرض في الدّين ـ (٦)الذين فِي قلوبهم شكّ وشرك وكفر ونفاق ـ (٧) أناس من المنافقين كانوا يوادّون اليهود ويناصحونَهم دون المؤمنين ـ (٨) الفئة الذين خرجوا مع قريشٍ ـ (٩) قيس بن الوليد بن المغيرة وأبو قيس بن الفاكه بن المغيرة المخزوميّان والحارث بن زمعة وعليّ بن أميّة بن خلف والعاصي بن منبّه ـ (١٠)الذين في قلوبهم حبّ الفجور ـ(١١) أصحاب الفواحش ـ (١٢)

كانوا مؤمنين وكان في أنفسهم أن يزنوا ـ (١٣)الزناة ـ شكّ في الإيمان، وضعف في اعتقادهم إيّاه.وفصّل الطبريّ فقال: الذي في قلبه ضعف فهو لضعف إيمانه في قلبه إمّا شاكّ في الإسلام منافق، فهو لذلك من أمره يستخفّ بحدود الله، وإمّا متهاون بإتيان الفواحش ـ (١٤)معتب بن قشير، إذ قال ما قال يوم الخندق ـ (١٥)المشركون الذين جاءوا لمحاربة النّبيّ(ص) في بدر ـ (١٦)يعني الرّياء أي في قلوبهم الرّياء ـ (١٧) ناس من أهل مكّة ـ (١٨) منافقو المدينة (١٩) هم من الأوس والخزرج ـ (٢٠)هم من أهل عسكر الكفّار ممّن كان الإسلام داخل قلوبهم خرجوا مع المشركين إلى بدر ـ (٢١) هم عامّة الكفّار ـ (٢٢) هم الشّاكّون ـ (٢٣) قوم مُرتابون لم يظهروا عداوة النّبيّ(ص) ذكره الماورديّ ـ (٢٤) الذين في قلوبهم كفر ـ (٢٥)الذين في قلوبهم الخِلاف ـ (٢٦) المرض عبارة مستعارة للفساد الذي في عقائدهم ـ (٢٧) هم دون المنافقين، لأنّهم حديثو عهد بالإسلام، وفيهم بعض ضعف نيّة ـ (٢٨)الذين قلوبهم الفسق والغزل ـ (٢٩) الذين في صدورهم شكّ ونفاق من منافقي أهل المدينة، الذين ينجمون في مستقبل الزّمان بعد الهجرة [!!] ـ (٣٠)الذين كانوا يسارعون في موادّة اليهود ونصارى نجران ـ (٣١)الذين في قلوبهم كفر وسوء عقيدة ـ (٣٢)الذين لم تطمئن قلوبهم بالإيمان بعد وبقي فيها شبهة ـ (٣٣)عامّة الكفّار ـ (٣٤)قوم لم يكونوا منافقين ـ (٣٥)هم قوم كان المنافقون يستميلونهم بإدخال الشّبهة عليهم ـ (٣٦) هم قوم كان فيهم ضعف إيمان وقلّة ثبات عليه ـ (٣٧) هم قوم من قريش أسلموا وما قوي إسلامهم في قلوبهم ولم يهاجروا ـ (٣٨) الذين كانوا يوالون اليهود ويصانعونهم ويناصحونهم ـ (٣٩) الذين فِي قلوبهم شكّ وضعف اعتقاد ـ

(٤٠) الذي في قلبه شبهة أو حسكة لضعف حاله ـ (٤١) هم ضعفاء الإيمان الذين لم يتمكن الإيمان من قلوبهم، فهم على حرف. (٤٢) هم قوم لم يشهدوا القتال يوم بدر فسُمّوا منافقين.(٤٣)هم طائفة غير المنافقين، بل هم من لم يتمكّن الإيمان من قلوبهم.(٤٤) هم المتردّدون في قبول الإيمان .(٤٥) هم الذين لم يزالوا في تردّد بين أن يسلموا وأن يبقوا على الشّرك مثل الأخنس بن شريق والوليد بن المغيرة، وليس المراد بالذين في قلوبهم مرض " المنافقين " لأنّ المنافقين ما ظهروا إلاّ في المدينة بعد الهجرة والآية مكّيّة .

***

وأُذكّر أنّ الأمر يتعلّق بمصطلح قرآني قسيم لـ(الذين آمنوا) و(الذين أوتوا الكتاب) و(الذين كفروا) كما هو واضح في سورة المدّثّر. وبالمناسبة فإنّ قسما معتبرا من المسلمين ـ وهم بالملايين ـ لا يقبلون نظريّة عدالة جميع الصّحابة ولا يرتّبون عليها أثراً، بل يعدّونها ممّا افتُري على الله تعالى وأُقحم في الدّين إقحاما استجابةً لرغبات الحاكمين من الفقهاء والسّلاطين. هؤلاء الرّافضون لنظريّة عدالة جميع الصّحابة لا يسمحون لأنفسهم بتجاوز وصيّة رسول الله(ص) في الثّقلين ،كتاب الله والعترة النبويّة الشّريفة المطهّرة بنصّ الكتاب الكريم، وإنّما يعملون بهما ويعتبرون ما عداهما لا محلّ له من الإعراب؛ ولهذا ليس غريبا أن يكون لهم موقف مخالف من طائفة الذين في قلوبهم مرض، مستوحى من القرآن الكريم وأقوال الأئمّة من أهل بيت النبي(ص) ، ومن ذلك على سبيل المثال ما جاء في كتاب إلزام الناصب في حديث طويل للإمام الصّادق عليه السّلام منه :"(فيثبت الله الذين آمنوا بالقول الثّابت)* على الحقّ وهو النّداء الأوّل ، ويرتاب يومئذ الذين في قلوبهم

مرض، **والمَرَضُ والله عَدَاوَتُنَا**، فعند ذلك يتبرّؤون منّا ويتناولوننا ويقولون : إنّ المنادي الأوّل سحرَ من سحر أهل هذا البيت ، ثمّ تلا أبو عبد الله (عليه السلام) * (وإن يروا آية يعرضوا ويقولوا سحر مستمر)"[1]. وبناءً عليه، يكون الذين في قلوبهم مرض هم أعداء أهل البيت النّبويّ لا غير، ولابدّ لنا من تتبّع صفات وأعمال الذين في قلوبهم مرض كما جاءت في القرآن الكريم في حياة النّبي(ص) قبل ظهور القول بعدالة جميع الصّحابة وقبل ظهور المذاهب الفقهيّة والكلاميّة، كيما يكون الحديث عنهم بعيدا عن كلّ تأثّر أو تأثير.

---

[1] ــ إلزام الناصب في إثبات الحجة الغائب - الشيخ علي اليزدي الحائري - ج ١ - ص ٧٥ .ومكيال المكارم - ميرزا محمد تقي الأصفهاني، ص٢٥٦

الفصل العاشر

صفات وأعمال
الذين في قلوبهم مرض

صفات و أعمال الذين في قلوبهم مرض

لعلّ أهمّ ما يلفت انتباه المتمعّن في آيات الذكر الحكيم حين الحديث عن الذين في قلوبهم مرض، هو الحسم في أمرهم واليأس من استقامتهم، فلم يترك المولى سبحانه وتعالى للباحث في أمرهم ذرّة من الشّكّ والتردّد، مع أنّه ترك بصيصاً للمنافقين في قوله تعالى(ويعذّب المنافقين إن شاء أو يتوب عليهم). مثل هذا البصيص من الأمل يفهم منه أنّ من المنافقين والمنافقات من يوفّق إلى التّوبة إذا صحّ عزمه وصدقت نيّته، وهذا لا يوجد عند الحديث عن (الذين في قلوبهم مرض)، فإنّ القرآن الكريم حسم أمرهم بألفاظ صريحة، معانيها مقصودة واضحة لا يشكّ فيها أولو الألباب. ويكفي أنّه يقول عنهم إنّهم أهل رجس وازدادوا رجسا إلى رجسهم وماتوا على الكفر. (وأمّا الذين في قلوبهم مرض فزادتهم رجسا إلى رجسهم وماتوا وهم كافرون). هذا تصريح من القرآن الكريم أنّهم ماتوا على الكُفْر[1]، وسورة التّوبة آخر ما نزل. فكيف يقول عاقل بعد ذلك إنّ الصّحابة كلّهم عدول؟ أليس في ذلك تكذيب للقرآن الكريم؟

يقول القرآن الكريم عن الذين في قلوبهم مرض:

---

[1]- قال الفخر الرّازيّ بخصوص الآية: اعلم أنّ الله تعالى لما بيّن أنّ الذين في قلوبهم مرض يموتون وهم كافرون، وذلك يدلّ على عذاب الآخرة، بيّن أنّهم لا يتخلّصون في كلّ عام مرّة أو مرّتين عن عذاب الدنيا. (تفسير الرّازيّ ج١٦ ص١٧٦).

ومن النّاس من يقول آمنّا بالله وباليوم الآخر وما هم بمؤمنين: فينفي عنهم الإيمان، وهذا يناسب قوله (ماتوا وهم كافرون) ويغني اللّبيب عن الإطالة في التّفحّص.

ويقول عنهم: يخادعون الله والذين آمنوا وما يخدعون إلاّ أنفسهم وما يشعرون: وقد تبيّنت مهارتهم في المخادعة والمراوغة من خلال مناوراتهم، فإنّهم بدأوا أوّلا بالطّعن في إمارة أسامة للجيش، فلمّا فنّد النّبيّ صلى الله عليه وآله زعمهم انتقلوا إلى المرحلة الثّانية من المناورة، حيث عسكروا خارج المدينة ورفضوا أن يتقدّموا، وتعلّلوا بأمور لا وزْن لها قبال أوامر النبيّ صلّى الله عليه وآله عند من يحترم أوامر النبيّ(ص) .

ويقول عنهم سبحانه وتعالى: في قلوبهم مرض فزادهم الله مرضا ولهم عذاب أليم بما كانوا يكذبون. فأثبت لهم الكذب وأنّهم استحقّوا زيادة المرض إلى مرضهم سواء كانت الجملة ـ فزادهم الله مرضا ـ دعاء أم غيره.

وإذا قيل لهم لا تفسدوا في الارض قالوا إنّما نحن مصلحون:

وهنا يدّعي الذين في قلوبهم مرض أنّهم مصلحون لا غير، مع أنّهم يدعون إلى ترك الإفساد في الأرض، والمفسدون في الأرض ملعونون في سورة محمّد كما سيأتي إن شاء الله تعالى. وقد قصد بهم في سورة محمّد الذين في قلوبهم مرض أيضا. وهذا ممّا يثبّت أفئدة المهتدين ويذر المرتابين في ريبهم يتردّدون.

ألا إنّهم هم المفسدون ولكن لا يشعرون : وهذا تفنيد آخر لزعْمهم الفاسد، وتأكيد لنسبة الفساد إليهم وأنّهم أهله .

وإذا قيل لهم آمنوا كما آمن النّاس قالوا أنؤمن كما آمن السّفهاء ألا إنّهم هم السفهاء ولكن لا يعلمون.

يحكمون على المؤمنين بالسّفه وهم أهلُ السّفه بشهادة الحقّ عليهم. وإذا كان السّفيه لا يستحقّ أن يستقلّ بالمال، فكيف يصحّ أن يستقلّ بالأمور المهمّة في الإسلام كالقضاء ، ونقل العلم، والخلافة التي هي عهد الله سبحانه و تعالى؟!

وإذا لقوا الذين آمنوا قالوا آمنّا وإذا خلوا إلى شياطينهم قالوا إنّا معكم إنّما نحن مستهزئون:

هؤلاء كان لهم شياطين يتعاملون معهم ويتظاهرون بالصّلاح بين المؤمنين، وسواء كان شياطينهم من الجنّ أو الإنس فإنّ ذلك لا يغيّر شيئا، لأنّ القرآن الكريم يقول : (شياطين الجنّ والإنس يوحي بعضهم إلى بعض زخرف القول غرورا). ويقول (ومن يكن الشيطان له قرينا فساء قرينا).

الله يستهزئ بهم ويمدّهم في طغيانهم يعمهون: يمدّهم في طغيانهم ويذرهم وما اختاروه من العتوّ حتّى لا يكون لهم حجّة يوم القيامة ولا يؤذن لهم فيعتذرون.

أولئك الذين اشتروا الضّلالة بالهدى فما ربحت تجارتهم وما كانوا مهتدين (البقرة ١٦).

ومن صفاتهم:

فترى الذين في قلوبهم مرض يسارعون فيهم يقولون نخشى أن تصيبنا دائرة فعسى الله أن يأتي بالفتح أو أمر من عنده فيصبحوا على ما أسرّوا في أنفسهم نادمين [المائدة ٥٢] .

وهذه المسارعة إلى الدّفاع عن أعداء الله كاشفة عن انتفاء الولاية الإلهية عندهم، لأنّه لا يمكن الجمع بين ولاية أولياء الله تعالى وولاية أعدائه. والقرآن الكريم صريح في الدّعوة إلى البراءة من أعداء الدّين حتى يؤمنوا. فما داموا على كفرهم لايحقّ لمؤمن أن يتّخذهم أولياء. وما تعلّل به الذين في قلوبهم مرض يؤكد أنّ الإيمان لم يلامس قلوبهم، لأنّهم يخشون الدّوائر، وكأنّ هذه الدّوائر تجازوت سلطان الله تعالى وقدرته. والذي يخاف الدوائر إنما أُتي من خلوّ قلبه من التّقوى وإلاّ فإنّ الله تعالى بيده ملكوت كل شيء، ولابدّ من الابتلاء ليحصل التّمحيص وتمييز الصّادق من الكاذب. وقد أخبر الله سبحانه وتعالى المؤمنين أنّه مبتليهم(ولنبلونّكم بشيء من الخوف والجوع ونقص من الأموال والأنفس والثّمرات) فلا مفرّ من البلاء. والبلاء هو الذي يزيد المؤمن إيمانا وتمسّكا بدينه وتعلّقا بمولاه سبحانه وتعالى. أمّا الذي يحرص على الرّخاء ويريد اجتناب البلاء على طول خطّ السّير فإنّما هو من الذين رضوا بالحياة الدّنيا واطمأنّوا بها، يبحث عن راحة نفسه لا عن مجاهدتها. وقد بشّر الله تعالى الصّابرين في مواطن عديدة من القرآن الكريم، وإنّما يكون الصّبر مع البلاء. وفي السّيرة النّبويّة صور واضحة عن أولئك الذين كانوا يبحثون عن راحة أنفسهم حتى بلغ بهم الأمر أن يفرّوا من المعارك ويتركوا النبيّ(ص) بين الأعداء، فرارا من القتل في سبيل الله، بعد أن سمعوا قول الله تعالى (ولتجدنّهم أحرص

الناس على حياة ومن الذين أشركوا)، فلو كانوا صادقين في طلب الشّهادة لما فرّوا منها حينما تيسّرت، ولو صدقوا الله لكان خيرا لهم.

وقد كانت المسارعة في الدّفاع عن أعداء الله في زمان النّبيّ(ص) ، وبقيت بعده، ومورست بأشكال لا يشكّ فيها منصف. فهذا عثمان يشفع في أعداء الله تعالى من أمثال عبد الله بن سعد بن أبي سرح الذي ارتدّ والتحق بالمشركين، ووشى ببعض الصّحابة فنالهم من الأذى ما نالهم، وأهدر النّبيّ(ص) دمه يوم فتح مكّة حتّى لو وُجد متعلّقا بأستار الكعبة. لكنّ عثمان غيّبه عن جيش المسلمين بعد أن علم حرص النّبيّ(ص) على قتله، ثمّ جاء به بعد استتباب الأمر، وشفع فيه بكلّ وقاحة عند من أهدر دمه!. وقد حاول نفس الأمر أيضا بخصوص الحكم بن أبي العاص الأمويّ الذي نفاه النّبيّ(ص) ، فحيل بينه وبين ما يشتهي؛ فلمّا آل أمر الخلافة إليه كان من أوّل ما فعل أنّه أعاد الطّريد الملعون [1] إلى المدينة وأغدق عليه الأموال.

---

[1] ـــ حديث لعن الحكم بن أبي العاص أشهر من نار على علم،وقال ابن حجر الهيتميّ في الصواعق المحرقة على أهل الرفض والضلال والزندقة(ج٢/ص٥٢٧) : ومن أشدّ النّاس بغضاً لأهل البيت مروان بن الحكم وكأنّ هذا هو سرّ الحديث الذي صحّحه الحاكم أنّ عبد الرحمن بن عوف رضي الله عنه قال كان لا يولد لأحد مولود إلا أتى به = = النبي صلى الله عليه وسلم فيدعو له فأدخل عليه مروان بن الحكم فقال هذا الوزغ ابن الوزغ الملعون ابن الملعون .وروى بعده بيسير عن محمد بن زيد قال لما بايع معاوية رضي الله عنه لابنه يزيد قال مروان سنة أبي بكر وعمر رضي الله تعالى عنهما فقال عبد الرحمن بن أبي بكر بل سنّة هرقل وقيصر فقال له مروان أنت الذي أنزل الله فيك والذي قال لوالديه أفّ لكما(الأحقاف ١٧)فبلغ ذلك عائشة رضي الله عنها فقالت كذب والله ما هو به ولكنّ رسول الله صلى الله عليه وسلم لعن أبا مروان ومروان في صلبه .ثم روى عن عمرو بن مرة الجهنيّ وكانت له صحبة رضي الله تعالى عنه أنّ الحكم بن أبي العاص استأذن على رسول الله صلى الله عليه وسلم فعرف صوته فقال " ائذنوا له عليه لعنة الله وعلى من يخرج من صلبه إلاّ المؤمن منهم وقليل ما هم، يشرفون في الدنيا ويصغرون في الآخرة، ذوو مكر وخديعة يعطون في الدنيا وما لهم في الآخرة من خلاق". وعلّق ابن حجر على ذلك بكلام يدافع فيه عن الحكم كما تقتضيه عدالة جميع الصحابة .

ومن صفات الذين في قلوبهم مرض أنّهم لا يتورّعون عن ممارسة الإحباط وتثبيط العزائم:

إذ يقول المنافقون والذين في قلوبهم مرض غرّ هؤلاء دينهم ومن يتوكل على الله فإنّ الله عزيز حكيم [الأنفال ٤٩]. وهذا القول منهم مناف للتّوكل كما تدلّ عليه تتمّة الآية. ولو كانوا صادقين لقالوا مثل ما قال الذين يظنون أنّهم مُلاقو الله " كم من فئة قليلة غلبت فئة كثيرة بإذن الله ".فالذي قاله

وقال زيني دحلان في السيرة الحلبية (ج١/ص٥٠٩)نقلاً عن ابن عبد البر :

" ومن استهزاء الحكم بن العاص أنّه كان صلّى الله عليه وسلّم يمشى ذات يوم وهو خلفه يخلج بفمه وأنفه يسخر بالنّبيّ صلّى الله عليه وسلم فالتفت إليه النبي صلّى الله عليه وسلم فقال له كن كذلك فكان كذلك أي كما تقدّم نظير ذلك لأبي جهل. واستمرّ الحكم بن العاص يخلج بأنفه وفمه بعد أن مكث شهرا مغشيا عليه حتى مات. أسلم يوم فتح مكة وكان في إسلامه شيء. اطّلع على رسول الله صلى الله عليه وسلّم من باب بيته وهو عند بعض نسائه بالمدينة [!]فخرج إليه صلّى الله عليه وسلّم بالعنزة أي وقيل بمدرى في يده والمدرى كالمسلّة يفرق به شعر الرأس وقال من عذيرى من هذه الوزغة لو أدركته لفقأت عينه ولعنه وما ولد وغرّبه عن المدينة إلى الطّائف فلم يزل حتى ولي ابن أخيه عثمان رضي الله تعالى عنه الخلافة فدخل المدينة بعد أن سأل عثمان أبا بكر في ذلك فقال لا أحل عقدة عقدها رسول الله صلّى الله عليه وسلم ثمّ سأل عمر لما ولي الخلافة فقال له مثل ذلك ولمّا أدخله عثمان نقم عليه الصّحابة بسبب ذلك فقال أنا كنت شفعت فيه إلى رسول الله صلى الله عليه وسلم فوعدني بردّه أي أني أردّه ولا ينافي ذلك سؤال عثمان لأبي بكر وعمر رضي الله تعالى عنهم في ذلك كما لا يخفى لأنه يحتمل أن يردّه عثمان إمّا بنفسه أو بسؤاله وسيأتي ذلك في جملة أمور نقمها عليه الصّحابة .وعن هند بن خديجة أمّ المؤمنين رضي الله تعالى عنهما أنّ النّبيّ صلّى الله عليه وسلّم مرّ بالحكم فجعل يغمز بالنّبيّ صلّى الله عليه وسلم فرآه فقال اللهمّ اجعل به وزغا فرجف وأرتعش مكانه والوزغ الارتعاش وفي رواية فما قام حتى ارتعش وعن الواقديّ استأذن الحكم بن العاص على رسول الله صلّى الله عليه وسلّم فعرف صوته فقال ائذنوا له لعنه الله ومن يخرج من صلبه إلاّ المؤمنين منهم وقليل ما هم، ذو مكر وخديعة، يعطون الدّنيا وما لهم في الآخرة من خلاق. وكان لا يولد لأحد ولد بالمدينة إلاّ أتى به النّبيّ صلى الله عليه وسلم فأتي إليه بمروان لما ولد فقال هو الوزغ ابن الوزغ الملعون ابن الملعون وعلى هذا فهو صحابيّ إن ثبت أنّ النّبيّ صلّى الله عليه وسلم رآه لأنّه يحتمل أنّه أتى به إليه صلّى الله عليه وسلم فلم يأذن بإدخاله عليه وربّما يدلّ ذلك قوله هو الوزغ إلى آخره ".

الذين في قلوبهم مرض لا يكون ناشئا عن جهل، لأن المقام لا يحتمل ذلك، والإنسان في حالة الحرب يحتاج إلى تشجيع وتأييد ومساندة، والكلمة سلاح في الميدان، لذلك كان الأبطال يرتجزون في المعارك، وكان الخطباء يشدّون همم المقاتلين بالخطب الحماسيّة التي تلهب الوجدان وتحرّك في الإنسان الإحساس بالعزّة والكرامة. وسياسةُ الدعايات والأراجيف في الحرب أمر معلوم، فكم جيش هدّت أركانه وفتّت في أعضاد أفراده فانهزموا في الوجدان قبل أن ينهزموا في الميدان، ولذلك كان موقف القرآن الكريم من ظاهرة الإرجاف حاسما حازما "لئن لم ينته المنافقون والذين في قلوبهم مرض والمرجفون في المدينة لنغرينّك بهم".

ومن صفاتهم وعلاماتهم أنّهم أصحاب رجس وأنّهم أصحاب سوء خاتمة يموتون على الكفر:

وأمّا الذين في قلوبهم مرض فزادتهم رجْساً إلى رجْسهم وماتوا وهم كافرون [التوبة ١٢٥].

ومن صفاتهم وعلاماتهم أنّهم لا يتوبون ولا تنفع معهم الموعظة: أو لا يرون أنهم يفتنون في كلّ عام مرّة أو مرّتين ثمّ لا يتوبون ولا هم يذّكّرون. [التوبة ١٢٦].

ومن صفاتهم وعلاماتهم أنّهم يتعجّبون إذا نزل قرآن يتحدّث عن تفاصيل دقيقة لم يحضرها غيرُهم، وينظر بعضهم إلى بعض يتساءلون كأنّما لا ارتباط للنّبيّ(ص) بالغيب،(وإذا ما أنزلت سورة نظر بعضهم إلى بعض هل يراكم من أحد ثمّ انصرفوا صرف الله قلوبهم بأنّهم قوم لا يفقهون).

ومن صفاتهم وعلاماتهم أنّ قلوبهم محلّ تلقّ لما يلقي الشّيطان:

(ليجعل ما يلقي الشيطان فتنة للذين في قلوبهم مرض والقاسية قلوبهم وإنّ الظّالمين لفي شقاق بعيد) [الحج ٥٣].

ومن صفاتهم وعلاماتهم أنّهم يقبلون الحقّ إذا كان في صالحهم ويرفضونه إذا كان عليهم لا لهم، وإن كانت الشّروط واحدة، علماً أنّ حكم الأمثال في ما يجوز وما لايجوز واحد (ويقولون آمنا بالله وبالرسول وأطعنا ثمّ يتولىّ فريق منهم من بعد ذلك وما أولئك بالمؤمنين. وإذا دعوا إلى الله ورسوله ليحكم بينهم إذا فريق منهم معرضون. وإن يكن لهم الحقّ يأتوا إليه مذعنين أفي قلوبهم مرض أم ارتابوا أم يخافون أن يحيف الله عليهم ورسوله بل أولئك هم الظالمون)[1]. ومن أعجب ما تتجلّى فيه هذه المسألة قضيّة الكتاب الذي أراد النّبيّ(ص) كتابته للأمّة، فإنّه عليه وآله الصلاة والسّلام كان على فراش الموت، وكان يسأل عن جيش أسامة المرّة بعد المرّة، وأمر أن يؤتى له بكتف ودواة ليكتب للأمّة كتاباً يعصمها من الضّلال، فزعموا أنّه يهجر. لكن حينما كان أبو بكر على فراش الموت وأمر أن يؤتى له كي يكتب حصل الانصياع التّامّ ولم يعترض أحد. بل إنّ الشخص الذي زعم أنّ النّبيّ(ص) يهجر هو نفسه طلب من النّاس الإنصات لقراءة الكتاب لأنّه كتاب من طرف خليفة رسول الله(ص) ، ولأنّ الخليفة أخبر أنّه لايألوهم نصحا.هذه المرّة لم يقولوا حسبنا كتاب الله ، مع أنّ الظّروف واحدة، بل صار كتاب أبي بكر ضروريّا إلى جنب كتاب الله تعالى. لقد حيّرت هذه الواقعة كثيراً من المسلمين، وتمحّل لها الكلاميّون والمفسّرون وجوها من

---

[1] ـ النور : ٤٧- ٥٠.

القول لا تستحقّ الذّكر، وانتصروا للباطل فتابعوا مرضى القلوب، واقتدوا بهم فكانوا هم أيضـا من الـذين إن يكن لهم الحقّ يأتوا إليه مذعنين. والعجب كلّ العجب من الـذين يـذكرون مـا حدث ولا يعلّقون عليه بكلمة واحدة؛ وهذه أمثلة لذلك:

روى البخاري في صحيحه ما يلي: " عن ابن شهاب عن عبيد الله بن عبد الله عن ابن عباس قال لمّا اشتدّ بالنّبيّ(ص) وجعه قال ائتوني بكتاب اكتب لكم كتاباً لا تضلّوا بعده. قال عمر إنّ النبيّ(ص) غلبه الوجع وعندنا كتاب الله حسـبنـا. فـاختلفوا وكثر اللّغط قـال قوموا عنّي ولا ينبغي عندي التّنازع. فخرج ابن عبّاس يقول إنّ الرّزيئة كلّ الرّزيئة ما حال بين رسـول الله(ص) وبين كتابة الكتاب"[1].

و في رواية: "بكى ابن عبّاس حتّى خضـب دمعه الحصـباء فقال: اشـتدّ برسـول الله(ص) وجعه فقال:آتوني بكتاب اكتب لكم كتابا لن تضـلّوا بعده أبدا. فتنازعوا ولا ينبغي عند نبيّ التّنازع فقالوا هجر رسول الله(ص) "[2].

ولا يخفى على المتـأمّل تلاعـب البخـاريّ بـالعبـارات محـافظة منه على وجاهة الخليفة ومنزلته، فإنّه في كلا الحديثين تجنّب أن يصـرّح بقول عمر على الوجـه الذي ينبغي، ويقول في الحديث الأوّل قال عمر إنّ النّبيّ(ص) غلـب عليـه الوجع وعنـدنـا كتاب الله، ثمّ يتبعه بقوله فاختلفوا وكثر اللّغط.. وهذه مساهمة واضحة من البخاريّ في التّحريف والتّزييف وإخفاء الحقائق

---

١ ـ صحيح البخاري ج ١ ص ٣٦-٣٧ : (كتاب العلم – باب كتابة العلم) .

٢ ـ صحيح البخاري ج٥ ص١٣٧ .ورواه مسلم أيضا في كتاب الوصيّة- باب ترك الوصيّة.

وكتمانها؛ وإلاّ فإنّ من دواعي الأمانة العلميّة أن يذكر البخاريّ سبب الاختلاف ونتيجة الاختلاف وموقف الشّرع من القولة التي قالها عمر. ولكنّ البخاريّ يعلم أنّ السّكوت أفضل وأسلم، وإلا تعرّض لما تعرّض له الحاكم والنّسائيّ والحسكانيّ وغيرهم. والبخاريّ يعلم أنّ مروان بن الحكم ملعون على لسان رسول الله(ص) ،ولكنّه لا يرى بأسا في الرواية عنه[1].

وفي تاريخ الطبريّ: "...ابن يحيى عن عثمان القرقسانيّ قال حدّثنا سفيان بن عيينة عن إسماعيل عن قيس قال رأيت عمر بن الخطّاب وهو يجلس والنّاس معه وبيده جريدة وهو يقول أيّها النّاس اسمعوا وأطيعوا قول خليفة رسول الله(ص) إنّه يقول إنّي لم آلكم نصحا. قال ومعه مولى لأبي بكر يقال له شديد معه الصحيفة التي فيها استخلاف عمر "[2].

فهل كان رسول الله يألو الأمّة نصحاً؟!

لماذا لم يقل عمر بن الخطّاب" إنّ أبابكر غلب عليه الوجع وعندنا كتاب الله. حسبنا كتاب الله ".؟!

وقال ابن قتيبة : "[..] قال : فخرجوا من عنده ، ثمّ أرسل إلى عمر فقال: يا عمر ، أحبّك محبّ ، وأبغضك مبغض ، وقديما يحبّ الشرّ ، ويبغض الخير . فقال عمر: لا حاجة لي بها!! ، فقال أبو بكر : لكن بها إليك حاجة ، والله ما حبوتك بها ، ولكن حبوتك بك . ثمّ قال : خذ هذا الكتاب واخرج به

---

[1] ــ حديث لعن مروان ذكره الحاكم في المُستَدرك (مستدرك الحاكم ج٤ ص٤٧٩) وابن حجر الهيتمي (في الصواعق المحرقة ص ١٠٨)وغيرهما، وإنّما تركه الشّيخان البخاريّ ومسلم كما تركا كثيرا مما يقدح في الحاكمين من بني أميّة وبني العبّاس.

[2] ـ تاريخ الطبري ج ٢ ص ٦١٨.

إلى النّاس[!!]، واخبرهم أنّه عهدي ، وسلهم عن سمعهم وطاعتهم . فخرج عمر بالكتاب وأعلمهم ، فقالوا : سمعا وطاعة ، فقال له رجل: ما في الكتاب يا أبا حفص؟ قال: لا أدري ، ولكنّي أوّل من سمع وأطاع . قال : لكنّي والله أدري ما فيه : أَمَّرْتَهُ عام أوّل ، وأمّرك العام "[1]!

يقول عمر "لا أدري ما في الكتاب" فهل هذا صحيح ؟!

أوّل من أطاع أبا بكر هو أوّل من عصى رسول الله(ص) ، مع أنّ ظروف كتابة الكتاب واحدة، والنبيّ(ص) يوحى إليه وأبو بكر لا يوحى إليه،والنّبيّ(ص) لم يسجد لصنم قطّ وأبو بكر عبَد الصّنم أربعين سنة! لكن عمر متيقّن من مضمون كتاب أبي بكر، وغيره أيضا يعرف مضمونه كما يشير إليه كلام الرّجل الذي قال له " أمّرته عام أوّل وأمّرك العام" . وكتاب رسول الله صلّى الله عليه وآله ليس فيه تأمير لعمر ولا لأبي بكر، وكيف يتصوّر عاقل ذلك والنّبيّ صلّى الله عليه وآله قد عيّنهما جنديّين بسيطين في جيش على رأسه أسامة؟ لو كان رسول الله(ص) يؤهّل أحدهما للخلافة لما أمّر عليهما جميعا أسامة بن زيد. فعمر يذعن ويسمع ويطيع للكتاب الذي فيه تأميرُه على المسلمين، وأمّا الكتاب الذي ليس فيه تأميره فصاحبُه يهجُر حتّى لو كان رسول الله(ص) الذي ما ينطق عن الهوى.

ومن صفات الذين في قلوبهم مرض وعلاماتهم:

---

[1] ـــ الإمامة والسياسة –ابن قتيبة الدينوري ج ١ ص ٢٥. وهذا ينسجم تماما مع قول الإمام علي عليه السلام لعمر يوم السقيفة " احلب حلبا يا عمر لك شطره اشدد له اليوم أمره ليرد إليك غدا" كما في الإمامة والسياسة لابن قتيبة ـــ تحقيق الشيري ـــ (ج ١ ص ٢٩)،و شرح نهج البلاغة لابن أبي الحديد(ج ٢ ص ٥)والسقيفة وفدك للجوهري (ص٦٢) .

*التكذيب بوعد الله ورسوله:يقول المنافقون والذين في قلوبهم مرض ما وعدنا الله ورسوله إلاّ غرورا.[الأحزاب ١٢]

* الكذب لتبرير الفرار من الجهاد :وإذ قالت طائفة منهم يا أهل يثرب لا مقام لكم فارجعوا ويستأذن فريق منهم النبّيّ يقولون إنّ بيوتنا عورة وما هي بعورة إن يريدون إلاّ فرارا.[الأحزاب ١٣].

* طلب الفتنة :ولو دخلت عليهم من أقطارها ثمّ سئلوا الفتنة لأتوها وما تلبّثوا بها إلاّ يسيرا . [الأحزاب ١٤].

* عدم الوفاء بالعهد:ولقد كانوا عاهدوا الله من قبل لا يولّون الأدبار وكان عهد الله مسئولا. [الأحزاب ١٥].

*التّعويق والجبن في مواطن البأس: قد يعلم الله المعوّقين منكم والقائلين لإخوانهم هلمّ إلينا ولا يأتون البأس إلاّ قليلا [الأحزاب ١٨]

* غيبة المؤمنين بألسنة حداد: أشحّة عليكم فإذا جاء الخوف رأيتهم ينظرون إليك تدور أعينهم كالذي يغشى عليه من الموت فإذا ذهب الخوف سلقوكم بألسنة حداد أشحّة على الخير أولئك لم يؤمنوا فأحبط الله أعمالهم وكان ذلك على الله يسيرا [الأحزاب ١٩].

* تجنّب القتال :وإن يأت الأحزاب يودّوا لو أنّهم بادون في الأعراب يسألون عن أنبائكم ولو كانوا فيكم ما قاتلوا إلاّ قليلا [أحزاب ٢٠].

ومن صفاتهم وعلاماتهم :

* الجبن والخَور:فإذا أنزلت سورة محكمة وذكر فيها القتال رأيت الذين في قلوبهم مرض ينظرون إليك نظر المغشيّ عليه من الموت فأولى لهم.

* الإفساد في الأرض وقطيعة الرّحم: فهل عسيتم إن تولّيتم أن تفسدوا في الأرض وتقطّعوا أرحامكم. أولئك الذين لعنهم الله فأصمّهم وأعمى أبصارهم.

* عدم تدبّر القرآن:أفلا يتدبّرون القرآن أم على قلوب أقفالها .

* التّواطؤ والتآمر على المؤمنين مع الذين كرهوا ما أنزل الله: ذلك بأنّهم قالوا للّذين كرهوا ما نزّل الله سنطيعكم في بعض الأمر والله يعلم إسرارهم.

* اتّباع ما يسخط الله تعالى: ذلك بأنّهم اتّبعوا ما أسخط الله وكرهوا رضوانه فأحبط أعمالهم .

* في صدورهم أضغان على المؤمنين:أم حسب الذين في قلوبهم مرض أن لن يخرج الله أضغانهم .

* يتكلّمون بملحون القول :ولتعرفنّهم في لحن القول.

ومن صفاتهم وعلاماتهم أنّهم :

* يرتابون ويدومون على ارتيابهم، حتّى في ما يتيقّنه أهل الكتاب. ومع أنّ القرآن الكريم نبّه إلى ضلال أهل الكتاب وبُعدهم عن الحقّ وممارستهم لفنون التّضليل، إلاّ أنّه في الآية من سورة المدّثّر جعل الهدف من المثل المضروب بخصوص خزنة النّار من الملائكة أن لا يرتاب الذين أوتوا الكتاب والمؤمنون، هذا وقد زعم بعض المفسّرين أنّهم المؤمنون منهم الذين أسلموا وهو كما ترى ينمّ عن جهل أو تجاهل، وليس ذلك منه إلاّ فرارا من الحقّ ومحاولة يائسة للمحافظة على عدالة جميع الصّحابة المستلزمة لتكذيب القرآن الكريم الشّاهد على عدد كبير منهم أنّهم " ماتوا وهم كافرون".

(وما جعلنا أصحاب النّار إلاّ ملائكة وما جعلنا عدّتهم إلاّ فتنة للذين كفروا ليستيقن الذين أوتوا الكتاب ويزداد الذين آمنوا إيمانا ولا يرتاب الذين أوتوا الكتاب والمؤمنون وليقول الذين في قلوبهم مرض والكافرون ماذا أراد الله بهذا مثلا كذلك يضلّ الله من يشاء ويهدي من يشاء وما يعلم جنود ربّك إلا هو وما هي إلا ذكرى للبشر)[المدّثّر٣١].

❊❊❊

حربٌ الله ورسوله

سبق ذكر الحديث الذي رواه الطّبرانيّ، والذي يقول فيه عمّار بن ياسر رضي الله عنهما عن جماعة من الصّحابة، إنّهم اثنا عشر[1] وإنّهم حرب لله ورسوله في الحياة الدّنيا ويوم يقوم الأشهاد. هذا الحديث[2] إذا ضُمّ إليه الحديث التّالي تنكشف حقيقة طالما عتّم عليها المحدّثون والمفسّرون،

١ـ للتأمّل: ذُكر(**الذين في قلوبهم مرض**) في القرآن الكريم اثنتا عشرة مرّة(١٢) وهو ما يطابق العدد المذكور في حديث عمّار عن جماعة العقبة الذين قال عنهم حرب لله ورسوله في الحياة الدنيا ويوم يقوم الأشهاد.

٢ـ الحديث في المعجم الكبير، الطّبرانيّ ، ج٣ ص١٦٦.

واختلقوا في ما اختلقوا مصالحات وهميّة، محاولين بذلك التّعتيم والاختلاق إصلاح ما أفسد الدهر. والحديث المقصود هو حديث "حربكم حربي وسلمكم سلمي"[1]. قال الطّبرانيّ: "حدّثنا محمّد بن راشد حدّثنا إبراهيم بن سعيد الجوهريّ حدّثنا حسين بن محمّد حدثنا سليمان بن قرم عن أبي الجحّاف عن إبراهيم بن عبد الرّحمن بن صبيح مولى أمّ سلمة رضي الله عنها عن جدّه عن زيد بن أرقم قال مرّ النبيّ(ص) على بيت فيه فاطمة وعليّ وحسن وحسين رضي الله عنهم فقال أنا حرب لمن حاربتم وسلم لمن سالمتم.والحديث رقم ٢٦٢١: ـــ حدّثنا عبد الله بن أحمد بن حنبل حدّثني أبي حدّثنا تليد بن سليمان عن أبي الجحّاف عن أبي حازم عن أبي هريرة رضي الله عنه قال نظر النّبيّ(ص) إلى عليّ والحسن والحسين وفاطمة رضي الله عنهم وقال " أنا حرب لمن حاربكم وسلم لمن سالمكم"[2].

فالذين هجموا على بيت فاطمة عليها السّلام، والذين حاربوا عليّا عليه السّلام، والذين حاربوا الحسن والحسين عليهما السّلام، كلّهم داخلون في الحديث السّابق، وهم بمقتضى ذلك محاربون للنّبيّ(ص) بعد إسلامهم، ولاينفعهم اضطراب المبرِّرين والمعذّرين والمصوِّبين، لأنّ الله تعالى لا ينتمي إلى أيّة فرقة من الفرق، ولا تُضرب له الأمثال، وإنّما هو مع الذين اتّقوا والذين هم محسنون، ولا تبديل لكلمات الله.

***

١ـ الحديث مروي أيضاً بلفظ " أنا حرب لمن حاربتم وسلم لمن سالمتم ".

٢ـ المعجم الكبير ، الطبراني ، ج ٣ ص ٤٠.

أحاديث في أذى النّبيّ صلّى الله عليه وآله

في المعجم الكبير(تحت رقم ٢٦٢٧): "حدّثنا محمد بن عبد الله الحضرميّ حدّثنا إسحاق بن إبراهيم بن صالح الأسديّ حدّثنا نافع بن هرمز عن أنس بن مالك رضي الله عنه قال بينا رسول الله(ص) راقد في بعض بيوته على قفاه إذ جاء الحسن يدرج حتّى قعد على صدر النّبيّ(ص)، ثمّ بال على صدره، فجئت أميطه عنه فاستنبه رسول الله(ص) فقال: ويحك يا أنس دع ثمرة فؤادي **فإنّ من آذى هذا فقد آذاني ومن آذاني فقد آذى الله**، ثمّ دعا رسول الله(ص) بماء فصبّه على البول صبّا فقال: يصبّ على بول الغلام ويغسل بول الجارية"[1].

وفي المستدرك:"حدّثنا أبو العباس محمّد بن يعقوب حدّثنا أبو زرعة الدّمشقيّ حدّثنا محمّد بن خالد الوهبيّ حدّثنا محمد بن إسحاق وأخبرناه أحمد بن جعفر البزّار حدّثنا عبد الله بن أحمد بن حنبل حدّثني أبي حدّثنا يعقوب بن إبراهيم بن سعد حدّثنا أبي عن محمد بن إسحاق عن إبان بن صالح عن الفضل بن معقل بن يسار عن عبد الله بن نيار الأسلميّ عن عمرو بن شاس الأسلميّ وكان من أصحاب الحديبية قال خرجنا مع عليّ رضي الله عنه إلى اليمن فجفاني في سفره ذلك حتّى وجدت في نفسي، فلمّا قدمت أظهرت شكايته في المسجد حتى بلغ ذلك رسول الله(ص). قال فدخلت المسجد ذات غداة ورسول الله(ص) في ناس من أصحابه فلما رآني أبدني عينيه قال يقول حدّد إليّ النّظر حتّى إذا جلست قال يا عمرو أما

---

[1] ـ المعجم الكبير، الطّبرانى، ج ٣ ص ٤٢.

والله لقد آذيتني. فقلت أعوذ بالله أن أؤذيك يا رسـول الله. قال بلى من آذى عليّاً فقد آذاني.هذا حديث صحيح الإسناد ولم يخرجاه"[1].

وحديث من آذى عليّا موجود في مسند أحمد ، ج٣ص٤٨٣، ومسند البزّار ج٣ص٣٦٦، والأحاديث المختارة ،ج٣ص٢٦٧وص٢٦٨، وصحيح ابن حبّان ج١٥ص٣٦٥، وموارد الظمآن، ج١ص٥٤٣، ومصنّف ابن أبي شيبة، ج٦ ص ٣٧١، ومسـند أبي يعلى، ج٢ص١٠٩، ومسـند الحارث (زوائد الهيثميّ)، ج٢ص٩٠٤ ، ومسـند الرّوياني، ج٢ص٤٥١ ، والمطالب العالية، ج١٦ ص١٢٩وص١٣٩، ومجمع الزّوائد ج٩/ص١٢٩ .

***

تصريح صحابة وتابعين ببغض الحسن و الحسين

الحديث رقم ٢٦٥٦ في المعجم الكبير[2]: حدّثنا الحسين بن إسحاق التّستريّ حدّثنا يوسف بن سلمان المازنيّ حدّثنا حاتم بن إسماعيل حدّثنا سعد بن إسحاق بن كعب بن عجرة عن إسحاق بن أبي حبيبة مولى رسول الله(ص) عن أبي هريرة أنّ مروان بالحكم أتى أبا هريرة في مرضه الذي مات فيه فقال مروان لأبي هريرة: ما وجدت عليك في شيء منذ أصطحبنا إلا في حبّك للحسن والحسين [!] قال فتحفّز أبو هريرة فجلس فقال أشهد

---

١ ـ المستدرك على الصحيحين ،ج٣ص١٣١ا، لحديث رقم ٤٦١٩.

٢- المعجم الكبير ، الطّبرانيّ ، ج ٣ ص ٥٠.

لخرجنا مع رسول الله (ص) حتّى إذا كنّا ببعض الطّريق سمع رسول الله(ص) صوت الحسن والحسين وهما يبكيان وهُما مع أمّهما فأسرع السّير حتّى أتاهما، فسمعته يقول لها: ما شأن ابنيّ فقالت: العطش. قال فاخلف رسول الله(ص) إلى شنّة يبتغي فيها ماء وكان الماء يومئذ أغدارا والنّاس يريدون الماء، فنادى هل أحد منكم معه ماء؟ فلم يبق أحد إلا أخلف بيده يبتغي الماء في شنّة فلم يجد أحد منهم قطرة. فقال رسول الله(ص) ناوليني أحدهما؛ فناولته إيّاه من تحت الخدر، فرأيت بياض ذراعيها حين ناولته، فأخذه فضمّه إلى صدره وهو يطغو ما يسكت، فأدلع له لسانه فجعل يمصّه حتّى هدأ أو سكن، فلم أسمع له بكاء والآخر يبكي كما هو ما يسكت.فقال: ناوليني الآخر فناولته إيّاه. ففعل به كذلك، فسكتا، فما أسمع لهما صوتا، ثمّ قال سيروا؛ فصدعنا يمينا وشمالا عن الظّعائن حتّى لقيناه على قارعة الطريق. فأنا لا أحبّ هذين وقد رأيت هذا من رسول الله(ص) ؟!"[1] .

ومروان هذا، الذي يعتب على أبي هريرة في حبّه للحسن والحسين[2] قد صار خليفة فيما بعد، بيده مقاليد الأمور في دولة طويلة عريضة، وهو يصرّح ببغض من يصلّي عليهما في صلاته إن كان صلّى في عمره مرّة

---

[1] ـــ الحديث أيضاً في مجمع الزّوائد للهيثمي، ج٩ ص١٨٠ ، وتهذيب التّهذيب لابن حجر العسقلاني ، ج٢ص٢٥٨ وتهذيب الكمال للمزّيّ، ج ٦ ص٢٣١، وتاريخ مدينة دمشق لابن عساكر، ج١٣ ص٢٢٢ ، والخصائص الكبرى للسّيوطيّ، ج١ص١٠٦.

[2] ـ لم يكن أبو هريرة صادقا في ما يدعيه من حبّ الحسنين ، فإنّه كان يلعن عليّاً عليه السّلام وهو أميرٌ لمعاوية على المدينة.فلو كان يحبّهما لما فعل ما يُؤذيهما.ومات أبو هريرة مصرّاً على لعن علي بن أبي طالب عليه السلام، لم يثبت أنّه تاب منه أو اعتذر .

واحدة، يقول ما قال عن سـيّدي شـباب أهل الجنّة بكلّ وقاحة،مع أنّ الله تعالى يقول (قل لا أسـألكم عليه أجرا إلاّ المودّة في القربى ومن يقترف حسنة نزد له فيها حسنا إنّ الله غفور شكور).

***

الضغائن

الأضـغان و الضـّغائن بمعنى.قال ابن منظور في اللّسـان: " ضـغن الضـغن و الضـّغن الحقد، والجمع أضـغان، وكذلك الضغينة، وجمعها الضغائن، ومنه حديث العبّاس إنّا لنعرف الضّغائن في وجوه أقوام"[1].

قال الجوهريّ:" ثمّ قالت [أي فاطمة عليها السـّلام] أنا فاطمة بنت محمّد أقول عودا على بدء، وما أقول ذلك سـرفا ولا شـططا، فاسـمعوا إليّ بأسـماع واعية وقلوب راعية؛ (لقد جاءكم رسـول من أنفسـكم عزيز عليه ما عنتّم حريص عليكم بـالمؤمنين رؤوف رحيم) فـإن تعزوه تجـدوه أبي دون نسائكم، وأخا ابن عمّي دون رجالكم، فبلّغ الرّسالة صادعا بالرّسالة ناكبا عن سـنن مدرجة المشركين، ضاربا لثجهم آخذا بأكظامهم، داعيا إلى سبيل ربّه بالحكمة والموعظة الحسنة. يجزّ الأصنام، وينكت المهام حتّى انهزم الجمع وولّوا الدّبر، وحتّى تفرّى اللّيل عن صبحه، وأسـفر الحقّ عن محصنه، ونطق زعيم الدّين وخرسـت شـقاشـق الشـّياطين، وفهتم بكلمة الإخلاص مع النّفر البيض الخمـاص (الـذين اذهـب الله عنهم الرّجس وطهّرهم تطهيرا) وكنتم على شـفا حفرة من النّار فأنقذكم منها مذقة الشـّارب[2] ولهزة الطّامع، دقبة

---

[1] ـ لسان العرب، ج١٣ص٢٥٥.

[2] ـ في لسان العرب، ج٤ ص٣٩١: المذقات جمع مذقة اللبن المخلوط بالماء.

العجلان، وموطأة الأقدام، تشـــربون الطّراق وتقتاتون القدّ، أذلّة خاشـــعين تخـافون أن يتخطّفكم النّـاس من حولكم، فـأنقذكم الله بنبيّه(ص) بعد اللّتيا والتي، وبعـد أن مني بهم الرّجـال وذؤبـان العرب كلّمـا حشـــوا ناراً للحرب أطفـأهـا الله، ونجم قرن الضـــلالة ونفر فاغر من المشـــركين قذف أخاه في لهواتهـا، فلا ينكفئ حتّى يطـأ صـــماخها بأخمصـــه، ويخمد لهبها بســـيفه، مكدودا دؤبا في ذات الله، وأنتم في رفهينة ورفغينة وادعون آمنون تتوكّفون الأخبار وتنكصـــون عن النّزال، فلما اختار الله لنبيّه(ص) دار أنبيائه وأتمّ عليه ما وعده، ظهرت حســـيكة النّفاق[1]، وســـمل جلباب الإســـلام فنطق كاظم، ونبغ خامل، وهدر فينق الكفر، يخطر في عرصـاتكم، فأطلع الشّـيطان رأسـه من مغرزه هـاتفـا بكم فوجـدكم لـدعائه مســـتجيبين، وللغرّة فيه ملاحظين، واســـتنهضـــكم فوجدكم خفافا، واحمشكم فوجدكم غضـــابا، هذا والعهد قريب، والكلم رحيب، والجرح لما يندمل فوسـمتم غير إبلكم، وأوردتموها شـربا ليس لكم، والرّسول لما يقبر بدار، أزعمتم خوف الفتنة (ألا في الفتنة سقطوا وإنّ جهنّم لمحيطة بالكافرين)" [2].

وجاء في مسـند أبي يعلى:" [..]حدثنا الفضل بن عميرة أبو قتيبة القيسيّ قال حدّثني ميمون الكردي أبو نصـير عن أبي عثمان عن عليّ بن أبي طالب قال بينما رسول الله(ص) آخذ بيدي، ونحن نمشي في بعض سكك المدينة، إذ أتينا على حديقة فقلت: يا رســـول الله ما أحســـنها من حديقة!قال لك في

---

[1] ـــ قال الجوهري في صـحاحه (مادّة حسـك ١٤٠٥)... قولهم في صـدره عليَّ حسـاكة و حسيكة أي ضِغْن وعَداوة.

[2] ـ السقيفة وفدك، الجوهري ، ص ١٤٢.

الجنّة أحسن منها. ثمّ مررنا بأخرى فقلت: يا رسول الله ما أحسنها من حديقة، قال لك في الجنّة أحسن منها، حتى مررنا بسبع حدائق، كلّ ذلك أقول ما أحسنها ويقول لك في الجنّة أحسن منها. فلمّا خلا له الطّريق اعتنقني ثمّ أجهش باكيا، قال قلت يا رسول الله ما يبكيك؟ قال: ضغائن في صدور أقوام لا يبدونها لك إلاّ من بعدي. قال قلت: يا رسول الله في سلامة من ديني؟ قال في سلامة من دينك"[1].

والحديث أيضاً في تفسير القرطبي ج٧/ ص٣١٢ (دار إحياء التراث العربي بيروت ١٤٠٥.)، وتاريخ مدينة دمشق(ابن عساكر) ج٤٢ ص٢٢٣ (دار الفكر ١٤١٥ هـ)، ومجمع الزوائد (الهيثميّ) ج٩/ص١١٨ (دار الكتب العلمية بيروت ١٤٠٨)، والمعجم الكبير(الطّبرانيّ) ج١١/ ص٦١ (مكتبة ابن تيمية / القاهرة)، والكامل(ابن عديّ) ج٧ / ص١٧٣ (دار الفكر بيروت) و تهذيب الكمال (المزّيّ) ج٢٣ /ص٢٤٠ (مؤسّسة الرّسالة ١٤١٢هـ) و ميزان الاعتدال (الذّهبيّ) ج٣ / ص٣٥٥ و ج٤ ص٤٨٠ (دار المعرفة بيروت) و المناقب للخوارزميّ ص٦٥ (مؤسسة النشر- الإسلاميّ قم ١٤١١هـ)وكنز العمّال (المتّقي الهنديّ)ج١٣ / ص١٥٦ وج١٤ ص٢٤٢ (مؤسّسة الرّسالة بيروت).

وللسيّد عليّ الميلانيّ كلمةٌ بخصوص الحديث المذكور أحبّذ للقارئ أن يتأمّل فيها ، قال السّيد: " أخرج أبو يعلى والبزّار ـــ بسند صحّحه الحاكم، والذهبيّ، وابن حبّان وغيرهم ـــ عن عليّ عليه السّلام [وذكر

---

[1] ـ مسند أبي يعلى الموصلي، ج ١ ص ٤٢٦.

الحديث إلى قوله في سلامة من دينك] ثمّ قال: " هذا اللّفظ في: مجمع الزوائد عن: أبي يعلى والبزّار، ونفس السّند موجود في المستدرك، وقد صحّحه الحاكم والذهبيّ، فيكون سنده صحيحا يقيناً؛ لكنّ اللّفظ في المستدرك مختصر وذيله غير مذكور، والله أعلم ممّن هذا التصرّف، هل هو من الحاكم أو من النّاسخين أو من النّاشرين ؟ فراجعوا. السّند نفس السّند عند أبي يعلى وعند البزّار وعند الحاكم، والحاكم يصحّحه والذّهبيّ يوافقه، إلاّ أن الحديث في المستدرك أبتر مقطوع الذّيل، لأنّه إلى حدّ " إنّ لك في الجنّة أحسن منها " لا أكثر. وهناك أحاديث أيضا صريحة في أنّ " الأقوام "المراد منهم في هذا الحديث هم"قريش" وفي المطلب السّادس أيضا بعض الأحاديث تدلّ على ذلك، فلاحظوا.."[1].

قلتُ: والحديث يتناول ضغائن في صدور أقوام، ومحلّ القلوب الصّدور، وقد عبّر القرآن بالصّدور يريد بها القلوب[2]. والمُتأمّل في ما حدث في السّقيفة، وما تبعه من هجوم على بيت فاطمة، وتهديد بإحراقه بالنّار، يُدرك أنّ القضيّة قضيّة أحقاد وضغائن لا غير؛ لأنّه لا يمكن تصوّر أن يصل الأمر بصدور نقيّة من الضّغائن والأحقاد أن تنقلب وتبلغ تلك الدّرجة من القساوة والفظاظة والغلظة في أقلّ من أسبوع. فالأمزجة والطّبائع

---

[1] ـ مظلومية الزهراء عليها السلام، السيد علي الميلاني ، ص ٢٥.

[2] ـ قال تعالى: (واتَّقُواْ الله إنَّ الله عَلِيمٌ بِذَاتِ الصُّدُور) وقال(وَنَزَعْنَا مَا فِي صُدُورِهِم مِّنْ غِلٍّ)وقال (يَا أَيُّهَا النَّاسُ قَدْ جَاءتْكُم مَّوْعِظَةٌ مِّن رَّبِّكُمْ وَشِفَاء لِّمَا فِي الصُّدُور وَهُدًى وَرَحْمَةٌ لِّلْمُؤْمِنِينَ) وقال (يَعْلَمُ مَا يُسِرُّونَ وَمَا يُعْلِنُونَ إِنَّهُ عَلِيمٌ بِذَاتِ الصُّدُور) وقال (وَإِنَّ رَبَّكَ لَيَعْلَمُ مَا تُكِنُّ صُدُورُهُمْ وَمَا يُعْلِنُونَ) وقال (مَعَكُمْ أَوَلَيْسَ الله بِأَعْلَمَ بِمَا فِي صُدُورِ الْعَالَمِينَ)وقال (يَعْلَمُ خَائِنَةَ الأَعْيُنِ وَمَا تُخْفِي الصُّدُورُ)وقال (قَدْ بَدَتِ الْبَغْضَاء مِنْ أَفْوَاهِهِمْ وَمَا تُخْفِي صُدُورُهُمْ أَكْبَرُ)..

البشـريّةلا يمكنها التحوّل بهذه السـّرعة من الخير إلى الشـّرّ دون اسـتعداد كامن، خصـوصـا عند من تجاوز الأربعين حيث تسـتقرّ الأخلاق والمَلَكات. وقد كان ما أقدم عليه حزب السّقيفة قمّة الشّرّالتي ليس بعدها شرّ، إذ لا شرّ أكبر من الهجوم على بيت كان يجمع رسـول الله وجبريل وأهل الكسـاء المطهّرين بنصّ الكتاب العزيز في نفس الأسـبوع الذي تُوُفِّيَ فيه رسـول الله(ص) . وكيف يجتمع حبّ النّبيّ(ص) والهجوم على أحبّ الخلق إليه؟! فالأحقاد كانت تغلي في صـدور الأقوام من زمان، وقد جاء وقت ظهورها بغياب شـخص النّبيّ الكريم؛ وليس هناك وحي بعده يفضـح من يسـتحقّ الفضـح، لكن قد أخبر(ص) بأمور تحصـل بعده يرتدّ فيها أقوام ويشكّ فيها آخرون، ويثبت فيها من امتحن الله قلوبهم للتّقوى، وجعل(ص) رضـا فاطمة وسـخطها علامةً على ذلك، فمن سخطت عليه فاطمة عليها السّلام فإنّ معنى ذلك أنّ الله تعالى سـاخط عليه، وهذا الحديث ثابت في محلّه ، ذكره الطّبرانيّ في المعجم الكبير قال: "حدّثنا محمد بن عبد الله الحضـرميّ حدّثنا عبد الله بن محمد بن سالم القزّاز حدّثنا حسين بن زيد بن عليّ عن عليّ بن عمر بن عليّ عن جعفر بن محمد عن أبيه عن عليّ بن الحسين عن الحسين بن عليّ رضي الله تعالى عنه عن عليّ رضي الله تعالى عنه قال قال رسول الله صلّى الله عليه وسلّم لفاطمة رضـي الله تعالى عنها إنّ الله يغضـب لغضـبك ويرضى لرضاك "[1].

وفي المعجم الكبير أيضـاً: "حدثنا بشـر بن موسـى ومحمد بن عبد الله

[1] ـ المعجم الكبير الطّبرانيّ ج١/ص١٠٨ .

الحضـرميّ قالا حدّثنا عبد الله بن محمد بن سالم القزّاز قال حدّثنا حسين بن زيـد بن عليّ وعليّ بن عمر بن عليّ عن جعفر بن محمـد عن أبيـه عن عليّ بن الحسـين عن الحسـين بن عليّ عن عليّ قال قال رسـول الله صلى الله عليه وسلم لفاطمة: إنّ الله يغضب لغضبك ويرضى لرضاك"[1].

وفيه أيضـا:"..الليث حدّثني عبد الله بن عبيد الله بن أبي مليكة القرشيّ أنّ المسـوّر بن مخرمة أخبره أنّه سـمع النّبيّ (ص) على المنبر يقول إنمّا ابنتي بضـعة منّي يريبني ما أرابها ويؤذيني ما آذاها[2]. حدّثنا موسـى بن هارون حدثنا قتيبة بن سـعيد حدثنا ابن لهيعة حدثنا بن أبي مليكة عن المسـوّر بن مخرمة أنّ رسـول الله (ص) صـعد المنبر فحمد الله وأثنى عليه ثم قال إنّما ابنتي يعني فاطمة بضعة منّي يريبني ما أرابها ويؤذيني ما آذاها. حدّثنا أحمد بن محمّد الهدي الأصبهانيّ حدّثنا أبو الوليد الطيالسيّ حدّثنا سفيان بن عيينة عن عمرو بن دينار عن بن أبي مليكة عن المسوّر بن مخرمة قال: قال رسول الله(ص) فاطمة بضعة منّي من أغضبها أغضبني"[3].

وقد عبّرت فاطمة عن تلك الضغائن بقولها[4]:

أبدتْ رجالٌ لنا فَحْوى صُدورهم لمّا قضيتَ وحالتْ دُونك التُّربُ

وقد كان النبيّ(ص) يُري الأمّة ما ينبغي أن تعامل به فاطمة عليها السّلام، ومن ذلـك مـا رواه الطّبرانيّ في المعجم الأوسـط: حـدّثنـا عليّ قـال أخبرنا

---

[1] ـ المعجم الكبير ، الطّبرانيّ ، ج ٢٢ ص ٤٠١.

[2] ـــ وقد أراد أقوام من النواصب تحريف الحديث ليجعلوا فاطمة غاضبة على علي والعياذ بالله،ويكفي لإبطال ما راموه الحديث الصحيح الذي يصف عليا بقوله (يحب الله ورسوله ويحبه الله ورسوله).

[3] ـ نفس المصدر ج ٢٢ ص ٤٠٤ .

[4] ـ السّقيفة وفدك ، الجوهري، ص ١٤٥.

الحسن بن شوكر قال أخبرنا إسماعيل بن جعفر عن إسرائيل عن ميسرة بن حبيب عن المنهال بن عمرو عن عائشة بنت طلحة عن عائشة أمّ المؤمنين قالت: ما رأيت أحداً من خلق الله أشبه برسول الله(ص) دينا ولا جلسة ولامشية من فاطمة، وكانت إذا دخل عليها رسول الله(ص) رحّبتْ به وقامت من مجلسها وقبّلتْ يدَه واجلستْه في مجلسها، وكانت إذا دخلتْ على رسول الله(ص) رحّب بها وقام إليها وقبّل يدها وأجلسها في مجلسه"[1].وأيضا مارواه في الأوسط: "حدثنا عليّ قال أخبرنا الحسن بن عمر بن شقيق قال أخبرنا أسود بن حفص المروزيّ قال أخبرنا الحسين بن حكيم عن يزيد النحويّ عن عكرمة عن ابن عباس قال: كان رسول الله(ص) إذا قدم من سفر قبّل ابنته فاطمة"[2].

وكانت فاطمة عليها السّلام تصرّح أنّها تخشى الضّيعة بعد النبيّ(ص) . ففي المعجم الأوسط:" حدّثنا محمد بن رزيق بن جامع حدّثنا الهيثم بن حبيب أخبرنا سفيان بن عيينة عن عليّ بن عليّ الهلاليّ عن أبيه قال دخلتُ على رسول الله (ص) في شكاته التي قبض فيها فإذا فاطمة عند رأسه قال فبكت حتى ارتفع صوتها، فرفع رسول الله(ص) طرفه إليها فقال: حبيتبي فاطمة ما الذي يبكيك؟ قالت: أخشى الضّيعة من بعدك. قال: يا حبيبتي أما علمت أنّ الله أطّلع على الأرض اطّلاعة فاختار منها أباك فبعثه برسالته ثمّ اطّلع على الأرض اطّلاعة فاختار منها بَعْلَك وأوحى إليّ أن أُنكحك إيّاه. يا فاطمة ونحن أهل بيت قد أعطانا الله سبع خصال لم يعط أحداً قبلنا ولا

---

١ -المعجم الأوسط ، الطّبرانيّ، ج ٤ ص ٢٤٢ [دار الحرمين].

٢- نفس المصدر، ج ٤ ص ٢٤٨.

تعطى أحداً بعدنا، أنا خاتم النّبيّين وأكرم النّبيّين على الله وأحبّ المخلوقين إلى الله وأنا أبوك، ووصيّي خير الأوصياء وأحبّهم إلى الله وهو بعلك. وشهيدنا خير الشّهداء وأحبّهم إلى الله وهو حمزة بن عبد المطّلب وهو عمّ أبيك وعمّ بعلك. ومنّا مَن له جناحان أخضران يطير في الجنّة مع الملائكة حيث يشاء وهو ابن عمّ أبيك وأخو بعلك. ومنّا سبطا هذه الأمّة وهما ابناك الحسن والحسين وهما سيّدا شباب أهل الجنّة، وأبوهما والذي بعثني بالحقّ خير منهما. يا فاطمة والذي بعثني بالحقّ إنّ منهما مهديّ هذه الأمّة إذا صارت الدّنيا هرج ومرج[1] وتظاهرت الفتن، وتقطّعت السّبل، وأغار بعضهم على بعض، فلا كبير يرحم الصّغير ولا صغير يوقّر الكبير، فيبعث الله عند ذلك منهما من يفتح حصون الضّلالة وقلوبا غلفاً يهدمها هدماً، يقوم بالدّين في آخر الزّمان كما قمتُ به في أوّل الزمان، يملأ الدّنيا عدلاً كما مُلئت جوراً. يا فاطمة لا تحزني ولا تبكي فإنّ الله أرحم بك وأرأف عليك منّي، وذلك لمكانك منّي وموقعك من قلبي وزوّجك الله زوجَك وهو أشرف أهل بيتي حسباً، وأكرمهم منصباً، وأرحمهم بالرّعيّة، وأعدلهم بالسّويّة، وأبصرهم بالقضيّة. وقد سألت ربّي أن تكوني أوّل من يلحقني من أهل بيتي. قال عليّ بن أبي طالب فلمّا قُبض النّبيّ(ص) لم تبق فاطمة بعده إلاّ خمسة وسبعين يوماً حتّى الحقها الله به صلى الله عليه وسلم "[2].

إذاً، كانت فاطمة تخشى الضّيعة بعد النّبيّ(ص) ، وهي ابنتُه وسيّدة نساء أهل الجنّة، ولها حرمتها بنصّ الكتاب العزيز، وهي في مقتبل العمر، فما معنى

---

[1] ـ كذا. ويحتمل أن يكون منصوبا (هرجاً ومرجاً) باعتبار أنّه خبر صار وذلك يقتضي النصب.

[2] ـ المعجم الأوسط للطبراني ج٦/ص٣٢٧.

هذا التخوّف؟ لعلّه يكشف مُعاناة كانت تكتمها في حياته، لأنّ من نسائه مَن كُنّ يبغضْن عليّاً عليه السّلام ويريْن فيه منافساً لآبائهنّ؛ ومنهنّ من أرسلتْ قميصَ عثمان فيما بعد إلى معاوية يستدرّ به دموع السّذّج بكاء على الخليفة المظلوم! وربّما لحقَ فاطمةَ عليها السلام أذىً كبيرٌ داخلَ البيت النّبويّ الشّريف لأنّها كانت تُذكّر بالضّرّة الغائبة الحاضرة خديجةَ أمّ المؤمنين عليها السلام، أفضل أزواج النّبيّ(ص) على الإطلاق. وربّما لحقَها الأذى داخل البيت النبويّ الشّريف لأنّ ذرّية النّبيّ(ص) انحصرت فيها، فلا أحد يَرجع نسبُه إلى النبيّ (ص) إلاّ عن طريق ولديها الحسن والحسين! وربّما كانت هناك أسباب أخرى لم تَبلغنا. المهمّ أنّ فاطمة عليها السلام لم تكن ترغب في الحياة بعد رسول الله (ص) ، وتصرّح بأنها تخشى الضيعة!! **بنتُ رسول الله تخشى الضّيعة في أمّة رسول الله !!**، وَتِلْكَ الأَمْثَالُ نَضْرِبُهَا لِلنَّاس لَعَلَّهُمْ يَتَفَكَّرُونَ. وقد بقيت فاطمة عليها السّلام مدّة قصيرة بعد النبيّ(ص) حزينةً متظلّمةً، باكية ليلَها ونهارَها، تارةً عند قبر أبيها(ص) ، وتارة عند قبرعمّ أبيها حمزة عليه السلام. قال الجوهريّ في كتاب (السّقيفة وفدك):" ثمّ التفتت الى قبر أبيها صلّى الله عليه وسلّم متمثّلة بقول هند ابنة أثاثة:

قدْ كانَ بعدَكَ أنباءٌ و هَنْبَثَةٌ لو كُنتَ شاهدَها لم تكثُر الخُطبُ

إنّا فقدْناكَ فقْدَ الأرض وابلَها واختلّ قومُك لمّا غبتَ وانقَلبوا[1]

وخطبتُها مذكورة أيضا في شرح نهج البلاغة ج١٦ ص٢٥١ (دار إحياء الكتب العربية)وكشف الغمة للأربليّ ج٢/ص١١١ (دار الأضواء بيروت ١٤٠٥

---

١ ـ السّقيفة وفدك ـ الجوهري ـ ص ١٤٥.

هـ) وجواهر المطالب في مناقب الإمام عليّ عليه السلام لابن الدّمشقيّ ج١ص١٥٦(مجمع إحياء الثقافة الإسلامية ١٤١٥ هـ).

***

عاقبة مُبْغضي عليّ عليه السلام

قال الطبراني في المعجم الكبير: "حدّثنا محمد بن عبد الله الحضرميّ حدّثنا جندل بن والق حدّثنا محمد بن عمر المازني عن عباد الكلبيّ عن جعفر بن محمّد عن أبيه عن عليّ بن حسين عن فاطمة الصّغرى عن حسين بن عليّ عن أمّه فاطمة بنت رسول الله (ص) قالت خرج علينا رسول الله (ص) عشيّة عرفة فقال إنّ الله باهى بكم وغفر لكم عامّة ولعليّ خاصّة. وإنّي رسول الله إليكم غير محاب لقرابتي. هذا جبريل يخبرني أن السّعيد حقّ السّعيد من أحبّ عليّاً في حياته وبعد موته وأنّ الشقيّ كلّ الشقيّ من أبغض عليّاً في حياته وبعد موته"[1].

وإذا كان الأمرُ كذلك، فمن حقّ المسلم أن يطالع في كتب التّاريخ والرّجال والتّراجم، وينظر بعيْن البصيرة ليرى إن كان هناك مَن أبغض عليّاً في حياته وبعد وفاته، ليُجريَ عليه الحكم الذي أجراه النّبيّ(ص) بإخبار من جبريل، وهذا الحكم هو الشّقاء؛ وليس الشّقيّ من أهل النّجاة، بدليل قول الله تعالى ﴿وأمّا الذين شقوا ففي النّار لهم فيها زفير وشهيق﴾. وبضمّ معنى الآية إلى معنى الحديث الشّريف يكون مُبْغض عليّ من أهل النّار. وعليه

---

١ – المعجم الكبير، الطّبرانيّ، ج ٢٢ ص ٤١٥.

فبُغْض عليّ ممّا يُدخل النّار. وما يَدخُل الإنسانُ بسببه النّارَ الكبائرُ والموبقاتُ إذا مات مصرّاً عليها. فبغضُ عليّ كبيرةٌ من الكبائر التي مَن تلبّس بها وأصرّ عليها حتى مات دخلَ النّار. وعندنا في كتب التّاريخ والتّراجم قائمة طويلة لرجال ونساء عاشوا في زمن النبيّ(ص) وسمعوا منه النّهيَ عن بغض عليّ عليه السّلام، ومع ذلك أبغضوه وحاربوه وسبّوه ولعنوه وشتموه وافتروا عليه، وماتوا مُصرّين على ذلك. فإذا اقتدى مسلم بالنّبيّ(ص) في الحكم عليهم بالشّقاء فإنّه لن يكون ظالماً لهم، ولا متعدّياً على حقوقهم؛ بل على عكس ذلك تماماً، لوْ حكَم بنجاتهم يكون مكذّباً للنّبيّ(ص) ، ولجبريل، ولله تعالى؛لأنّ الحديث السّابق يقول: (هذا جبريل يُخبرني أنّ السّعيد حقّ السّعيد من أحبّ عليّاً في حياته وبعد موته وأنّ الشّقيّ كلّ الشّقيّ من أبغض عليّاً في حياته وبعد موته). وجبريل لا يقول هذا من تلقاء نفسه، وإنّما يخبر عن الله تعالى. فحكْم مَن يبغض عليّاً عليه السّلام عند الله تعالى أنّه شقيّ. والأشقياء في النّار لهم فيها زفير وشهيق. وفي الحقيقة لا يحتاج المتديّن العامل بكلامه تعالى وكلام رسوله المصطفى(ص) إلى تنبيه بخصوص الموقف من عليّ عليه السّلام بعد أن ثبت في الصّحاح قول النّبيّ(ص) عنه " يحبّ الله ورسوله ويحبّه الله ورسوله "؛ قال البخاريّ في الحديث رقم ٣٩٧٢ حدّثنا عبد الله بن مسلمة حدّثنا حاتم عن يزيد بن أبي عبيد عن سلمة رضي الله عنه قال كان عليّ بن أبي طالب رضي الله عنه تخلف عن النبيّ(ص) في خيبر وكان رمداً فقال أنا أتخلف عن النبيّ(ص) فلحق به. فلمّا بتنا اللّيلة قال لأعطينّ الرّاية غداً أو ليأخذنّ الرّاية غداً رجل يحبّه الله ورسوله يفتح الله عليه فنحن نرجوها فقيل هذا عليّ فأعطاه ففتح عليه. وفي الحديث رقم ٣٩٧٣ حدثنا

قتيبة بن سعيد حدثنا يعقوب بن عبد الرحمن عن أبي حازم قال أخبرني سهل بن سعد رضي الله عنه أن رسول الله(ص) قال يوم خيبر لأعطينّ هذه الرّاية غداً رجلاً يفتح الله على يديه يحبّ الله ورسوله ويحبّه الله ورسوله. قال فبات الناس يدوكون ليلتهم أيّهم يُعطاها، فلمّا أصبح النّاس غدوا على رسول الله(ص) كلّهم يرجو أن يُعطاها، فقال أين عليّ بن أبي طالب ؟ فقيل هو يا رسول الله يشتكي عينيه. قال فأرسلوا إليه، فأُتي به فبصق رسول الله(ص) في عينيه ودعا له فبرأ حتّى كأن لم يكن وجع، فأعطاه الرّاية، فقال علي يا رسول الله أقاتلهم حتى يكونوا مثلنا؟ فقال انفذ على رسلك حتى تنزل بساحتهم ثمّ ادعهم إلى الإسلام، وأخبرهم بما يجب عليهم من حق الله فيه، فوالله لأن يهدي الله بك رجلا واحدا خير لك من أن يكون لك حمر النّعم "[1]. فهذا كلام لم يقلْه النبيّ(ص) أمام شخص أو اثنين حتّى يمكن التّشكيك فيه والطعن في إسناده، وإنّما قاله أمام جيش كامل ليلة فتح خيبر؛ ولقد بلغت أهمّيّة هذا الكلام أن بات الناس يدوكونه كُلٌّ يرجو أن يكون هو، فلا سبيل إلى التماس الأعذار لمبغض عليّ بعدها.

وجاءت بعد شهادة عليّ عليه السلام دولةٌ جعلت من بغضه شعاراً لها تنادي به جهاراً، وفرضت سبّه ولعنه وشتمه على المنابر، وعلّموا ذلك

---

[1] – صحيح البخاري ج٤ص١٥٤٢.والحديث أيضاً في صحيح البخاري ج٣ص١٠٩٦ وصحيح مسلم ج٣ ص١٤٤٠ و ج٤ ص١٨٧١ وص١٨٧٢ وصحيح ابن حبان ج١٥ ص٣٧٩ وص٣٨٢ ومستدرك الحاكم ج٣ص٤٠ وص١١٧ ومسند أبي عوانة ج٤ ص١٠٦ وص٣١٠ وسنن الترمذي ج٥ ص٦٣٨ ومجمع الزوائد ج٦ ص١٥٠ وسنن البيهقي الكبرى ج٩ص١٣١ والسنن الكبرى (النسائي) ج٥ص١٠٧و ١٠٦و١٠٧و١٠٨و ١٠٩و١١٠ و١١ و١١٢و١١٣ و١٢٢ و١٤٤ و ١٧٣ وسنن ابن ماجه ج١ص٤٣ ومصنف ابن أبي شيبة ج٦ ص ٣٦٦ و٣٦٧ و٣٦٩.

الصـبيان في الكتاتيب، مع علمهم أنّه حبيب الله تعالى ورسـوله الكريم كما في الحديث الصـحيح السّابق، وجعلوا حبّه عليه السـلام جريمة يسـتحقّ صـاحبها القتل! فلو كان لهم إلى الله تعالى سـبيل وكان يجوز عليه القتلُ لقتلوه ،لأنّه جلّ شـأنه يحبّ عليّا، ومُحبّ عليّ في قانون تلك الدّولة يستحقّ القتـل.ولو كـان النبي(ص) بين أظهرهم لجوّزوا قتلـه، لأنه يحبّ عليّاً! ومن أركان تلك الدولة: عمرو بن العاص، وأبوالأعورالسّلميّ، والمغيرة بن شعبة الثّقفيّ، وأبو هريرة الدّوسـيّ، والوليد بن عقبة بن أبي معيط الأمويّ، وعتبة بن أبي سـُفْيان، وأبان بن عثمان بن عفّان، وعبد الرّحمن بن خالد بن الوليد بن المغيرة المخزوميّ، وبسْر بن أرْطاة، وسـمرة بن جندب، ومسلم بن عقبة المرّيّ(الـذي اسـتبـاح المدينة بأمر يزيد بن معاوية)، وعبد الله بن عمرو بن العـاص(تلميـذ كعـب الأحبار) وحبيب بن مسـلمة الفهريّ(المتّهم بالهجوم على بيت فاطمةعليها السّلام) ومروان بن الحكم، وزياد بن أبيه، وعبد الله بن عـامر بن كريز، ويعلى بن منية، وذوالكلاع، وزفر بن الحارث، ومسـلمة بن مخلد، وجماعة كثيرة كانت تتقرب إلى الله تعالى بلعن أوليائه وأحبّ الخلق إليه!

* * *

ختاماً، لا يسعني إلاّ أن أذكّر بما قلته في أوّل الكتاب من إشارة إلى فائدة التّدبّر، ودوره في توضـيح المعاني والمفاهيم القرآنية، إذا أُخذ في الاعتبار مقـام النّبوّة ومـا يليق بـه، ورعـايـة حرمـة الله تعـالى في الحـديث عن كلامه العزيز الذي لا يأتيه الباطل من بين يديه ولا من خلفه. ولئن كنت أستبعد أن

يكون هؤلاء المفسّرون الذين سبقت عباراتهم مغرضين متعمّدين ماوقعوا فيه من التّضارب والخلط في مصطلح واحد بدأ ذكرُه ببداية نزول القرآن وانتهى بنهايته، فإنّني لا أستبعد أن تكون أسطورة عدالة جميع الصّحابة قد أثّرت في تفكيرهم وغسلت أدمغتهم وصاغت تعابيرهم إلى أن أصبحوا لا يدرون ما يقولون ولا ما يفعلون.ولو أنّهم عملوا بوصيّة رسول الله(ص) في الثّقلين، الكتاب والعترة، وطلبوا الأمر في مظانّه، لأكلوا من ثمار المعرفة من فوقهم ومن تحت أرجلهم! لكنّهم لم يكتفوا بدعوى صعب عليهم منالها، بل أمعنوا في البعد عن خزّان العلم وسمحوا لأنفسهم بالخوض في أحواض حفَرَها كعب الأحبار وتميم الدّاري ووهب بن منبه ومن اقتدى بهم،فكان ما كان ولا يزال.

كان على المفسّرين أن يحترموا كلام رسول الله(ص) حين قال :"أنا مدينة العلم وعليّ بابها " لا أن يسعوا إلى الطّعن في الحديث ونسبته إلى الوضع. وكان عليهم أن يستفيدوا من نعمة حضور أئمة أهل البيت عليهم السّلام وينهلوا من علمهم الموروث عن جدّهم صلوات الله وسلامه عليه وعليهم أجمعين، لا أن يهمّشوهم ويتفادوا النّقل عنهم في كلّ كبير وصغير.

كان على المفسّرين أن يتدبّروا كلام رسول الله(ص) كما يتدبّرون القرآن الكريم، وأن يتمعّنوا جيّدا في قوله تعالى﴿الله أعلم حيث يجعل

رسالته﴾[1] ويسائلوا أنفسهم لمَ لا يكون آل محمّد(ص) كآل إبراهيم وآل عمران وآل يعقوب وآل داوود؟! لمَ لا يكون وصيّ رسول الله(ص) كوصيّ موسى ووصيّ سليمان وأوصياء غيرهما من الأنبياء والرسل صلوات الله عليهم أجمعين؟!

أليس من العمى أن يُصلّيَ المرءُ على آل محمّد(ص) في صلاته ثمّ يهمّشهم خارج صلاته كأنْ لم ينزل في بيتهم آية واحدة؟!

أوَليسَ من الضّلال أنْ يُقال لرسول الله(ص) ـ ضمْناً لا صراحةً ـ أمّا أنت فَنَعَمْ وأمّا أهل بيتك فلا؟!

هذا حديث من أحاديث النّبيّ صلّى الله عليه وآله فيه عبرة لمن أراد أن يذّكّر أو أراد شكورا :

أخرج الطبرانيّ عن زيد بن أرقم قال قال رسول الله صلّى الله عليه وسلّم إني لكم فرط وإنكم واردون علي الحوض فانظروا كيف تخلفوني في الثقلين قيل وما الثقلان يا رسول الله قال الأكبر كتاب الله عز وجل سبب طرفه بيد الله وطرفه بأيديكم فتمسّكوا به لن تزالوا ولا تضلوا والأصغر عترتي وإنهما لن يتفرقا حتّى يَردَا عليّ الحوض وسألت لهما ذاك ربّي فلا تَقَدّمُوهُما لتَهلكُوا ولا تعلّموهما فإنّهما أعلم منكم.

قال ابن حجر الهيتميّ :" وفي رواية وإنهما لن يتفرّقا حتّى يردا عليّ الحوض سألت ربي ذلك لهما فلا تتقدموهما فتهلكوا ولا تقصروا عنهما

---

[1] ـــ وَإِذَا جَاءتْهُمْ آيَةٌ قَالُواْ لَن نُّؤْمِنَ حَتَّى نُؤْتَى مِثْلَ مَا أُوتِيَ رُسُلُ الله الله أَعْلَمُ حَيْثُ يَجْعَلُ رِسَالَتَهُ سَيُصِيبُ الَّذِينَ أَجْرَمُواْ صَغَارٌ عِندَ الله وَعَذَابٌ شَدِيدٌ بِمَا كَانُواْ يَمْكُرُونَ (الأنعام ١٢٤).

فتهلكوا ولا تعلموهم فإنّهم أعلم منكم . ولهذا الحديث طرق كثيرة عن بضع وعشرين صحابيا لاحاجة لنا إلى بسطها ..."[1]

الحديث في المعجم الكبير للطّبرانيّ ج٣/ص٦٦وج٥ ص١٦٦ والدّرّ المنثور ـــ للسّيوطيّ ج٢/ص٢٨٥ و مجمع الزوائد للهيثميّ ج٩/ص١٦٤ وسمط النجوم العوالي ج٤ص١٦٠.

ومع بالغ الأسف، لم نجد لأئمة أهل البيت عليهم السلام الذين شهد لهم النبيّ(ص) بالأعلميّة ـــ لم نجد لهم ـــ كلمة واحدة في التّفاسير السّابقة بخصوص طائفة الذين في قلوبهم مرض، ولعلّ ذلك راجع إلى كونهم لا يؤمنون بعدالة جميع الصّحابة التي فرضتها ثقافة الكرسيّ.

والحمدُ لله ربّ العالمين، وصلّى اللهُ على سيّدنا محمّد وآله الطّاهرين.

---

[1] ـ الصواعق المحرقة على أهل الرفض والضلال والزندقة ج٢/ص٦٥٣.

الخاتمة

ختاماً، لا يسعني إلاّ أن أذكّر بما قلته في أوّل الكتاب من إشارة إلى فائدة التّدبّر ، ودوره في توضيح المعاني والمفاهيم القرآنية، إذا أُخذ في الاعتبار مقام النّبوّة وما يليق به، ورعاية حرمة الله تعالى في الحديث عن كلامه العزيز الذي لا يأتيه الباطل من بين يديه ولا من خلفه. ولئن كنت أستبعد أن يكون هؤلاء المفسّرون الذين سبقت عباراتهم متعمّدين ماوقعوا فيه من التّضارب والخلط في مصطلح واحد بدأ ذكرُه ببداية نزول القرآن وانتهى بنهايته، فإنّني لا أستبعد أن تكون أُسطورةُ عدالة جميع الصّحابة قد أثّرت في تفكيرهم وغسلت أدمغتهم وصاغت تعابيرهم إلى أن أصبحوا لا يدرون ما يقولون ولا ما يفعلون.ولو أنّهم عملوا بوصيّة رسول الله(ص) في الثّقلين، الكتاب والعترة، وطلبوا الأمر في مظانّه، لأكلوا من ثمار المعرفة من فوقهم ومن تحت أرجلهم! لكنّهم لم يكتفوا بدعوى صعب عليهم منالُها، بل أمعنوا في البعد عن خُزّان العلم وسمحوا لأنفسهم بالخوض في أحواض حفَرَها كعبُ الأحبار وتميم الدّاري ووهب بن منبه ومن اقتدى بهم، فكان ما كان ولا يزال.

كانَ على المُفسّرين أن يحترموا كلام رسول الله(ص) حين قال :"أنا مدينة العلم وعلي بابها " لا أن يسعوا إلى الطّعن في الحديث ونسبته إلى الوضع. وكان عليهم أن يستفيدوا من نعمة حُضور أئمة أهل البيت عليهم السّلام وينهلوا من علمهم الموروث عن جدّهم صلوات الله وسلامه عليه

وعليهم أجمعين، لا أن يهمّشوهم ويتفادوا النقل عنهم في كل كبير وصغير.

كان على المفسّرين أن يتدبّروا كلام رسول الله(ص) كما يتدبّرون القرآن الكريم، وأن يتمعّنوا جيّدا في قوله تعالى﴿اللهُ أعلمُ حيثُ يجعلُ رسالَته﴾[1] ويسائلوا أنفسهم لمَ لا يكون آل محمد(ص) كآل إبراهيم وآل عمران وآل يعقوب وآل داوود؟! لمَ لا يكون وصيّ رسول الله(ص) كوصيّ موسى ووصي سليمان وأوصياء غيرهما من الأنبياء والرسل صلوات الله عليهم أجمعين؟!

أليس من العمى أن يُصلّيَ المرءُ على آل محمد(ص) في صلاته ثمّ يهمّشهم خارج صلاته كأنْ لم ينزل في بيتهم آية واحدة؟!

أوَليسَ من الضّلال أنْ يُقال لرسول الله(ص) ـ ضمْناً لا صراحةً ـ أمّا أنت فَنَعَمْ وأمّا أهل بيتك فلا؟!

هذا حديث من أحاديث النبيّ(ص) فيه عبرة لمن أراد أن يذّكّر أو أراد شكورا :

وأخرج الطبراني عن زيد بن أرقم قال قال رسول الله(ص) إني لكم فرط وإنكم واردون علي الحوض فانظروا كيف تخلفوني في الثقلين قيل وما الثقلان يا رسول الله قال الأكبر كتاب الله عز وجل سبب طرفه بيد الله وطرفه بأيديكم فتمسكوا به لن تزالوا ولا تضلوا والأصغر عترتي وإنهما لن

---

[1] ـــ وَإِذَا جَاءتْهُمْ آيَةٌ قَالُواْ لَن نُّؤْمِنَ حَتَّى نُؤْتَى مِثْلَ مَا أُوتِيَ رُسُلُ الله الله أَعْلَمُ حَيْثُ يَجْعَلُ رِسَالَتَهُ سَيُصِيبُ الَّذِينَ أَجْرَمُواْ صَغَارٌ عِندَ اللَّهِ وَعَذَابٌ شَدِيدٌ بِمَا كَانُواْ يَمْكُرُونَ (الأنعام ١٢٤).

يتفرقا حتى يردا علي الحوض وسألت لهما ذاك ربي فلا تقدموهما لتهلكوا ولا تعلموهما فإنهما أعلم منكم.

الحديث في المعجم الكبير للطبراني ج٣/ص٦٦وج٥ ص١٦٦ والدر المنثور ـ للسيوطي ج٢/ص٢٨٥ و مجمع الزوائد للهيثمي ج٩/ص١٦٤و سمط النجوم العوالي ج٤ص١٦٠

قال ابن حجر الهيتمي :" وفي رواية وإنهما لن يتفرقا حتى يردا علي الحوض سألت ربي ذلك لهما فلا تتقدموهما فتهلكوا ولا تقصروا عنهما فتهلكوا ولا تعلموهم فإنهم أعلم منكم . ولهذا الحديث طرق كثيرة عن بضع وعشرين صحابيا لاحاجة لنا إلى بسطها ..."[1].

ومع بالغ الأسف، لم نجد لأئمة أهل البيت عليهم السلام الذين شهد لهم النبي(ص) بالأعلميّة ـــ لم نجد لهم ـــ كلمة واحدة في التّفاسير السابقة بخصوص طائفة الذين في قلوبهم مرض، ولعلّ ذلك راجع إلى كونهم لا يؤمنون بعدالة جميع الصّحابة التي فرضتها ثقافة الكرسيّ.

---

[1] ـ الصواعق المحرقة على أهل الرفض والضلال والزندقة ج٢/ص٦٥٣.

مصادر الكتاب

القرآن الكريم

١. أسباب نزول الآيات/ الواحدي النيسابوري / مؤسسة الحلبي وشركائه ١٣٨٨

٢. أسباب نزول الآيات/ الواحدي النيسابوري /

٣. الإتقان في علوم القرآن/ السيوطي، دار النشر: دار الفكر - لبنان - ١٤١٦هـ- ١٩٩٦م، الطبعة: الأولى، تحقيق: سعيد المندوب.

٤. أحكام القرآن/ الجصاص ـ دار الكتب العلمية بيروت ١٤١٥

٥. أحكام القرآن/ الجصاص / دار إحياء التراث العربي - بيروت - ١٤٠٥، تحقيق: محمد الصادق قمحاوي.

٦. إرشاد العقل السليم إلى مزايا القرآن الكريم/ لأبي السعود محمد بن محمد العمادي، دار النشر: دار إحياء التراث العربي – بيروت.

٧. أضواء البيان في إيضاح القرآن بالقرآن/ الشنقيطي/ دار الفكر للطباعة والنشر/ بيروت. ١٤١٥هـ/١٩٩٥م.، تحقيق: مكتب البحوث والدراسات.

٨. أضواء على السنة المحمدية/محمود أبو ريّة/ نشر البطحاء/١٣٨٥/الطبعة الخامسة، مزيدة محققة.

٩. الإكتفاء بما تضمنه من مغازي رسول الله والثلاثة الخلفاء، /أبو الربيع سليمان بن موسى الكلاعي الأندلسي، دار النشر: عالم الكتب - بيروت - ١٤١٧هـ الطبعة: الأولى، تحقيق: د . محمد كمال الدين عز الدين علي

١٠. البرهان في علوم القرآن/ /الزركشي/ دار المعرفة ـ بيروت ـ ١٣٩١، تحقيق: محمد أبو الفضل إبراهيم.

١١. البرهان في علوم القرآن/الزركشي أبو عبد الله، دار النشر: دار المعرفة - بيروت - ١٣٩١، تحقيق: محمد أبو الفضل إبراهيم.
١٢. التبيان في آداب حملة القرآن/ النووي/ الوكالة العامة للتوزيع - دمشق - ١٤٠٣هـ - ١٩٨٣م، الطبعة: الأولى.
١٣. التبيان في تفسير غريب القرآن/ شهاب الدين المصري/ دار الصّحابة للتراث بطنطا - مصر - ١٤١٢هـ ١٩٩٢م، الطبعة: الأولى، تحقيق: فتحي أنور الدابلوي.
١٤. التبيان في أقسام القرآن /ابن القيم - الناشر : دار الفكر .
١٥. تفسير القرآن العظيم/ ابن كثير الدمشقي دار النشر: دار الفكر - بيروت - ١٤٠١
١٦. تفسير القرآن العظيم / ابن كثير - دار المعرفة بيروت١٤١٢
١٧. تفسير القرآن العظيم/ابن كثير/دار الفكر بيروت ١٤٠١
١٨. تفسير الثعالبي / دار إحياء التراث العربي ١٤١٨
١٩. تفسير الثعالبي /مؤسسة الأعلمي للمطبوعات - بيروت
٢٠. تفسير البغوي/ دار المعرفة - بيروت، تحقيق: خالد عبد الرحمن العك.
٢١. تفسير البيضاوي/ البيضاوي،: دار الفكر - بيروت
٢٢. التفسيرالكبير الفخرالرازي دار الكتب العلمية/بيروت/١٤٢١(الطبعةالأولى).
٢٣. تفسير القرآن / السمعاني/ دار الوطن - الرياض - السعودية - ١٤١٨هـ - ١٩٩٧م، الطبعة: الأولى، تحقيق: ياسر بن إبراهيم و غنيم بن عباس بن غنيم
٢٤. تفسير ابن عربي/: دار الكتب العلمية - لبنان/ بيروت - ١٤٢٢هـ - ٢٠٠١م، الطبعة: الأولى، تحقيق: ضبطه وصححه وقدم له الشيخ عبد الوارث محمد علي.
٢٥. تفسير الجلالين/ محمد بن أحمد - عبدالرحمن بن أبي بكر السيوطي/دار الحديث - القاهرة، الطبعة: الأولى.

٢٦. تفسير البحر المحيط، أبو حيان الأندلسي/ دار الكتب العلمية ـ لبنان/ بيروت ـ ١٤٢٢هـ/الطبعة: الأولى، تحقيق: الشيخ عادل أحمد عبد الموجود ـ الشيخ علي محمد معوض، شارك في التحقيق ١) د.زكريا عبد المجيد النوقي ٢) د.أحمد النجولي الجمل.
٢٧. تفسير الثعلبي/دار إحياء التراث العربي بيروت ـ لبنان ١٤٢٢ هـ ـ ٢٠٠٢م. مراجعة وتدقيق الأستاذ نظير الساعدي.
٢٨. تفسير القرآن/ عبد الرزاق بن همام الصنعاني/ مكتبة الرشد – الرياض – ١٤١٠، الطبعة: الأولى، تحقيق: د. مصطفى مسلم محمد.
٢٩. تفسير البحر المحيط/ لأبي حيان الأندلسي، دار النشر: دار الكتب العلمية – لبنان/ بيروت – ١٤٢٢هـ –٢٠٠١م، الطبعة: الأولى، تحقيق: الشيخ عادل أحمد عبد الموجود – الشيخ علي محمد معوض، شارك في التحقيق ١) د.زكريا عبد المجيد النوقي ٢) د.أحمد النجولي الجمل.الجامع لأحكام القرآن/ القرطبي /دار الشعب القاهرة.
٣٠. تهذيب الكمال ، المزّيّ، (مؤسّسة الرّسالة ١٤١٢هـ).
٣١. تنزيل القرآن/ ابن شهاب الزهري،: دار الكتاب الجديد – بيروت – ١٩٨٠، الطبعة: الثانية، تحقيق: د. صلاح الدين المنجد.
٣٢. تيسير الكريم الرحمن في تفسير كلام المنان/ عبد الرحمن السعدي مؤسسة الرسالة ـ بيروت ـ ١٤٢١هـ ـ ٢٠٠٠م، تحقيق: ابن عثيمين.
٣٣. جامع العلوم والحكم دار المعرفة / ابن رجب الحنبلي بيروت الطبعة الأولى ، ١٤٠٨هـ
٣٤. جامع العلوم والحكم في شرح خمسين حديثا من جوامع الكلم/ ابن شهاب الدين البغدادي / مؤسسة الرسالة – بيروت – ١٤١٧هـ – ١٩٩٧م، الطبعة: السابعة، تحقيق: شعيب الأرناؤوط / إبراهيم باجس.
٣٥. الجواهر الحسان في تفسيرالقرآن/الثعالبي/مؤسسة الأعلمي للمطبوعات – بيروت.

٣٦. الجامع الصحيح / محمد بن إسماعيل البخاري الجعفيّ/: دار ابن كثير/ اليمامة - بيروت - ١٤٠٧ - ١٩٨٧، الطبعة: الثالثة، تحقيق: د. مصطفى ديب البغا.
٣٧. الجامع لأحكام القرآن/ القرطبي/ دار الشعب – القاهرة.
٣٨. جامع البيان / الطبري /دار الفكر ١٤١٥.
٣٩. جامع البيان عن تأويل آي القرآن / الطبري/دار الفكر - بيروت – ١٤٠٥.
٤٠. الدر المنثور /السيوطي / مطبعة الفتح – جدة ١٣٦٥.
٤١. حقائق التفسير/ محمد بن الحسين السلمي /دار الكتب العلمية ـ لبنان/ بيروت ـ ١٤٢١هـ/ ٢٠٠١م، الطبعة: الأولى، تحقيق: سيد عمران.
٤٢. الجامع لأحكام القرآن / القرطبي / دار إحياء التراث العربي ١٤٠٥.
٤٣. الدر المنثور/ جلال الدين السيوطي / دار الفكر - بيروت - ١٩٩٣ م .
٤٤. زاد المسير في علم التفسير/ ابن الجوزي / دار الفكر بيروت ١٤٠٧ هـ.
٤٥. روح المعاني في تفسير القرآن العظيم والسبع المثاني محمود الألوسي أبو الفضل دار إحياء التراث العربي – بيروت.
٤٦. زاد المسير في علم التفسير/ابن الجوزي/ المكتب الإسلامي - بيروت - ١٤٠٤،
٤٧. شواهد التنزيل / الحاكم الحسكاني / مجمع إحياء الثقافة الإسلامية إيران١٤١١..
٤٨. شفاء العليل /ابن القيم / الناشر : دار الفكر - بيروت ، ١٣٩٨ – ١٩٧٨ تحقيق : محمد بدر الدين أبو فراس النعساني الحلبي.
٤٩. صحيح البخاري/البخاري/دار الفكر للطباعة والنشر والتوزيع بيروت/١٤٠١ هـ ١٩٨١م طبعة بالأوفست عن طبعة دار الطباعة العامرة بإستانبول.
٥٠. صحيح مسلم/: مسلم النيسابوري/ دار إحياء التراث العربي - بيروت، تحقيق: محمد فؤاد عبد الباقي.

٥١. صحيح ابن حبان البستي، مؤسسة الرسالة - بيروت -١٤١٤ - ١٩٩٣، الطبعة: الثانية، تحقيق: شعيب الأرنؤوط.
٥٢. طبقات المفسرين/ أحمد بن محمد الأدنروي الناشر : مكتبة العلوم والحكم - المدينة المنورة الطبعة الأولى ، ١٩٩٧ تحقيق : سليمان بن صالح الخزي.
٥٣. فتح القدير/ الشوكاني/دار الفكر بيروت
٥٤. فتح الباري/ ابن حجر/ دار المعرفة للطباعة والنشر بيروت – لبنان/ دار المعرفة للطباعة والنشر بيروت – لبنان.
٥٥. قلائد المرجان في بيان الناسخ والمنسوخ في القرآن/ الكرمي/دار القرآن الكريم - الكويت - ١٤٠٠، تحقيق: سامي عطا حسن.
٥٦. الكامل في ضعفاء الرجال،ابن عدي الجرجاني، دار الفكر - بيروت - ١٤٠٩ - ١٩٨٨، الطبعة: الثالثة، تحقيق: يحيى مختار غزاوي.
٥٧. كتاب التسهيل لعلوم التنزيل، تأليف: محمد الغرناطي الكلبي، دار الكتاب العربي - لبنان - ١٤٠٣هـ - ١٩٨٣م، الطبعة: الرابعة.
٥٨. الكشاف عن حقائق التنزيل /الزمخشري /دار إحياء التراث العربي - بيروت، تحقيق: عبد الرزاق المهدي.
٥٩. فتح القدير/ الشوكاني /عالم الكتب /دار الكتب /بيروت.
٦٠. كنز العمال/المتقي الهندي /مؤسسة الرسالة ـ بيروت ـ لبنان ١٤٠٩ هـ ١٩٨٩م ضبط وتفسير: الشيخ بكري حياني / تصحيح وفهرسة: الشيخ صفوة السقا.
٦١. لباب النقول في أسباب النزول/ السيوطي أبو الفضل/ دار إحياء العلوم – بيروت.
٦٢. معاني القرآن / النحّاس / جامعة أم القرى/ السعودية١٤٠٩هـ
٦٣. المستدرك على الصحيحين/ الحاكم النيسابوري/ دار الكتب العلمية - بيروت - ١٤١١هـ - ١٩٩٠م، الطبعة: الأولى، تحقيق: مصطفى عبد القادر عطا.

٦٤. مقدمة فتح الباري/ ابن حجر/ دار إحياء التراث العربي بيروت/ لبنان ١٤٠٨ هـ ١٩٨٨م. الطبعة الأولى بالمطبعة الكبرى الميرية ببولاق مصر المحمية سنة ١٣٠١ هـ
٦٥. المحرر الوجيز في تفسير الكتاب العزيز/ ابن عطية الأندلسي/ دار الكتب العلمية – لبنان – ١٤١٣هـ– ١٩٩٣م، الطبعة: الاولى، تحقيق: عبد السلام عبد الشافي محمد.
٦٦. مسند أحمد ، أحمد بن حنبل ـ مؤسسة قرطبة — مصر
٦٧. مسند البزّار البزار، مؤسسة علوم القرآن ـ مكتبة العلوم والحكم ـ بيروت ، المدينة – ١٤٠٩، الطبعة: الأولى، تحقيق: د. محفوظ الرحمن زين الله
٦٨. مسند ابن أبي شيبة، دار الوطن – الرياض – ١٩٩٧م، الطبعة: الأولى، تحقيق: عادل بن يوسف العزازي و أحمد بن فريد المزيدي.
٦٩. مسند أبي يعلى ـ الموصلي ـ دار المأمون للتراث – دمشق – ١٤٠٤ – ١٩٨٤، الطبعة: الأولى، تحقيق: حسين سليم أسد.
٧٠. مسند الرّوياني، دار النشر: مؤسسة قرطبة – القاهرة – ١٤١٦، الطبعة: الأولى، تحقيق: أيمن علي أبو يماني.
٧١. المطالب العالية، ا بن حجر العسقلاني، دار العاصمة/ دار الغيث – السعودية – ١٤١٩هـ الطبعة: الأولى، تحقيق: د. سعد بن ناصر بن عبد العزيز الشتري.
٧٢. مجمع الزوائد ومنبع الفوائد علي بن أبي بكر الهيثمي، دار النشر: دار الريان للتراث/دار الكتاب العربي – القاهرة ، بيروت — ١٤٠٧
٧٣. موارد الظمآن إلى زوائد ابن حبان، تأليف: علي بن أبي بكر الهيثمي أبو الحسن، دار النشر: دار الكتب العلمية – بيروت، تحقيق: محمد عبد الرزاق حمزة
٧٤. المناقب ، الخوارزميّ (مؤسسة النشر الإسلاميّ قم ١٤١١هـ).
٧٥. ميزان الاعتدال ،الذّهبيّ ، (دار المعرفة بيروت).

٧٦. مسند الحارث (زوائد الهيثميّ)، مركز خدمة السنة والسيرة النبوية – المدينة المنورة – ١٤١٣ – ١٩٩٢، الطبعة: الأولى، تحقيق: د. حسين أحمد صالح الباكري
٧٧. مناهل العرفان في علوم القرآن/ الزرقاني، دار النشر: دار الفكر – لبنان – ١٤١٦هـ-١٩٩٦م، الطبعة: الأولى
٧٨. مفردات غريب القرآن / الراغب الأصفهاني /دار نشر الكتاب ١٤٠٤ الطبعة الثانية
٧٩. مختار الصحاح/ محمد بن أبي بكر بن عبدالقادر الرازي/ مكتبة لبنان ناشرون ـ بيروت ـ ١٤١٥ – ١٩٩٥/ طبعة جديدة، تحقيق: محمود خاطر
٨٠. الناسخ والمنسوخ/ النحاس / مكتبة الفلاح – الكويت – ١٤٠٨، الطبعة: الأولى، تحقيق: د. محمد عبد السلام محمد.
٨١. نواسخ القرآن/ ابن الجوزي دار الكتب العلمية – بيروت – ١٤٠٥، الطبعة: الأولى.
٨٢.الوجيز في تفسير الكتاب العزيز/: علي بن أحمد الواحدي / دار القلم ـ الدار الشامية – دمشق ـ بيروت – ١٤١٥، الطبعة: الأولى، تحقيق: صفوان عدنان داوودي.

محتويات الكتاب

المقدمة ٥

المدخل..... ٩

كلام في التّدبّر ٩

بخصوص ما جرى بين الصّحابة ١٨

الفصل الأول

الـ(قلب) و الـ(قلوب) في القرآن الكريم

ووَرِدَتْ على صِيغَة المُفرد..... ٣٥

كلام في معنى المرض..... ٤٢

مرضى القلوب في سورة المدّثّر ٤٦

الفصل الثالث

الذين في قلوبهم في نظر قدماء المفسرين

(الذين قلوبهم مرض) في تفسير الصنعانيّ..... ٦٣

الذين فِي قلوبهم مرض في تفسير الطبري ٦٥

(الذين في قلوبهم مرض) في معاني القرآن (النّحّاس)..... ٨٣

الفصل الثالث

الذين في قلوبهم في نظر مفسري القرن الخامس

(الذين في قلوبهم) مرض في تفسير الثعلبيّ..... ٩٣

(الذين في قلوبهم مرض) في تفسير الواحديّ ٩٥

الفصل الرابع

الذين في قلوبهم مرض في نظر مفسري القرن السادس

(الذين قلوبهم مرض) في تفسير البغوي..... ١٠٥
الذين فِي قلوبهم مرض في تفسير ابن الجوزي..... ١١٠
(الذين قلوبهم مرض) في تفسير النسفيّ:..... ١١٦

الفصل الخامس
الذين في قلوبهم مرض في نظر مفسري القرن السابع

الذين فِي قلوبهم مرض في تفسير الرّازيّ..... ١٢٣
(الذين فِي قلوبهم مرض) في تفسير القرطبيّ..... ١٤٢
[بحث حول الواو المقحمة] ١٤٦
عودة إلى تفسير القرطبيّ..... ١٤٨

الفصل السادس
الذين في قلوبهم مرض في نظر مفسري القرن الثامن

الذين فِي قلوبهم مرض في تفسير البحر المحيط..... ١٥٥

الفصل السابع
الذين في قلوبهم مرض في نظر مفسري القرن التاسع

الذين فِي قلوبهم مرض في تفسير الجلالين..... ١٨١
الذين فِي قلوبهم مرض في تفسير الثّعالبيّ..... ١٨٣

الفصل الثامن
الذين في قلوبهم مرض في نظر مفسري القرن العاشر

الذين في قلوبهم مرض في الدّرّ المنثور ١٩٣
الذين فِي قلوبهم مرض) في تفسير أبي السعود..... ١٩٨

الفصل التاسع
الذين في قلوبهم مرض في نظر متأخري المفسرين

(الذين في قلوبهم مرض) في تفسير الآلوسيّ (روح المعاني)..... ٢٠٩
الذين فِي قلوبهم مرض في كتاب " التّحرير و التّنوير ٢٣٣
الذين في قلوبهم مرض في تفسير (أضواء البيان)..... ٢٤٠
الحصيلة ٢٤٣
عند الصنعانيّ..... ٢٤٤
عند الطبريّ ٢٤٤
عند النّحّاس..... ٢٤٥
عند الثعلبي ٢٤٦
عند الواحديّ..... ٢٤٦
عند البغويّ..... ٢٤٦
عند ابن الجوزيّ..... ٢٤٦
عند النسفيّ..... ٢٤٧
عند الرّازيّ..... ٢٤٧
عند القرطبيّ ٢٤٨
عند أبي حيّان..... ٢٤٩
عند ابن كثير..... ٢٤٩
عند الثعالبيّ ٢٥٠
عند السيوطيّ ٢٥١
عند أبي السّعود ٢٥١
عند الآلوسيّ..... ٢٥١
عند الشّنقيطيّ..... ٢٥٢
عند ابن عاشور..... ٢٥٢

الفصل العاشر
صفات وأعمال الذين في قلوبهم مرض

صفات و أعمال الذين في قلوبهم مرض..... ٢٥٩
من صفاتهم..... ٢٦١
من صفاتهم وعلاماتهم ٢٧٠
حربٌ الله ورسوله ٢٧٢
أحاديث في أذى النّبيّ صلّى الله عليه وآله ٢٧٤
تصريح صحابة وتابعين ببغض الحسن و الحسين..... ٢٧٥
الضغائن..... ٢٧٧
عاقبة مُبْغضي عليّ عليه السلام ٢٨٦
الخاتمة..... ٣٠١
مصادر الكتاب ٣٠٥
محتويات الكتاب..... ٣٠٥